جامعة الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

المسألة المنهجية في علم التاريخ لدى كارل بوبر

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث تخصص فلسفة القيم وابستيمولوجيا العلوم الإنسانية

إعداد الطالبة:

إبتسام صاولة

إشراف أ.د:

أمال موهوب

لجنة المناقشة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/	نوال بورحلة	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د/	أمال موهوب	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	مقررا
د/	خليدة زكاري	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
د/	محمد بوداني	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
أ.د/	عبد العزيز بن يوسف	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
د/	نورية خالف	م. العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2023- 2024.

جامعة الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

المسألة المنهجية في علم التاريخ لدى كارل بوبر

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث تخصص فلسفة القيم وابستيمولوجيا العلوم الإنسانية

إعداد الطالبة:

إبتسام صاولة

إشراف أ.د:

أمال موهوب

لجنة المناقشة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/	نوال بورحلة	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د/	أمال موهوب	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	مقررا
د/	خليدة زكاري	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
د/	محمد بوداني	الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
أ.د/	عبد العزيز بن يوسف	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
د/	نورية خالف	م. العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2023– 2024.

شكر وتقدير

'' أعطيني قيمة قبل أن تعطيني معرفة ''

الشكر والامتنان موصول للأستاذة الدكتورة المشرفة أمال موهوب عميدة كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر –2– التي كانت أكثر من مشرفة

الشكر موصول للأستاذ الدكتور عبد العزيز بن يوسف مدير مخبر إشكالية البحث العلمي في بناء المجتمع العربي الحديث والمعاصر الجزائر أنموذجا

الشكر للأستاذة الدكتورة نوال بورحلة رئيس قسم الفلسفة

الإهداء

" إلى كل موجود يبحث عن وجوده وتحقيق الدازاين الحق "

إلـــــــــــــــــــى

أمـــــي وأبـــــــي

عائلتي الكريمة

زوجـــي

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
مقدمة	2
ملحق السيرة الذاتية لكارل بوبر	11
الفصل الأول: مشكلة التمييز بين العلم واللاعلم الوضعيين المناطقة وكارل بوبر	
أولا: تأسيس الوضعية المنطقية	22
ثانيا: التحقيق كمعيار للتمييز	31
ثالثا: الابستيمولوجيا التطورية ونظرية العلم	38
رابعا: نمو المعرفة عند بوبر	42
خامسا: التكذيب معيارا للتمييز وعلاقته بنمو المعرفة	44
الفصل الثاني: ابستيمولوجيا العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر	
أولا: أصالة وواقعية الفكر البوبري في العلوم الاجتماعية	57
ثانيا: الأصول التاريخية للتاريخانية	92
ثالثا: نقد التاريخانية عند بوبر	95
رابعا: إسقاط بوبر انتقاداته على الأنبياء الثلاث أفلاطون – هيغل – ماركس	96
خامسا: عقم التاريخانية كمنهج في العلوم الاجتماعية	113
الفصل الثالث: التاريخ عند كارل بوبر	
أولا: علمية التاريخ في ضوء مدرسة النقد التاريخي	121
ثانيا: معنى التاريخ عند بوبر	129
ثالثا: معيار التكذيب وعلم التاريخ	135
رابعا: التاريخ كنموذج للوحدة المنهجية عند بوبر	140
خامسا: علم التاريخ وعلاقته بالتاريخانية عند بوبر	142
سادسا: حضور بوبر في الفكر العربي الحديث والمعاصر	149
الخاتمة	173

فهرس المصطلحات الابستيمولوجية	177
قائمة المصادر والمراجع	179
الملخـــــص	

مقدمـــــة

مقدمة

" قد أكون على خطأ وقد تكون أنت على صواب، ويبذل الجهد قد نقترب أكثر الحقيقة" بهذه المقولة الموجزة يلخص كارل بوبر مشروعه الفلسفي، الذي يحرص على وسمه بـ " العقلانية النقدية" والذي أنتج ضمنه أعمالا قيمة في فلسفة العلم والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتحليل النفسي، جعلته واحدا من أهم فلاسفة القرن العشرين 20م وتقوم نظريته على نقد الاتجاهات العلموية السلطوية من جهة وعلى رفض الاتجاهات التشكيلية العدمية في مجالات العلم والأخلاق والسياسة من جهة ثانية.

لقد كان بوبر بحق فيلسوف العلم، لأنه كرس جهوده العلمية كلها للبحث في ابستيمولوجيا المعرفة الإنسانية، لكنه في الحين نفسه سكنه هم مستقبل البشرية أمام هيمنة الفكر الشمولي، في النصف الأول من القرن العشرين 20م، الرامي إلى إنشاء مجتمعات مغلقة تقضي على حرية الفرد، وتلغي العقلانية، فخصص نصيبا مهما من أعماله الغزيرة لقضايا التاريخ الفلسفية والمنهجية، منطلقا من تصوره الفلسفي للنقد العقلاني الذي يعني "الاستعداد للإنصات إلى الحجج النقدية وأن يبحث المرء عن الأخطاء التي وقع فيها وأن يتعلم منها".

فالنقد ليس منهجا للعلم فحسب، بل هو طريقة التفكير وطريقة للحياة، وتحتل العلوم الاجتماعية مكانة أساسية في الفكر الفلسفي للفيلسوف الأنجلوساكسوني كارل بوبر باعتبارها جزءا من المشكلة الابستيمولوجية والمنهجية من جهة وباعتبارها متعلقة بالمجال السياسي من جهة أخرى، وسنركز في موضوع بحثنا على دراسة الشق الأول من هذه المشكلة أي الشق الابستيمولوجي والمنهجي أي كيف يمكن اعتبار العلوم الاجتماعية دراسات علمية على غرار العلوم الطبيعية في نظر كارل بوبر؟ ونأخذ التاريخ نموذجا للدراسة الابستمولوجية، إن إشكالية العلوم الاجتماعية والإنسانية متعددة منها ما هو متعلق بمنهج هذه العلوم وموضوعيتها وقدرتها التفسيرية وعلاقتها بالإيديولوجيات وتدخلها مع دوافع مصالح غير علمية وهناك إشكاليات أخرى منهجية ومعرفية ولربما لا نكون مجانين للصواب إن نحن أعدنا بدءا السؤال عن المنهج هو سؤال الفكر الإنساني ذاته وحجتنا في ذلك أن الانعطافات الجذرية التي عرفها هذا الفكر غالبا ما كان سؤال المنهج أبرز مؤشر عليها وذلك هو الحاصل مع كتاب الأرغانون لأرسطو Aristote ثم الأرغانون الجديد مع سيكون وبعده كتاب "مقال" عن المنهج" لديكارت Descartes الذي دستن عتبة ولوج الحداثة وكتاب "منطق الكشف العلمي" لكارل ريموند بوبر Karl Raymond Popper وكذلك مقارنة بغيره من

الخطابات التي أكدت على المنهج وذلك هو الحاصل مع فيرانيد خاصة في كتابه "ضد المنهج" وكذلك توماس كوهن في "بنية الثورات العلمية" وأمري لاكوتوس... وغيرهم.

وهنا ظهر موقع المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية في ما بين الكلية والفردية المنهجيتين لأن هذا السؤال ينطوي بشكل من الأشكال على السؤال الكمي والكيفي داخل ذات الحقل من دون أن ندعي لأنفسنا جدارة مقاربة هذا الإشكال في شموليته بل محاولة تقصي مشروعية الحديث عن وحدة المنهج بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية مسترشدين في ذلك بالاقتراب مما قدمه في هذا الموضوع الابستيمولوجي صاحب العقلانية النقدية كارل بوبر مركزين تحديدا على مقاربته الابستيمولوجية للعلوم الاجتماعية ومدى مشروعية الحديث عن وحدة المنهج بينها وبين العلوم الطبيعية وهل خصوصيتها لا تقف حائلا دون بلورة هذه الوحدة المنهجية؟.

قد ارتبطت مكانة علم التاريخ بتحديد ماهيته في إطار المعرفة الإنسانية، مع ما شهده القرن 17 م من نهضة علمية والتي كانت لها أبعد الأثر في تغيير نظرة الإنسان إلى الكون والطبيعة حين زادت من رغبته في التطلع إلى مستقبل منير بشعاع العلم، بعد التخلص من رقبة اللاهوت المسيحي وطغيان الفكر الأرسطي.

فالتاريخ يصل إلى مرتبة العلم الطبيعي، عندما يقدم المؤرخ حيثيات الحادثة التاريخية بموضوعية تشبه موضوعية، هذا بالفعل ما نجده عند فيكو وغيره من المؤرخين لكن المسألة لا تجد لنفسها حلا نهائيا بل تزداد تعقيدا أمام النقاشات التي تطرح خلاف ذلك.

فمن جهة هناك من يرى أساس التمايز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية بلوغ الموضوعية في علية دراسة التاريخ، بعيدا عن المنهج التجريبي، واستخدام طريق آخر هو منهج النقد التاريخي.

في ظل هذا الصدام المعرفي الذي أثارته هذه النقاشات حول علمية التاريخ بيان طبيعته وتصنيفه ضمن بقية العلوم، وكذا النقاش العلمي المعاصر طبيعي، رياضي تأتي فلسفة كارل بوبر المفكر والفيلسوف الذي وهب حياته العقلية لفحص شروط التقدم العلمي وكذا شروط التقدم الاجتماعي، وفق "مبدأ العقلانية النقدية" الذي رفعه كشعار يجب أن يتحلى به كل باحث لتسجل انعطافا كبيرا ذي دلالة ابستيمولوجية مستبدلة النموذج العلمي الطبيعي الاستقراء والحتمية بنموذج الاستنباط واللاحتمية حيث كان أهم شيء في فلسفته اختيار معيار آخر يميز بين العلم واللاعلم ألا هو مبدأ التكذيب فهدف العلم ليس اكتساب اليقين.

إن هذا الاعتبار المنهجي عند صاحبه بوبر يتعدى الحديث عن مقارنته الابستيمولوجية للعلوم الاجتماعية والتي يعتبر علم التاريخ فرعا من فروعها أي في إمكانية مشروع إنجاز باحث ابستيمولوجي لهذه العلوم يكشف عن عنصر المعقولية فيها.

فضلا عن تأكيده بعقم المذهب التاريخي أو نقده للتاريخية بإسقاطه انتقاداته على ما يسميهم الأنبياء الثلاث أفلاطون – هيغل – ماركس على أنها تمثل نظريات زائفة وفق قواعد منهجه النقدي إلا أن له موقف بشأن علمية التاريخ عندما حدد للمؤرخ طريقة علمية تعكس نوعا من التقارب المنهجي بين التاريخ والعلم الطبيعي والمتمثلة في تحديد المشكل التاريخي لهذا تجيء دراستنا للإجابة على الأسئلة التالية:

لو سلمنا منذ البداية بأن هناك اختلاف بين علم التاريخ الذي موضوعه الإنسان والعلم الطبيعي فهل مناهج النقد التاريخي كاف للتحديد ماهية التاريخ وعلميته؟.

إذا كانت النظرية العلمية خاضعة لمعيار القابلية للتكذيب فهل هذا يعني أن هناك نظرية في التاريخ تخضع لهذا المعيار ؟ مثلما يخضع له العلم الطبيعي؟.

لعل النظرة البوبرية لعلمية التاريخ مرهونة بمبدأ العقلانية النقدية فهل هذا المبدأ قائم بذاته أم هو مبدأ صنعته الظروف وصقلها العقل البوبري؟.

إلى أي مدى يمكن إسقاط الواقع المعاصر بمفهوم العلم ومفهوم التاريخ عند بوبر؟ ماذا لو تم نقده ومجاوزته ألا يصبح منهج البحث النقدي عنده غير صالح؟ وبالتالي يكون فكر بوبر في نظرته للعلم والتاريخ رغم الموضوعية، يحل في طياته بذور من الذاتية؟ وهنا يفتح أمامنا أبوابا للبحث من جديد ويبقى الموضوع مفتوحا للبحث.

العديد من الأسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال بحثنا هذا الذي دعانا إلى اختياره دون سواه من الموضوعات الأخرى للأسباب الآتية:

أ الأسباب الذاتية:

1) استكمال الدراسة السابقة لمرحلة الماستر والتي كانت معنونة بـ "العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر دراسة تحليلية نقدية".
2) ميولنا إلى هذا النوع من المواضيع الابستيمولوجية ورغبتنا في التقرب من منزلة البحث فيه وهذا راجع بطبيعة الحال إلى مؤهلاتنا ولو نسبيا حول فلسفة العلوم.
3) محاولة إخراج كارل بوبر من الجانب المنطقي إلى مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية تحديدا علم التاريخ وإسقاط مبدأ القابلية للتكذيب على العلوم الاجتماعية مقارنة بالعلوم الطبيعية.

4) بما أنه التخصص الذي تندرج ضمنه هته الدراسة ألا وهو : فلسفة القيم وابستيمولوجية العلوم الإنسانية ارتأيت البحث في هذا السياق ضمن قراءة ابستيمولوجية نقدية للعلوم تحديدا العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر والمتمثلة أساسا في علم التاريخ والمسألة المنهجية المتعلقة به.

ب الأسباب الموضوعية:

1) إن هذا الموضوع هو بمثابة فرصة أتيحت لنا للتعرف على أهم ممثل للاتجاهات العلمية المعاصر كارل بوبر بمقاربته الابستمولوجية للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتي نحن مطالبين بإعادة إحياء قيمتها من جديد.
2) محاولة التأكد من صدق فروض النزعة التجريبية في دراسة التاريخ التي كانت سائدة قبلا.
3) معظم الدراسات سواء في الوطن العربي أو الغربي تعتبر فكر بوبر جريئا في طرح أفكاره متجاوزا الطرح الكلاسيكي السائد وجعله كبديل هيكلي لمبدأ التحقق التجريبي الذي اشتهرت به الفلسفة الإمبريقية التيار التحليلي/ والوضعي المنطقي .
4) محاولة معرفة كيفية دراسة التاريخ وفق مقاربة منهجية بوبرية وإسقاط منهج التكذيب على الحوادث التاريخية بعيدا عن التاريخانية وأصحاب النبوات الزائفة أعداء المجتمع المفتوح.

فيما يخص بنية البحث أو الهيكل العام لموضوع الرسالة نتقدم بوضع تصميم يشمل كل جوانب الإشكالية وهو تصميم يقسم البحث إلى مقدمة ثلاث فصول خاتمة، تتضمن عناوين فرعية اقتضاء تنظيم عناصر الفصل لتسهيل تتبع الأفكار الواردة التي تندرج ضمن كل فصل من الفصول.

يحتوي كل فصل على مجموعة عناوين ضمنية تخدم الفصل تأتي على الشكل التالي:

أ– الفصل الأول: المعنون بـ " مشكلة التمييز بين العلم واللاعلم (الوضعيين المناطقة وكارل بوبر)"

قمنا فيه بعرض التقعيد المعرفي الابستومولوجي للفكر البوبري انطلاقا من الوضعين المناطقة بمبدأ التحقق التجريبي الذي اشتهرت به الوضعية المنطقية حيث تتميز فلسفة كارل بوبر بمنهجية واضحة هي منهجية الهدم والبناء أو النقد والتجاوز فهو في مشروعه الابستمولوجي الذي يتأس على معيار القابلية للتكذيب كبديل هيكلي بمبدأ التحقق التجريبي ويتأس أيضا على منهج المحاولة والخطأ أو التكذيب كمنهج للعلم بديلا لمنهج الاستقراء ويعتبر ألد خصوم الاستقراء.

كما تطرقنا في هذا الشأن للإبستيمولوجية التطورية ونظرية العلم كيف لنظرية داروين أن تكون نظرية لتطور المعرفة بحسب بوبر بعيدا عن التصور لاماركي فتطور العلم مماثل للانتخاب الدارويني فهو الانتخاب بين

الفروض العلمية لتقصي الضعيفة منها وتبقى التي تتكيف مع الوضع العلمي الجديد، حيث أعجب بوبر أيما إعجاب بفكرة أن الحياة صراع من أجل البقاء وكفاح مستمر، لدرجة أنه يعتبر منطق العلم انتقاء طبيعي، فهو صراع وتنافس بين النظريات والبقاء لأصلحها. وذلك وفقا لمعياره مبدأ التكذيب والنظرية التي تسقط فهي لا علم أما التي تبقى صامدة لمدة أطول فهي علمية.

ب– الفصل الثاني: المعنون بـ: "ابستيمولوجية العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر"

والذي عرضنا فيه تباعا: أصالة وواقعية الفكر البوبري للعلوم الاجتماعية والذي يتضمن تعريف بوبر للعلوم الاجتماعية وركائز منهج بوبر للعلوم الاجتماعية خصوصية العلوم الاجتماعية والذي يندرج ضمنه وحدة المنهج . بوبر بين الوحدة والتعددية المنهجية – المنطق الموقفي – الفردانية المنهجية... ثم عرض مكانة العقلانية النقدية في العلوم الاجتماعية والذي عرضنا فيه ملامح العقلانية النقدية المعاصرة باعتبارها فلسفة القيم الابستيمولوجية تعمل على مؤازرة الفكر العلمي الجديد ومجاوزة للطرح الفلسفي الكلاسيكي عقلاني/ تجريبي ويعتبر بوبر رائد العقلانية النقدية هدفه تصحيح مسار فلسفة العلم المعاصر وهو أن نكون على وعي بمهمة النقد، فالفلسفة عنده شعارها مبدأ "العقلانية النقدية" لا تسأل أبدا عن أصل المعرفة ولا عن اليقين بل كيفية اكتشاف الخطأ حيث يعتبر منهج المحاولة والخطأ هو منهج العلم الصحيح والذي يكون مبدأ القابلية للتكذيب كخطوة مهمة. ثم تدريجيا عرض انتقاداته الموجهة للتاريخانية أو النظريات التي تعطي تفسيرات حتمية نهائية لحركة التاريخ بحيث يربط بوبر هذا النقد مع فكرته عن المجتمع المفتوح وأعدائه أو أصحاب المجتمعات المغلقة كالأفلاطونية كما يسميه أفلاطون المستبد وكذلك الهيغلية جدل هيغل الدوغمائي بحسب رأيه والماركسية والذي يعتبر ماركس صاحب النبوة الزائفة أو ما يطلق عليهم الأنبياء الثلاث. مثلما يدعون وصولا إلى عقم التاريخانية كمنهج في العلوم الاجتماعية متجاوزا ذلك هذا الطرح التاريخاني.

ج– الفصل الثالث: المعنون بـ: "التاريخ عند كارل بوبر"

قمنا فيه بعرض ضبط مفهوم التاريخ ليكون توضيحا للانطلاق للتحليل فيما بعد ثم عرضنا نظرية التطور التاريخي والعلوم النظرية والتاريخية عرضا وجيزا ثم التأويل التاريخي كمنهج من مناهج دراسة التاريخ الذي نادى بها دلتاي في قوله بالفهم والتقسيم وفي هذا القول: "أننا نفسر الطبيعة، لكننا نفهم ظواهر الروح". حيث أثارت قضية المنهج التاريخي نقاشات كبرى بين الفلاسفة المهتمين بالعلوم الإنسانية ويشارك بوبر بدوره في هذه المناقشة من خلال إعلانه الاتفاق مع كوانجوود، دلتاي هايك، واكتون، في ضرورة " تفهم الأحداث التاريخية". وصولا إلى الحديث عن التاريخ ومعناه عند بوبر وكيف اعتبره نموذج للوحدة المنهجية التاريخ وكيف ربط بينه

وبين التاريخانية وعلاقتهما والذي وجدنا صعوبة كبيرة في الفصل بينهما: التاريخ، التاريخي، التاريخاني، التاريخانية ثم خصصنا جزءا للمحاولة التي قدمها بوبر ألا وهي إضفاء الصفة العلمية على التاريخ بجعل معيار التكذيب صالح لدراسة حوادثه لا يختلف كثيرا عن منهجه النقد في دراسة الطبيعة.

ثم في الأخير أضفنا جزءا يتعلق بحضور فكر بوبر في الفكر العربي ومدى قبول أو رفض أفكار كارل بوبر الفلسفية التنويرية في ميادين شتى منها السياسية، الاجتماعية التاريخ، علم النفس، المنطق وغيرها من الميادين المتعلقة بعلوم الإنسان.

* لصياغة أفكارنا في هذا البحث الدراسة صياغة معمقة، استعنا بالمنهج التحليلي والنقدي المناسب لطبيعة الفلسفة البوبرية بحيث عملية التحليل هذه تفرضها السمة التي ميزت أفكارنا ألا وهي البساطة والوضوح التي تنشدها الفلسفة بالإضافة إلى المنهج التاريخي المناسب لعرض الآراء والمواقف السابقة على كارل بوبر بصدد علمية التاريخ وعرض الأفكار في كل مرة بأسلوب الجدل والتساؤل فرضته ماهية وطبيعة الموضوع واختلاف وتضارب آراء الفلاسفة والمفكرين حولها والذي يصيبنا بالذهول والحيرة اتجاه ذلك.

أما عن عنوان الرسالة المعنون بـ: " المسألة المنهجية في علم التاريخ لدى كارل بوبر " فهي تحيلنا مباشرة إلى أسلوب الجدل انطلاقا من لفظ المسألة فهي تثير فينا نقاشا وجدلا، تؤخذ وترد على غرار المسألة الرياضية المنطقية.

أما المنهجية منها فهي الميثودولوجية أي محاولة إيجاد منهجا خاصا لدراسة التاريخ والوصول به إلى مصاف العلمية والدقة.

تأخذنا إلى إعادة طرح التساؤل الرامي إلى: كيف نؤسس لعلمية التاريخ بناءا للمقاربة الابستيمولوجية البوبرية؟

قد لا يجد الباحث دراسات قبلية ضمن المواضيع الفلسفية أو دراسات سابقة بهذه الصياغة وهذا ما يعرف بالطرح الابستيمولوجي الذي يبقى على التحليل والنقد وإعادة البناء من جديد.

– طبيعة الموضوع فرضت علينا التنوع في المصادر والمراجع إلا أننا حاولنا في كل مرة حصد وجمع المراجع التي تمس جوانب البحث لنتقرب أكثر من الهدف المرجو، في حين نجد اختلاف وتضارب الآراء حول المصطلحات والمفاهيم التي قدمها بوبر منها معيار القابلية للتكذيب، التكذيب وقابلية التكذيب الدحض التفنيد، وبصفة عامة منهج العلم ومنطقه ونمو المعرفة عند بوبر.

إلا أننا استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع والرسائل والمعاجم والموسوعات التي تخدم الموضوع ولو جزئيا منها:

المصادر المتعلقة بفلسفة كارل بوبر :

1) كارل بوبر : الحياة بأسرها حلول المشاكل.
2) كارل بوبر منطق الكشف العلمي.
3) كارل بوبر : عقم المذهب التاريخي
4) كارل بوبر : بحثا عن عالم أفضل.
5) كارل بوبر : أسطورة الإطار.

إضافة إلى:

1) لخضر مذبوح: فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر .
2) محمد محمد عويضة كامل: كارل بوبر فيلسوف العقلانية النقدية.
3) مصطفى عادل كارل بوبر مائة عام من التنوير ونظرة العقل.
4) محمد محمد قاسم في الفكر الفلسفي المعاصر رؤية علمية.
5) يمنى طريف خولي.

بالإضافة المصادر باللغة الأجنبية .

ونختم هذا البحث المتواضع بأهم النتائج المتواصل إليها على مدار ثلاثة فصول وما أحالتنا إليه في كل مرة للكشف والبحث وإعادة صياغتها وإعادة إدراج عناوين ضمنية جديدة وإزالة ما هو قديم وهكذا نجد متعة البحث والتطلع وتتسع دائرة معارفنا وتختلف رغم المتاعب والصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث منها:

1) تشعب جزئيات موضوع التي تفلت من قبضتنا في كل مرة وتتشعب أفكارنا.
2) صعوبة وضع الموضوع في قالب منهجي وإحكامه في خطة متوازنة الفصول والعناصر وتركيب العناصر المناسبة في كل فصل من الفصول والشكر موصول في كل مرة الأستاذة المشرفة أ.د أمال موهوب في ذلك وكذلك الأستاذ بن يوسف اللذان لم يبخلا علي في استشارتهما في كل مرة.
3) قلة المصادر المتخصصة والمباشرة للموضوع، عدا بعض الكتب والمراجع المحايثة للموضوع التي استفدنا منها نسبيا.

– رغم هذه الصعوبات إلا أنها لم تكن عائق ابستيمولوجيا أمامنا ولم تثن عزيمتنا في إتمام هذا العمل المتواضع.

وأخيرا في ختام هذا التقديم سعينا إلى أن نتقدم بالشكر الخاص للأستاذة المشرفة العميدة أ.د أمال موهوب رغم التزاماتها وارتباطاتها إلا أنها لم تبخل علينا بالمتابعة الأخوية والملاحظات الدقيقة وتشجيعاتها لنا في المواصلة والبحث والتي تتم بطبيعة الحال عن سريرة طيبة وشخصية علمية وإنسانية أخوية فذة حيث كانت إرشاداتها ونصائحها وملاحظاتها ثمرة هذا البحث المتواضع .

ملحـــــــق

السيرة الذاتية لـكارل ريموند بوبر

Karl Remond Poper

أ/ كارل بوبر سيرته الذاتية:

– كارل ريموند بوبرKarl Raymond Popper فيلسوف علم نمساوي ولد في فيينا في 28 سبتمبر 1902 درس الفيزياء والرياضيات والفلسفة في جامعة فيينا واهتم بغير ما تميز به أينشتاين وماركس وفرويد وآدلر، وشرع منذ ذلك الحين بصياغة أفكاره حول الفارق بين العلم الحقيقي والعلم الكاذب كالفلك والتنجيم ، عرف عنه أنه كان شغوفا للمعرفة منذ الصغر ويحيط من هم أكبر منه بإعجاب وتقدير مدركا ضالة ما لديه من معارف مقارنة بهم، وكانت العائلة التي عاش فيها يملك رصيدا ثقافيا خصبا ومتنوعا بين مجالات مختلفة فلسفية، تاريخية، موسيقية ..... وكانت أولى المشكلات التي اعترضت بوبر هي اللامتناهي وأصل الحياة ، اهتمامه بها ولد فيه الرغبة في إيجاد أجوبة على كل سؤال لكن أثرت بطريقة أخرى وهي أنها طورت لديه الملكة النقدية، التي ستتطور فيما بعد نتيجة خبرات شخصية عايشها بوبر وتعلم منها الكثير.[1]

ومن أكثر الفلاسفة كان لهم تأثير على بوبر منهم ، سقراط الذي أثر كثيرا على شخصية بوبر، ولكن ترك في نفسه رد فعل عكسيا عنيفا، حيث كان بوبر يراه دائما يؤكد أنه يعرف كل شيء وإنه على صواب ولا يخطئ أبدا ، فأصبحت احتمالية الخطأ الكامنة في كل موقف هي صداع الفلسفة البوبرية .

المحاولة والخطأ، الفكرة التي صاغها بوبر من تجربة إزاء عملية كمساعد في العيادة الطبية النفسية للأطفال عند "أدلرAdler " حيث استغرب بوبر تشخيص أدلر لحالة طفل دون معاينته والبحث في المشكلة ومما سأله عن سبب وثوقه أخبره أنها تجربته.... فقال بوبر لما لا يجرها الألف وواحدة وكيف له أن يثق في خبراته السابقة بطريقة يقينية.[2] وفي هذا يقول بوبر :" ....مع كل خطوة إلى الأمام مع كل مشكلة نحلها، فإننا نكشف ليس فقط مشكلات جديدة به حل وغنم نكشف أيضا أننا حيث اعتقدنا أننا نقف على أرض صلبة آمنة كان كل شيء في الواقع .....مزعزعا ".[3] ومنه نصل أن تجارب "بوبر" قد أيقظت فيه روح المعاينة والنقد الذي يستقطب كل المعارف التي تدعي الصدق المطلق والحقيقة الكاملة كما يولي لنفسه منهجا قوامه البحث الدائم ويجعل من مهمة العلم هي الانطلاق من فكرة أساسية : "إن البحث عن الحقيقة ، البحث عن نظريات سابقة أمر لم نتوصل إليه كوننا لا نصل إلى معرفة نهائية لعالم الأشياء وإن توصلنا إليها فإننا لا نعرف أنها صادقة. بتعبير آخر إن معارف اليوم كان ينظر إليها فيما مضى على أنها يقين وستصبح ماضي مثل

[1] محمد محمد قاسم، كارل بوبر ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي،د.ط، المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1986،ص 19.
[2] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، تر ، عبد الحميد صبرة، ط6، دار الساقي ، بيروت ،1992،ص 73.
[3] محمد محمد قاسم، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي،ص 23.

المعارف السابقة، والحقيقة ستبقى مطلب، وغاية لكل باحث إلا أنه مهما بلغنا منها فستبقى مقدارا ضئيلا جدا، وقد تكون الأسس التي انطلقنا منها منذ البداية خاطئة أو كاذبة كما حدث مع "بوبر " إبان نشوب الحرب العالمية الأولى .....والأفكار السياسية بصفة خاصة."[1] كما تأثر بوبر على غرار باقي فلاسفة العلم استفاد كثيرا من انعطافه على البيولوجيا وتأثر إلى حد كبير بنظرية التطور الداروينية ، فكون الحقيقة المطلقة غير موجودة مرتبطة بفطرة نمو المعرفة مثل الكائنات الحية الأولى الأيسا والعلم كما يقول بوبر " ظاهرة بيولوجية ، فلقد خرج العلم من عباءة المعرفة قبل العلمية وحيث يمكن فهمه على أنه تطور..... لطريقة فهم المعرفة الإنسانية الصحيحة والتي هي بدورها تطور للمعرفة الحيوانية."[2]

إذا المعرفة الإنسانية لم تكن يوما معطى جاهزا أو ذات أساس راسخ إنها ضعف الإنسان نحو تحسين حياته والوسيلة إليها هي المنهج النقدي الواعي الذي هو " وحده ما يوضح التطور السريع غير العادي للصورة العلمية للعلم والتقدم العلمي غير العادي،فكل معرفة قبل علمية سواء أكانت حيوانية أم بشرية هي معرفية اعتقاديه وباكتشاف المنهج غير الإعتقادي، أي المنهج العلمي يبدأ العلم. لقد عبر "بوبر" عن آرائه في الكثير من المؤلفات، وكان أول عمل إبستيمولوجي في الجانب العلمي هو كتابه الشهير منطق البحث العلمي ترجم إلى الإنجليزية بمنطق الكشف العلمي، و لهذا العنوان تحديدا يكون الخطاب ثوريا في فلسفة العلوم.[3]

ب/ مرجعيته الفكرية

إذا جئنا إلى حياة بوبر وتطوره الفكري فإن ميلاده كان في 28 سبتمبر 1902 بفينا ، حيث كانت في ذلك الوقت تعتبر إلى حد ما مركز ثقافيا في العالم الغربي، وعلى أساس استقصاء المواقف الكبرى التي مثلت بحق تأثيرا بالغا بشكل أو بآخر في تكوين العقل والفكر البوبري، والتي يمكن استشفاؤها من خلال عناوين الأقسام والفقرات الواردة في سيرته الذاتية، وهي المحطات البارزة التي يلجأ إليها حتى بعض النقاد لتقييم بعض كتابات بوبر لا سيما المتعلقة بنقده لبعض رواد الفلسفة الحديثة مثل ماركس، ويذهب هؤلاء النقاد بأن ظروف تكوين بوبر وتأثره بمواقف معينة هو ما أدى به إلى طرح أفكاره بالوجه الذي جاءت عليه، ومنه فيمكن تتبع هذه المراحل والمواقف المهمة انطلاقا من طفولته، حيث يقول بوبر عنها بأن عائلته – التي تنحدر من أصل يهودي – قامت بتنشئته في وسط مغمور بالكتب، فكانت أمه بشكل خاص مولعة بالموسيقى ومن

[1] كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، تر، أحمد مشبحير ،د.ط، منظمة الأسرة ، القاهرة ، 1999، ص 86.

[2] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، تر، بهاء درويش، منشأ المعارف، الاسكندرية ،1994، ص 30.

[3] يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، د ط مؤسسة هنداوي، القاهرة ،2012، ص 315.

عائلة مرموقة واعية بأهمية التحصيل العلمي، ومع أن أباه كان يمتهن المحاماة إلا أنه كان مهتما ومتحمسا للأعمال الفلسفية الكلاسيكية والحديثة، مما أتاح لبوبر الإطلاع على أمهات الكتب الفلسفية مثل: أفلاطون، ديكارت، سبينوزا، لوك، كانط، مل، داروين ،ماركس، بل إن أباه كان يعلق على جدران مكتبه بعض الصور لداروين وشوبنهاور مما سبب تأثير هذه الأجواء على بوبر منذ نعومة أظافره، وتخلق فيه ذلك الاهتمام وحب الاطلاع في هذا الجانب حيث يقول أن سقراط كان معلمه الذي علمه كم هو قليل[1].

ذلك القدر الذي نعرفه ، وليس فقط بل إن كل حكمة يمكن أن نطمح إليها يمكنها فقط أن تساعدنا على ادراكنا أكثر لجهلنا اللامتناهي.

ثم في قسم آخر لبوبر في سيرته جاء بعنوان الحرب العالمية الأولى ، حاول أن يبين فيه أثر الأحداث السياسية التي ميزت حياته بوبر المراهق إذا لم يسلم من تأثيرها العالم ككل ،فيستهل ذلك بقوله:" كنت في الثانية عشرة عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى.

فكان أثر سنوات الحرب حاسما في كل جوانب تطوري الفكري، مما جعل مني ناقدا لكل الآراء المقبولة، وخصوصا السياسة منها، وطبعا في تلك الفترة قلائل هم من كانوا يعملون ما تعني الحرب.....ولعدة أسابيع تحت تأثير الدعاية الإعلامية للحرب خصوصا في مدرستي صرت متأثرا إلى حد ما بما يمليه الرأي العام...[2]

لكن بوبر تراجع بعدها وشعر بالخجل من ذلك الموقف خصوصا عندما علم بحقيقة الحرب وتأكد بعدها من وجوب التعقل والتمحيص في كل ما يواجهنا من أفكار سياسية كانت أو اجتماعية أو علمية .

إن القارئ لسيرة بوبر الذاتية يلاحظ أنه اعتنى في العناوين الأولى لأقسامها بالعوامل التي ساهمت في تطوره الفكري، حتى إنه قد أوضح ذلك بحكايات من واقعه حيث يذكر في فقرات بعنوان " مشكلة فلسفية مبكرة " اللاتناهي بأن أول مشكلة فلسفية واجهته وهو لا يزال طفلا في الثامنة من عمره، كانت مشكلة اللاتناهي Inofinity مما جعله قلقا أن لا يستطيع تصور أو استيعاب هذا المفهوم – النيوتني طبعا- ولا أن يتصور[3] عديمة الجدوى – على أنه يجب أن لا تستفزنا الكلمات ومعانيها فنأخذها نجد على أنها إشكال فلسفي، بل إن ما يجب أن يؤخذ بجد هو مسائل الواقع والتقريرات حول هذه الوقائع من نظريات وفروض وما

---

[1] عبد الرحمان بدوي ، موسوعتة الفلسفة ج1،ط1 المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، 1984ص 369.

[2] نقلا عن يمن طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، المرجع السابق ،ص 98.

[3] محمد محمد قاسم ،كارل بوبر ، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي ، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،1976،ص 21 .

تحله أو ما ينشأ عنها من مشكلات دون الولوج في متاهات الكلمات ومعانييها فهي ليست مشكلات أساسية، إنما هي فقط تلهينا عن ما يجب البحث فيه وصرف الفكر إليه، ويؤكد بوبر بعدها تمسكه الشديد بهذه الفكرة محاولا تبريرها كذلك كانت الماركسية ذات تأثير خاص في التطور الفكري لكارل بوبر، على الأقل في أنها مثلت تجربة تحول جذري بالنسبة له، فقد كانت الباعث على فكرة التكذيب والنقد كمعيار مميز لخصائص النظرية العلمية، وعلى إثر ذلك يروي بوبر أنه قد قرأ عدة أعمال لكل من ماركس، إنجلز وبأنه خلال مراهنته كان ينشط ضمن منظمة اشتراكية للطلبة، يحضر اجتماعاتها ويستمع لخطاباتها التي تؤكد على أهدافها السليمة ومقتها الشديد للحرب والعنف وهو ما استهوى بوبر للانضمام إليها والنشاط في إطار برامجها، حتى أصبح بعد فترة شيوعيا خالصا.

ذلك أن هذه المذاهب تعد بتغيير العالم متبعة في ذلك طرقا علمية، لكن هذه الحال لم تلبث إلى أن تغيرت بعد فترة قصيرة، وأتت الأحداث والتعقيدات السياسية، والشكوك من جهة أخرى إلى نهاية غير سارة بالنسبة لبوبر مما أدى به إلى الانقلاب تماما على الماركسية والشيوعية معا، وبدأ يكشف تداعيات الماركسية للعلمية بأنها ببساطة كاذبة وخاطئة سواء كنظرية أو كفلسفة عملية حياتية ، واعترف بوبر خلال ذلك أنه قد قبل مذهب خطيرا.[1]

ويوضح بوبر قائلا: " لن أطلب أن يختار النسق اختيارا نهائيا بالإشارة إليه بمعنى إيجابي، لكن سأطلب أن تكون صورته المنطقية مما يمكن الإشارة إليه بواسطة الاختبارات الأمبرقية بمعنى سلبي، ينبغي على النسق الذي ينتمي إلى العلم الأمبريقي أن يدحض بالخبرة، فالقضية ستمطر أولا تمطر هنا غدا لا يمكن اعتبارها قضية أمبرقية لأنه ببساطة لا يمكن رفضها دحضها في حين القضية ستمطر غدا هي قضية أمبريقية.

لم يكن اهتمام بوبر منصبا على النظريات الأكثر قبولا من حيث تحققها التجريبي لأن مسألة التحقق من النظريات كانت ميزة المنهج الاستقرائي، بالرغم من أن النظريات الملاحظة أو التجربة التي يقوم عليها الاستقراء تساعدنا في التحقق من علمية النظريات، لكن لا يمكن اعتبارها معيارا كافيا للتميز، فالتنجيم مثلا يستعين بالملاحظة إلا أن تصوراته تبقى غير علمية.

كان بوبر متابعا لجميع علوم عصره، والأمر الذي أوحى له بمبدأ التكذيب كمعيار للتمييز هو التبيان الشديد بين الماركسية والفرويدية من جهة ونظرية أينشتين من جهة أخرى وأدرك الأهمية الموضوعية لمعياره في التمييز، حين وجد ملاذا تمينا لتوضيحه من خلال الاختلاف الكبير في طبيعة هذه العلوم. ويؤكد ذلك بقوله:

[1] جورج طرابيشي، معجم اللغة ، ط3 دار الطليعة،بيروت، 2006،ص 198.

" من الضروري أن أشير إلى الجو الذي أدى إلى نشأته مبدأ التكذيب من الأسباب التي ألهمتني إلى صياغته هي:

بعض النظريات التي أثارت اهتمامي، والنظرية الأكثر أهمية بلا منازع كانت نسبية أينشتاين والنظريات الثلاث الأخرى المتمثلة في نظرية التاريخ لماركس ونظرية التحليل النفسي لفرويد، وعلم النفس الفردي لألفرد أدلر.[1]

هذه النظريات كانت موضوع نقاشات واسعة في الوسط الطلابي في ذلك العصر فتساءل بوبر أين أو متى تكون الماركسية والتحليل النفسي وعلم النفس الفردي نظريات غير مرضية ؟وفيم تختلف عن النظريات الأصلية كنظرية نيوتن وأينشتاين؟ تساءل بوبر عن الغائب في هذه النظريات والحاضر في النظريات العلمية الأصلية، كان غرضه من هذا السؤال هو البحث عن معيار حاسم يميز النسق العلمي عن غيره، ولاحظ أن نظرية التاريخ لماركس 1818-1883ونظرية التحليل النفسي 1856-1939 كلها تدعي العلمية وهي في الحقيقة "تشبه الأساطير القديمة أكثر من العلم و تشبه التنجيم أكثر من علم الفلك" فكان جوابه أن النظرية العلمية الحقيقية هي التي لديها القدرة على تقديم تنبؤات قابلة للتكذيب، فالعالم البريطاني آرثر أدنجتون 1882-1944 حاول تكذيب نظرية آينشتاين حول ظاهرة كسوف الشمس، لكنها صمدت أمام جميع الاختبارات، فلو فشلت مرة واحدة لدحضت النظرية برمتها ترى الماركسية والفرويدية والأدلرية أن كل الوقائع والأحداث هي تحقيقات وتأييدات لها وذلك بسبب تبنيها مبدأ التحقق الذي يضمن لها تفسير كل شيء فرفضها بوبر واعتبرها علوما زائفة، لأن مبدأ التحقق أظهر فشله في التميز الحاسم بين العلم واللاعلم،فالتأييد وحده لا يكفي لتأسيس الصدق، إن نظرية نيوتن مثلا قد حظيت بتأييد لا حصر له، لكن لما ظهرت تناقضات بين تنبؤاتها وبين الملاحظات التي رصدها العلماء فندت، وفسحت المجال لظهور نظرية منافسة لها هي نظرية أينشتاين[2]

إن أنصار ماركس وفرويد وأدلر يؤمنون إيمانا راسخا بالقدرة التفسيرية الخارقة لنظرياتهم، أيا كانت الوقائع فتأتي دائما مؤكدة لها، والماركسي يمكنه أن يفتح الجريدة أن تجد في كل صفحة وقائع تؤكد تفسير ماركس للتاريخ والمحللون النفسانيون يصرون على أن نظرياتهم تتحقق باستمرار من خلال الملاحظات العيادية، والشيء ذاته يصدق على نظرية أدلر التي ترى سلوك إثباتا جديدا لنظرية المشاعر الدونية.

---

[1] عادل مصطفى ، مائة عام من التنوير،ص 40،41.

[2] عادل مصطفى ، مائة عام من التنوير، المرجع السابق،ص 41.

يؤكد بوبر أن كل حالة يمكن تصورها إلا تجد لها تفسيرا في إطار النظرية الأدلرية والفرويدية، يوضح ذلك بمثال:رجل يدفع بطفل صغير إلى البحر قصد إيذائه وآخر يضحي بنفسه لأجل إنقاذه، فسرت النظريتان الحاليتين بسهولة متماثلة، فالرجل الأول حسب فرويد يعاني من الكبت ومصاب بإحدى عناصر عقدة أوديب، أما الرجل الثاني يعاني من شعور التعالي بالنجاح، أما أدلر يرى الأول يعاني من مشاعر الدونية والتي ولدت لديه الجرأة على ارتكاب الجريمة أما الثاني فيعاني من مشاعر الدونية أيضا لكن خلقت لديه القوة على إنقاذ الطفل، لا يوجد سلوك إنساني لا تفسره هذه النظرية أو تلك، وهذا هو موضع ضعف وقصور وشك في منزلتها العلمية.[1]

يرى بوبر أن كل من يريد أن تكون نظريته علمية، فيجب عليها أن تكون مثل نظرية أينشتاين تجيب عن السؤال التالي:ما هي الحالات التي تكون فيها النظرية غير مؤيدة؟ أو بصيغة أخرى هل توجد وقائع يمكنها أن تفند أو تكذب النظرية؟اندهش بوبر من الماركسيين والنفسانيين باختلاف انتماءاتهم بادعائهم القدرة على تأويل أي واقعة، واعتبارها تأييدا لنظرياتهم هم على خلاف أينشتاين الذي كان يبحث عن تجارب حاسمة من شأنها أن تكذب نظريته، لأنه يدرك أن النتائج الموجبة ليس بوسعها أن تؤسس صدقها، بل تناقض واحد يمكنه أن يقعدها، فجاء موقفه مخالف تماما للموقف الدوغمائي فالموقف العلمي هو موقف نقدي لا يبحث عن الإثبات والتحقيق، وإنما عن الدحض والتفنيد،لأنه من السهل الحصول على حالات تؤيد وتحقق النظرية، في حين الأمر المهم الذي يجب ألا نغفل عنه هو البحث حالات أخرى مكذبة لها، فهي التي تقرر مصير النظرية ومكانتها العلمية.

عن معيار العلم الأصيل أن يكون قابلا للتكذيب وليس القابلية للتحقيق وفي حين النظريات السابقة تستغل صفة العلم وهي علوم زائفة فلو كانت علوما صحيحة لكان بإمكانها تحديد ما عساه أن يكذبها أو يفندها لأنه يمكن لأي نظرية أن تجد ما شاءت من الملاحظات التي تحققها في حين من الصعب نقدها وإيجاد شواهد مضادة لها، إن منهج العلم الحقيقي عند بوبر خلاف عن مبدأ التحقق هو المنهج الفرضي الاستنباطي، الذي يتحدى النظرية ويعمل على تفنيدها إذا صمدت كل محاولات التكذيب فإنها ستعد أصلا للاستمرار.[2]

المكان محدودا، فلم و ما يكون خارجه إذا ؟ فأقترح أبوه أن يسأل عمه لأنه بارع في شرح مثل هذه المسائل، والذي بدوره سأل بوبر هل لديك مشكلة مع مجموع الأعداد غير المنتهية؟ فأجاب بوبر بالنفي، ثم

---

[1] عادل مصطفى، مائة عام من التنوير، المرجع السابق، ص 41.

[2] يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم ، المرجع السابق ، ص 116.

سأله أن يتخيل صفا من الآجر ويبدأ بزيادة الآجر واحدة بواحدة بلا نهاية، ولكنه لمن يستطيع ملأ المكان أو الفضاء في الكون فقبل بوبر هذه الإجابة التقريبية المفيدة، ولم يقتنع تماما إمكانية إرجاع هذه اللانهاية الممكنة المجردة إلى اللانهاية في الواقع، والذي هو مشكلة فلسفية ميتافيزيقية لم تحل بشكل تام إلا بفرضيات كان آخرها لأينشتاين بأن الكون هو فضاء ريماني مغلق، ويضيف بوبر أنه يتذكر عدة مشكلات فلسفية مشابهة قد واجهته في بداياته، مثل مشكلة أصل الحياة التي لا تزال مفتوحة من أيام النظرية الداروينية، في ما إذا كانت الحياة مجرد عملية كيميائية، وبقاء للأصلح أو الأقوى في التأقلم مع مستجدات الطبيعة، على أن بوبر لم يع هذه إشكاليات مفتوحة وأخذ ذلك على أنه جهل منه وقصر في فهمه سيدركه ويتعلمه يوما ما عندما يتخصص ويتعمق في الدراسة.

ويضيف بوبر في عنوان آخر من سيرته الذاتية متحدثا عن مشكلة فلسفية كانت قد واجهته وهو في الخامسة عشر من عمره، والتي سخر لها قسمين من سيرته كونه قد أحس بأهميتها لديه، وبأن آراءه فيها هي ما يميزه عن معظم الفلاسفة المعاصرين وهي مشكلة المعاني الصحيحة للكلمات وهنا كان بوبر بعد ذلك وخصوصا عند قراءته لبعض أعمال سبينوزا التي اقترحها والده فوجدها ممتلئة بالتعريفات الاعتباطية[1].بشكل دوغمائي لا نقدي وبطريقة ما عندما وجه إليه نظرة نقدية أصبحت الثغرات والتضاربات في النظرية الماركسية واضحة تماما وانقلب بوبر في وقت ما من سنته السابعة عشر ضد الماركسية.

وبما لا يقل أهمية عن المحطات السابقة التي أثرت في تكوين بوبر كانت سنة مليئة بالمواقف النقدية، ونقصد هنا نظرته للتحليل النفسي لفرويد وعلم النفس الفردي لألفرد أدلر، حيث تبين افتقارهما إلى الأسس والمميزات العلمية حين قارنهما بالنظريات العلمية لأينشتاين والتي انبهر بوبر بها وبمدى مطابقتها للواقع الكوسمولوجي وتفوقهما في ذلك على الميكانيكا النيوتينية وإلكترودينامكيا ماكسويل، خاصة بعد محاضرة ألقاها أينشتاين في فينا في ذلك العام، والتي لا يتذكر بوبر فيها سوى أنه بقي منبهرا بها وكشفت مثل هذه اللقاءات عن تموضع كل من ماركس وفرويد وأدلر في جهة وأينشتاين من جهة أخرى ،حيث تمثل الفئة الأولى الموقف الدوغمائي الذي يذهب بحثا عن التحقيق بينما يشكل الأخير موقفا أو نظرة نقدية تبحث عن الاختبارات الحاسمة الاختبارات التي يمكنها تكذيب النظرية المخبرة لكن لا يمكنها أبدا تأسيسها على شكل دائم ومع نهاية 1919 كان بوبر مقتنعا تماما أن ما يميز العالم هو الموقف النقدي[2]

---

[1] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم ، المرجع السابق، ص 116.

[2] محمد محمد قاسم ،كارل بوبر،نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي ، المرجع السابق ، ص 25.

وقد كان بوبر قبلها قد نرك المدرسة بدافع الملل، وبدأ يرتاد الجامعة حيث شغله بشكل مبدئي محاضرات التاريخ و الفلسفة،ثم ركز على الفيزياء والرياضيات وخلال دراسته خصص جهدا معتبرا لدراسة سيكولوجية التفكير متأثرا بأستاذه كارل بوصلو وكتابات أوتو سالز، فكانت تلك الفترة ذات أهمية في تكوين بوبر الفكري بل وحتى خبرته في الحياة العملية كونه استقل بها واندمج في المجتمع ناسجا اهتماماته الثقافية والسياسية التي ظهرت فيما بعد على إثر ذلك التحق بوبر بمعهد لتدريب المعلمين وحاز على شهادة التأهيل لتدريس الفيزياء والرياضيات في المدارس الثانوية، وتزوج بزميلة له في هذا المعهد حيث امتهن الاثنان التعليم ولم يكن حينها قد كتب أي شيء أكاديمي بقدر ما كان يقرأ أو يحدد الخطوط العريضة والحلول للمشكلات الفلسفية التي طورها في أعماله اللاحقة، وهكذا جاء عنوان رسالته للدكتوراه سنة 1929 حول إشكالية المنهج في سيكولوجية التفكير، ليتحدد مجال البحث لاحقا في فلسفة العلوم وعلم المناهج.[1]

وقد تميزت تلك الفترة بأن كان أعضاء دائرة فينا أو الوضعية المنطقية في أوج عطائهم وكان بوبر على صلة وثيقة بأطرافها أمثال كارناب، شليك، ريشنياخ، وفيكتور كرافت وهربرت فايجل الذين يعرفهم بوبر شخصيا، وقد كان لهذا الأخير أثر في مستقبل فلسفة بوبر، وذلك بتشجيعه له على جمع أفكاره في شكل كتاب بعد نقاش مطول دار بينهما وبعد سنتين من الجهد أتم بوبر ما يمكن اعتباره أول كتاب بعنوان المشكلتين الأساسيتين في نظرية المعرفة[2]

التي قرأها فايجل أولا ومن بعده بعض أعضاء حلقة فينا وهو ما ظهر فيما بعد في سنة 1934 تحت عنوان منطق البحث أين طرح بوبر أفكاره في تميز النظريات العلمية ومبدأ التكذيب ونقد الاستقراء و إن تميز هذا الطرح بتأثره ببعض أفكار الوضعية المنطقية إلا أنه يختلف عنها بل وبشكل واضح قد أتى ناقدا لها و لا عجب فقد كان بوبر من أشد المناهضين لأفكارها ومن أكبر نقادها، حتى أنه صرح في سيرته الذاتية أن آرائه في منطق الكشف العلمي قد ساهمت في قتل الوضعية المنطقية[3].

وكانت أوربا في تلك الأثناء وبعدها تشهد ظهور أنظمة شمولية في كثير من أقطارها، حيث كانت النمسا ضحية الشهوة الهتلرية بأن تحتمس كثير من أبنائها للنازية وكنتيجة لهذه الأوضاع انتقل بعض أعضاء حلقة فينا إلى بريطانيا وآخرون إلى الولايات المتحدة في حين قتل شليك سنة 1936 على يد أحد الطلبة

---

[1] محمد محمد قاسم ، كارل بوبر،نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، المرجع السابق، ص 26.

[2] لخضر مذبوح ، فكرة التفتح عند كارل بوبر،ص 71.

[3] لخضر مذبوح ، فكرة التفتح عند كارل بوبر، المرجع السابق، ص 72.

النازيين وبحكم الأصل اليهودي لبوبر اضطر هو الآخر إلى مغادرة وطنه ليشرف على محاضرات الفلسفة بجامعة كانتربري بنيوزلندا حيث وصل إليها في مارس عام 1937 وقضى بها سنوات الحرب العالمية الثانية في جو من العزلة والهدوء فكانت سنوات المنفى هذه وحرقتها في نفس بوبر ذات ثمار هائل لا سيما في فلسفة العلوم الاجتماعية الفكر السياسي إذ قرر بوبر نشر نقده للماركسية وآراءه في العلوم الاجتماعية التي كانت تختمر منذ 1919 بعد تألمه الكبير من اجتياح هتلر للنمسا سنة 1930. فجاءت تلك الأعمال محققة في تهديد الأنظمة الاستبدادية القائمة على التاريخانية للحضارة الإنسانية و مؤكدة على أهمية التفتح الاجتماعي في معالجة الأحداث و ظهرت هذه الأفكار في العناوين التالية المجتمع المفتوح و أعداؤه 1945 ثم عقم التاريخانية الذي نشر أولا في ثلاثة أجزاء في مجلة Economica ما بين سنتي 1944-1945 و ظهر على شكل كتاب فقط في سنة 1957 يقول بوبر في إحدى فقرات سيرته بأنه يشعر هايك قد أنقذ حياته مرتين مدة عند مالم يجد بوبر من يقبل كتابيه المجتمع المفتوح وعقم التاريخانية [1] للنشر وتملكه اليأس من العزلة فتولى هايك مهمة النشر في انجلترا، و مرة ثانية عندما أتيح له أن يحاضر بمدرسة لندن للاقتصاد لاسيما وأن بوبر كان يتذمر جدا من العيش في بلاد المنفى.

وعلى ذلك بدأ بوبر التدريس في لندن سنة 1946 ولم يلبث أن صار بعدها أستاذا للمنطق ومناهج العلوم بجامعة لندن، ومع حلول سنة 1950قام بأول رحلة له للولايات الأمريكية، أين التقى بجماعة من أصدقائه القدامى مثل: كورت جودل الذي لم يره من 1936 كما شيد بوبر بروعة الانطباع الذي تركته هذه الزيارة أين شعر بالحرية والاستقلال الشخصي اللذان تفقدهما البلاد الأوربية وأما ما ميزها حقا في نفسه هو التقاؤه بأينشتاين حيث حضر مع بوبر ويوريه محاضراته وكان جل النقاش مركزا حول نظريته في اللاحتمية.[2]

والتقى بوبر أيضا في تلك الفترة من توماس كون tomas kunn 1922-1966 الذي حضر ندوات بوبر ومحاضراته في أمريكا وزاره فيما بعد إنجلترا ثم لم يلبث أن نال شهرة واسعة بنقده للمنهج البوبري في مؤلفه:بنية الثورات العلمية الذي نشر عام 1962 إلا أن بوبر كان قد عمل على إعادة النظر في منطق الكشف العلمي وتطويره بداية من سنة 1951 وبتلك الملاحق والحواشي التي أضافها زاد في عنوانه الأصلي بعد عشرين عاما، على أساس أن يظهر سنة 1954 و لكنه تأخر لظروف صحية إلى سنة 1959 حيث

[1] زكريا منشاوي الجالي، منهج البحث النقدي عند كارل بوبر، الجمعية الفلسفية المصرية ، آمال ندوة ، القاهرة ،2003، ص 142.

[2] لخضر مذبوح، فكرة التفتح عند كارل بوبر، المرجع السابق،ص 72.

ظهر منقحا ومزيدا وباللغة الانجليزية، ثم ظهرت مجموعة من المقالات والمحاضرات المهمة لبوبر تحت عنوان حدوس وتفنيدات عبرت عن حصيلة خمسة عشر سنة من الجهد، تناولت آراؤه في المنهج العلمي وفلسفته العقلانية، وبعد عقد من الزمن نشر كتاب المعرفة الموضوعية سنة 1972 والذي سخره بوبر في معظمه لتطوير والدفاع عن نظرية العوالم الثلاث التي أكمل طرحه فيها ضمن كتاب النفس ودماغها الذي كتبه بمعية عالم الأعصاب جون أكسلر ثم كتاب بحث ممتد سنة 1974 الذي احتوى سيرته ذاتية وتطوره الفكري.[1]

وعموما إن بوبر منذ الخمسينات واصل بحثه معتزلا في انجلترا لا تخرجه إلا العمل من حين لآخر ليلقي محاضراته في أمريكا، النمسا، اليابان، وبعض المدن الأوربية وباعتبار البرنامج الكثيف الذي كان يلاحقه كفيلسوف ذائع الصيت واصل عطاؤه الفكري من خلال المقابلات التلفزيونية والمقالات الصحفية[2]، ورغم تقاعده سنة 1969 وسوء حالته الصحية لم يوقف كفاحه ضد اللاعقلانية والأنظمة الشمولية، وبعد وفاة زوجته 1985 فضل مغادرة البيت الذي تقاسماه خلال اقترانهما قرب لندن أين كان يساعده سكرتيره في أعماله إلى أن توفي في 1994/09/17.

يبدو أن حياة بوبر كانت حافلة جدا بالأسفار والمحاضرات التي ألقاها في أكبر الجامعات في العالم الغربي حيث حاز على الكثير من الألقاب والتشريفات وتقلد الكثير من المناصب فتاريخه العريض يشهد بمناقبه التي حقا لا مجال لذكرها هنا، وقد كانت سيرته الذاتية عمل لمع فيه تطوره الفكري والفلسفي والعلمي، ومهما يكن فإن ما ميزه هو روحه النقدية التي أدت إلى الجدة فيما أتى به من أفكار.[3]

[1] لخضر مذبوح ، فكرة التفتح عند كارل بوبر ،المرجع السابق، ص 72،73.

[2] لخضر مذبوح ، فكرة التفتح عند كارل بوبر، المرجع نفسه، ص 31.

[3] لخضر مذبوح ، فكرة التفتح عند كارل بوبر، المرجع نفسه، ص 31.

الفصل الأول

مشكلة التمييز بين العلم واللاعلم

(الوضعيين المناطقة وكارل بوبر)

أولا: تأسيس الوضعية المنطقية

ثانيا: التحقيق كمعيار للتمييز

ثالثا: الابستيمولوجيا التطورية ونظرية العلم

رابعا: نمو المعرفة عند بوبر

خامسا: التكذيب معيارا للتمييز وعلاقته بنمو المعرفة

أولا: تأسيس الوضعية المنطقية

الفلسفة المحدثة بدأت تقريبا في عام 1903 حين نبذ مور G.E.Moore وراسل 1879-1970 B.Russel المثالية التي سادت في القرن التاسع عشر. عقب ذلك وكنتيجة لأعمال رسل الريادية وأعمال تلميذه فتجنشتاين Wittgenstein 1889-1951، تطورت في العشرينات - في النمسا- مدرسة كرست نفسها لتشكيل الفلسفة الجديدة. عرف هذه المدرسة باسم حلقة فيينا وعرفت فلسفتها بالوضعية المنطقية.[1]

سميت هذه الحركة الفلسفية المعاصرة بهذا الاسم لأن أنصارها وضعيون بمعنى أنهم كالعلماء يريدون للإنسان أن يقف بفكره عند الحدود التي يستطيع عندها أن يقيم علمه على تجاربه وخبرته وأن يثبت صدق أقواله إثباتا يستند إلى الملاحظة الحسية، وأذن فلا يجوز له أن يجاوز بشطحاته التأملية هذه الحدود، بحيث يزعم ما ليس في وسعه أن يستند فيه إلى الخبرة الحسية، وإلى هنا لا جديد في هذه الحركة لأن الوضعية بهذا المعنى بدأت بصورة جادة منذ كانط Kant و أوغست كونت Auguste Comte اللذين كان في رأيهما كذلك ألا يعدو الإنسان - إذا ما تحدث عن العالم وما فيه - ظواهر الأشياء كما يقع في خبرته[2]، لكن هذين الفيلسوفين كليهما قد ظن أن وراء تلك الظواهر المشاهدة حقائق ليس في وسع الإنسان أن يدركها بأدواته الحسية، أي أن قدرته على معرفة الكون محدودة، أما هؤلاء الوضعيون المنطقيون فيذهبون إلى غير هذا، إذ يعتقدون أن الأمر هنا ليس عجزا في الإنسان كما هو الآن بل إن استحالة منطقية بمعنى أن كل عبارة يقولها قائل عن تلك الحقائق الغيبية لو حللناها، وجدناها فارغة من المعنى لأنها استخدمت ألفاظ اللغة في غير ما وجدت له تلك الألفاظ وبذلك تكون المشكلات الفلسفية كلها، تلك المشكلات التي قيل عنها أنها مستعصية على الحل لعجز قدرة الإنسان الفكرية، في الحقيقة ما هي إلا أشباه مشكلات[3].

ومع ظهور العلم الحديث في حوالي عام 1600 بدأ المذهب التجريبي يتخذ شكل نظرية فلسفية إيجابية قائمة على أسس متينة يمكن أن تدخل في منافسة ناجحة مع المذهب العقلي وكان العصر الحديث هو الذي ظهر فيه أعظم المذاهب التجريبية، أعني مذهب فرانسيس بيكون francis bacon 1561-1626 وجون

[1] براين ماجي رجال الفكر، مقدمة للفلسفة الغربية المعاصرة، ترجمة نجيب الحصادي، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، ص243

[2] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، الطبعة الأتية، دار الشروق، مصر، 1982، ص234.

[3] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص235.

لوك 1632- 1704 وديفيد هيوم david Hume 1711-1776[1]. وبالتالي يمكن أن نعتبر الوضعية المنطقية امتداد لذلك التيار الوضعي.

ترجع جذور جماعة فيينا إلى مجموعة من طلاب البحث المتحمسين الذين اعتادوا في عام 1907على الالتقاء في مقهى قديم في فيينا عاصمة النمساكل ليلة خميس لمناقشة مشكلات العلم والفلسفة ثلاثة من هؤلاء الطلاب كانوا يعملون في مجالات مختلفة هم فيليب فرانك philipp frank الذي كان يعمل في الفيزياء، و هانر هان Hans Hahn الذي كان يعمل في الرياضيات و أوتو نيوراث Otto Neurath التي كان يعمل في الاقتصاد، لكنهم جميعا وجدوا في الاهتمام بفلسفة العلم نقطة التقاء جمعت بينهم، وبعد مرور سنوات عديدة، وتحديدا عام 1921 أصبح هانز أستاذا لكرسي الرياضيات بجامعة فيينا[2]. وعندما أصبحت أستاذية ماخ بولتزمان Mach Boltzmann للعلوم الاستقرائية شاغرة في العام التالي أي عام 1922 استدعت جامعة فيينا شليك من وطنه ألمانيا لشغل هذا الكرسي. فقد كان موريس شليك M.Sclik1882-1936 عالم طبيعة حصل في العام 1904 على درجة الدكتوراه برسالة موضوعها إنعكاس الضوء في وسط غير مجانس تحت إشراف ماكس بلانك: أبي الكوانتم. وعمل أستاذا للفيزياء في جامعة روستوك من العام 1911 حتى 1917. ثم في كيل حتى 1921. ويرفض فينومينولوجيا إدموند هوسرل والكانطية الجديدة[3].

ويعد وصول شليك M.Sclik إلى فيينا عام 1922 علامة يستدل بها على البداية الحقيقية لجماعة فيينا. فشليك في واقع الأمر أعد حلقة النقاش Seminar لمجموعة صغيرة مدعوة، عرفت فيما بعد بجماعة فيينا. في بادئ الأمر كان المشاركون الأساسيون هم هان Han و نيوراث Newrath وفيليب فرانك Philippe Franck، الذي كان يعمل أستاذا للفيزياء النظرية في براج. ثم توسعت المجموعة بعد ذلك لتضم فيكتور كرافت Viktor kraft وهربرت نايجل Herbert Feigi، و فريدريك وايزمان Friedrich

[1] هانز رايشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968، ص 16.

[2] دونالد جيليز: فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة حسين علي، الطبعة الأولى، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، المرجع نفسه، 2009 ص 129-130.

[3] يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية في: عالم المعرفة، عدد 264، ص282.

Waismann وكورت جودل Kurt godel، بالإضافة إلى آخرين واستطاع شليك أن يحصل لكارناب Carnap على وظيفة مدرس في جامعة فيينا والذي انضم إلى الجماعة في عام 1926[1].

وما يلاحظ على أعضاء هذه الحلقة أنهم كانوا علماء وليسوا من الفلاسفة، اتخذت حلقة فيينا صيغة رسمية عام 1929 ففي نفس العام نشرت الجماعة بيانها الرسمي سمي:حلقة فيينا: وجهة نظرها العلمية اشتمل على تصور مختصر لموقف الجماعة الفلسفي وعلى مراجعة المشاكل الفلسفية الخاصة بالرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية التي كانوا يعنون بحلها بشكل خاص. أهمية هذا الكتاب –الذي كتب من قبل كارناب، نيوراث، وهان– ترجع أيضا إلى كونه يوضح كيف تبوأت الحلقة موضعها في تاريخ الفلسفة[2].

وفي عام 1930 قامت جماعة فيينا بالاشتراك مع جماعة برلين بإخراج مجلة فلسفية باسم "أخبار الفلسفة Annalen er philosophie، وكان كل من كارناب 1891-1916 rudolf carnap وريشنباخ H.Reichenbach مسؤولين عنها، ثم عرفت هذه المجلة باسم المعرفة Erkenntnis. وأصبحت منبرا حاولت جماعة فينا بواسطتها نشر أبحاثها في العالم. [3]

وقد أطلق بلومبرج A.E.Blumberg وفايجل Herbert feigl إسم الوضعية المنطقية Logical Positirism عام 1931 على الحركة الفلسفية الصادرة عن جماعة فيينا[4]. وأطلق كارناب على الوضعية الجديدة اسم آخر هو " التجريبية المنطقية ".

ومن المصادر الأساسية التي ارتكزت عليها الوضعية المنطقية المذهب الوضعي التقليدي عند أوغست كونت Auguste Comte 1798-1857 وعند جون ستيوارت ميل John Stuart Mill ، ومن قبلهما إلى المدرسة التجريبية النقدية الألمانية، مدرسة نقد العلم الفرنسية ونظريات رسل وكذلك تطورات المنطق الرياضي وعلم الطبيعة في القرن العشرين الميلادي عند أينشتين Albert Einstein [5]. كما أن أقرب المفكرين من حيث وجهة نظرهم العامة بحلقة فيينا هيوم وماخ. الغريب في الأمر هو أن الكثير من الآراء التي يعتقد الآن في خصوصيتها بالوضعية المنطقية قد قررت – أو على أقل تقدير اقترحت – من قبل هيوم.

---

[1] دونالد جيليز: فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 131.

[2] أي جي مور: كيف يرى الوضعيون الفلسفة، ترجمة: وتقديم نجيب الحصادي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة البيضاء، 1994، ص 23.

[3] حسين علي: فلسفة هانز رايشنباخ، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1994، ص 37.

[4] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 37.

[5] إ. م بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قوني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1992، ص81.

انطلقت التجريبية الحسية الكلاسيكية البريطانية من لوك إلى هيوم من الحواس، لذا فإن تلك التجريبية الحسية قامت على السيكولوجيا، وبخلاف التجريبية الحسية البريطانية، شيدت الوضعية المنطقية على علوم اللغة وكانت معنية بالدرجة الأولى بالمسائل المنهجية المتعلقة بكيفية إثبات المعرفة وصياغة أقوالنا عن الواقع ومتى يمكننا أن نتكلم على مركب مؤلف من التجربة الحسية الكلاسيكية والمنهجية الحديثة والمنطق، وتكون النتيجة تجريبية حسية منطقية[1].

ونتعرف على مبادئها ومواقفها إذا ما اطلعنا على مبادئ هذه الحلقة في بيانها المشهور ب" حلقة فيينا: التصور العلمي للكون"، وعلى نصوص أبرز أعضائها ومؤسسيها.

لقد أعلن هذا البيان، بروح تفاؤلية عن نهاية الفلسفة التقليدية وبزوغ عهد جديد في الفلسفة، هو عهد التصور العلمي للكون حيث تترسخ فيه نقطة التحول الحاسمة في الفلسفة، بناء على توفر مناهج ذات فاعلية علمية من شأنها أن تحسم على نحو جدي الصراعات الزائفة والنزاعات العقيمة التي كانت قائمة بين الانساق الفلسفية وإن الفضل ليرجع إلى جهود رسل 1872-1970 ووايتهد AN. Whithead 1861-1947 وفريجه G.Frege 1848-1925 في تطوير هذه المناهج وفي إرساء المنطق الرمزي الجديد، الذي وجدت فيه الوضعية المنطقية أداة خصبة لتحليلاتها، بالإضافة إلى مستجدات عصرها الأخرى من كشوف علمية كالثورة النسبية التي أحدثها ألبرت أينشتينA. Einstein أما فيتجنشتن L. Wittgenstein 1889-1951 فقد اعتبره الوضعيون المناطقة زعيمهم الروحي الذي استلهموا منه معظم أطروحاتهم الفلسفية[2].

وبالفعل فالتأثير الذي مارسه فيتجنشتين L. Wittgenstein من خلال مؤلفه المهم الرسالة المنطقية الفلسفية وتوجيهها قد بلغ حدا جعل شليك، مؤسس حلقة فيينا، يقول: "إن لودفيج فيتجنشتين L. Wittgenstein كان أول من دفع قدما إلى نقطة التحول الحاسمة". والذي يعنيه شليك Sclik بهذا القول هو أن رسالة فيتجنشتين قد عملت على إحلال نظرة جديدة إلى الفلسفة، بحيث صار من الممكن، انطلاقا منه الحديث عن فلسفة لا تدين إلى الفلسفات القديمة بشيء[3].

---

[1] غنار سكيربك: نلز غيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2012، ص874-875.

[2] نعيمة ولد يوسف: مشكلة الاستقراء في إبستيمولوجيا كارل بوبر، تقديم أحمد موساوي، الطبعة الأولى، إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 45.

[3] المرجع نفسه، ص 45.

وقد عبر شليك Sclik عن هذا المعنى بقوله: << إني مقتنع بأننا نجد أنفسنا الآن أمام نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة، وقد نبعث البذور الأولى لهذا التحول الجديد أصلا من المنطق، وكان ليبنتز Leibniz قد ألمح إلى بداية هذا الاتجاه، ثم فتح كل من رسل Russell وفريجه Frege الطريق إلى ذلك، إلا أن فتجنشتين برسالة المنطقية الفلسفية كان أول من أوصلنا إلى نقطة التحول الحاسمة>>.[1]

ازدهرت هذه الحلقة في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، وكان تركيزها على التحليل المنطقي للغة – أي تطبيق الطريقة العلمية على عبارات وأن اللغة التي تكتب بها مشكلات الفلسفة – وكان معيارهم في ذلك هو التحقق عن طريق الحكم عليها من خلال الواقع الخارجي ويتم كشف العبارات الميتافيزيقية التي تعد عندهم مجرد لغو، وطور أفكار هذه الجماعة كل من موريس شليك Sclik ورودلف كارناب Rudolph Carnap وأتو نيوراث Atto Neurath، وكان من أكبر المناصرين لها ألفرد جوليوس آير Alfred Julius Ayer بالإضافة إلى رسل Russell الذي يعتبر من أهم رواد هذه المدرسة رغم أنه لم ينتمي لها بصفة رسمية، حيث قدموا تحديدا، انطلاقا من القول بأن أي تعبير يتجاوز حدود الخبرة الحسية الممكنة لا يمكن له أن يتضمن أية دلالة موثوق بها.

أما فيما بعد سنة 1930 فإن أفكار الوضعية المنطقية خضعت للتعديل والتصحيح، وذلك لأنهم اكتشفوا أن تطبيقا ضيقا لمفهوم التحقق التجريبي قد يؤدي إلى أن نلغي من العلم كل القضايا المتعلقة بالقوانين الطبيعية، هذه القوانين التي هي تأكيدات عامة لا يمكن التحقق منها، وهذا ما جعلهم يلجأون إلى مفهوم التأكيد ثم القابلية للتأييد، وبعد ذلك استمرت الحلقة تراجع مواقفها وتتراجع عنها إلى أن حصرت اهتمامها بقدر كبير على اللغة.

لكن الاهتمام باللغة لم يكن قاصرا على الوضعية المنطقية أو أول من التفت إلى أهمية الدراسات اللغوية وانعكاساتها على المعرفة الإنسانية بصفة عامة، فهناك العديد من الفلاسفة الذين أكدوا على أهمية اللغة، ولكن الوضعية المنطقية شكلت المنعطف اللغوي الأول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، حيث تمثلت الإضافة الأساسية التي قدمتها الوضعية عموما وفتجنشتاين على وجه التحديد في أن موضوع الفلسفة كله هو موضوع اللغة. هذا ما يؤكده القول أن مهمة الفلسفة هي التحليل المنطقي للغة، وإن عالم الخطاب منقسم إلى قسمين

[1] عزمي إسلام: لدفيج فتجنشتين، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، ص 342.

أساسين: الخطاب العلمي المؤلف من قضايا تحليلية وتركيبية، قابلة للتحقق والبرهان، والخطاب الميتافيزيقي المكون من عبارات خالي من المعنى[1].

وتضافرت عوامل عدة على تفريق شمل هذه الجماعة، ومن هذه العوامل اغتيال رئيسها ومؤسسها موريس شليك Mortiz schlik على يد طالب مأفون أمام مدخل الجامعة في 1936 ومعاداة الجماعة للحكم النازي بعد إتحاد ألمانيا والنمسا في عام 1938 وأخيرا بسبب الحرب العالمية التي اشتعلت في 1939 وانتقل معظم أعضاء الجمعة وأنصارها في هذه الفترة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. [2]

1– أهم روادها:

زعيم الحلقة الأساسي هو مورتس شليك Mortiz schlik 1882–1936. كان شلك ألمانيا وقد جاء إلى فيينا في بداية العشرينات –حين كان في أربعينيات عمره– وشرع في تنظيم الحلقة منذ وصوله. كان قد درس الفيزياء شأنه في شأن معظم أقرانه، وكان معنيا أساسا بفلسفة الفيزياء والواقع أن تبجيل الحلقة للعلوم الطبيعية سمة أساسية من سماتها[3]، الفكرة الأساسية في فلسفة شليك schlik هي أن الفلسفة ليست علما، بل هي نشاط وهذا النشاط أو الفاعلية، تعمل في علم باستمرار، لأنه قبل أن تستطيع العلوم إكتشاف صحة قضية أو بطلانها فلا بد أولا من معرفة معناها، فموضوع الفلسفة هو المعنى ومهمتها هي إيضاح المعنى، فبالنسبة للهدف الأول فيقتضي المنهج الفلسفي تطبيق المنطق الرمزي على التصورات والمفاهيم العلمية، وأما بالنسبة للهدف الثاني فيتطلب الأمر تحليل اللغة التي يستخدمها الفلاسفة وللوصول إلى المنهج الفلسفي كما تصوره شليك لجأ إلى نظرية التحقق من المعني[4].

تبني شليك schlik زعيم حلقة فيينا نظرة إلى العلم لم تختلف في جوهرها عن رؤية ماخ، حتى وصل إلى الاعتقاد بأن قضايا الملاحظة الأساسية هي قضايا عن المعطيات الحسية، وفي النظرة العامة للمعرفة تبني شليك وجهة نظر أكثر واقعية حين أصر على ضرورة أن يكون من الممكن التحقق من كل قضية أو نظرية علمية بمعنى أن يكون هناك دائما تناظر بين نتائجها والوقائع القابلة للملاحظة التي يمكن أن تمثل الموضوعات مكوناتها، وهو اتجاه يشبه لحد ما القضايا الذرية لفتجنشتين.

---

[1] الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2005، ص88.

[2] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 83.

[3] براين ماجي، رجال الفكر، مرجع سابق، ص 245.

[4] فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص87.

أما نيوراث فقد كان من أكثر أعضاء الحلقة إنتاجا رغم أنه لم ينشر في حياته سوى كتاب واحد بعنوان "علم الإجتماع التجريبي" في عام1931 ضمت إسهامات في التصور العلمي للعالم من منشورات حلقة فيينا ولكن بعد وفاته تم رصد 277 عمل له.

إن الأساس الذي انطلق منه نيوراث Newrath هو عداؤه الشديد للميتافيزيقا ودعوته الصريحة لصالح وحدة العلم، إلا أن نيوراث لم يوضح ما يعنيه بوحدة العلم وإن كان يبدو أنه عني بذلك أنه لا اختلاف نوعي بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية وأن سائر القضايا العلمية يمكن التحقق من صدقها بطريقة بينة.

أما كارناب Carnap فلم يكن من الأعضاء المؤسسين للحلقة فقد تمت دعوته للعمل في جامعة فيينا سنة 1926 م حيث ظل هناك مداوما على حضور اجتماعات الحلقة حتى سنة 1931م وفي تلك الفترة نشر كتابه الأساس المنطقي للعالم ولكنه كان من أكثر أعضاء الحلقة نشاطا وصار من أكثر المدافعين عنها فقد أصدر عدد من الكتب التي حملت أفكار الوضعية المنطقية للعالم[1].

وهناك شخصية لها قدر من الأهمية بالنسبة إلى الوضعيين المنطقيين، رغم أن صاحبها لم يكن عضوا في حلقة فيينا، هي شخصية فتجنشتين، فقد كان لنظرياته المنطقية الأولى تأثير كبير على تفكير الوضعيين. ولكن التصورات المتأخرة، ذات الطابع اللغوية التي طرأت على فكر فتجنشتين هي التي حولت الوضعية المنطقية في اتجاه جديد بمجرد أن أصبحت لها ركيزة في إنجلترا[2].

ويرى فتجنشتاين Wittgenstein أن العالم ليس هو مجموع الأشياء، وإنما هو مجموع الوقائع التي تنشئها الأشياء، فالنظرة التي ترى أن العالم هو مجموع الأشياء مرجعها الحس المشترك وليس الواقع، ولذلك رفضها، ووجد أن دراسة العالم تتم بصورة أفضل إذا ما قسم إلى وقائع ذرية. كما أن السمة البارزة في فلسفة فتجنشتاين هي الاتجاه المضاد للماهوية وهو ذلك الذي يرى أن للأشياء ماهيات معينة، وأن اللغة غير قادرة على التعبير عن تلك الماهيات في كثير من الأحيان، ولذلك صب فتجنشتاين كل اهتمامه باللغة. وكان أول الموضوعات التي عالجها فتجنشتاين في رسالته هو البنية المنطقية للقضايا وطبيعة الاستدلال المنطقي، ثم انتقل بعد ذلك إلى نظرية المعرفة ومبادئ العلوم الطبيعية، والأخلاق على التوالي وأخيرا إلى التصوف، ولكي نفهم

[1] فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص89.

[2] برتراند راسل: حكمة الغرب، الجزء الثاني، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1983، ص 226

كتاب فتجنشتاين فإنه من الضروري أن نتبين ما هي المشكلة التي عني ببحثها، فهو في الجزء من نظريته التي يعالج فيها الرمزية، نجده يعني ويهتم بالشروط التي يجب استيفاؤها و توفرها باستخدام لغة كاملة منطقيا[1].

أما عن الأفكار التي إستفادها أصحاب الحلقة من الرسالة فقد تفاوت تأثيرها من عضو إلى آخر، فقد روى آير أن "هانز هان Hans Han " وأوتو نيوراث أبرز أعضاء الحلقة يدينان لفتجنشتين بخصوص اكتشافه المتمثل في أن قضايا المنطق هي تحصيل حاصل، بينما انظم غودل إلى شليك وإلى كارناب في تبني رأي فتجنشتاين في إدانة الميتافيزيقا[2].

أما ألفريد جويز آير Alfred Jules Ayer فهو أحد الأسماء اللامعة في سماء الفكر الإنجليزي المعاصر. وهو أستاذ المنطق بجامعة لندن وأكبر ممثلي المنطقية الوضعية في العالم، ولكنه يختص داخل الوضعية المنطقية باتجاه خاص يطلق عليه اسم التحليل المنطقي. وهذا الاتجاه فرعي داخل المذهب المنطقي الوضعي ولكنه يختص بأهم اتجاهاته وبأبرز ملامحه. وهو الاتجاه الذي يصر آير دائما على تبعيته إليه ويضم جيلبرت رايل Gilbert Ryle أستاذ الفلسفة بأكسفورد وجون ويزدم John Wisdom في كيمبردج. وهذا الاتجاه ليس اتفاقا مذهبيا بقدر ما هو إتحاد حول مفهوم معين الفلسفة ومنهج متقارب في التفكير[3].

وهو يختلف في اتجاهه المنطقي الوضعي عن مدرسة حلقة فيينا التي اشتهرت بولعها بالعلوم الطبيعية وفكرة توحيد المعرفة وهو يختلف من جهة أخرى عن أقرانه من الداعين إلى نفس المذهب بأمريكا حيث تمسكوا ببعض أهداف المدرسة مع الانتقال التام إلى مجال الرياضيات وفقه اللغة. فقد إختط آير لنفسه سبيلا أصح ما يمكن أن يوصف به هو أنه تحليل منطقي يربط بين العبارات المجزأة والواقعة المحدودة، وإستند آير إلى نقد فتجنشتاين لنظرية العبارات الذرية واستطاع من ثم أن ينفصل بمذهبه عن رسل وأن يتعاون مع لفيف من المفكرين المعادلين له في المنحى الفلسفي. وبذلك حدد موقفه أساسا معتمدا على واقعية تحليلية خالصة تقابل الكلمة والكلمة[4].

---

[1] لودفيج فجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1968، ص 31.

[2] جمال حمود، فلسفة اللغة عند لودفيج فتغنشتاين، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص 290.

[3] عبد الفتاح الديدي: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985، ص 358.

[4] عبد الفتاح الديدي: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، المرجع نفسه، ص 359.

2- السمات الفكرية للوضعية المنطقية

- نستطيع أن نلخص السمات الفكرية العامة التي تجمع بين الوضعيين المناطقة في هذه النقاط:
- التأكيد على الاتجاه العلمي.
- التأكيد على وحدة العلم.
- التأكيد على الاتجاه التجريبي الوضعي.
- التأكيد على التحليل المنطقي للغة.
- التأكيد على أن وظيفة الفلسفة هي تحليل المعرفة وخاصة المتعلقة بالعلم.
- التأكيد على أن المنهج المتبع في هذا الصدد، هو تحليل لغة العلم[1].

وللوضعية المنطقية بعض السمات الخاصة التي أثارت حولها الكثير من الجدل والخلاف في النصف الأول من القرن العشرين منها: رفض الفلسفة التقليدية بما في ذلك رفض الفلسفات المثالية والميتافيزيقا لحساب العلم والتفكير العلمي. ويرجع رفضهم للمثالية إلى أنهم ورثة بيرس من ناحية ورسل من ناحية أخرى، وقد حصروا الفلسفة في وضع أسس التفكير العلمي أو خدمة العلم الوضعي وربطوا التراث التجريبي بالتطور الجديد في المنطق[2].

إذ انصب جل اهتمام الوضعية المنطقية على اللغة، وردت الفلسفة كلها إلى الدراسات اللغوية، والدراسات اللغوية في التصور الوضعي المنطقي ليست تقسيمات الدراسات اللغوية العادية من نحو وصرف ولكن تعني البحث الفلسفي في دلالات الألفاظ وقواعد التركيب والبناء اللغوي، وفي هذا جاء تحديدهم لمهمة الفلسفة بأنها العمل على ربط اللغة بالتجربة ربطا عميقا وصيانة الواقع الخارجي صيانة منطقية ولا سبيل إلى تحقيق هذه الغاية في تصورهم إلا عن طريق التسليم بالتحليل المنطقي من أجل صبغ الفكر الفلسفي بخصائص المعرفة العلمية وهي: الوضوح والاتساق الباطني والقابلية للفحص والدقة والموضوعية، ولذلك فإن السبيل لبناء فلسفة علمية ملتزمة باللغة العلمية يكون بالتخلي عن لغة الحياة اليومية.

---

[1] محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص 198.

[2] عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، منشأة المعارف، مصر، 2002، ص21-22.

ثانيا: التحقيق كمعيار للتمييز:

عرف مبدأ التحقيق في دوائر الفكر المنطقي لمدرسة الوضعية المنطقية، لكن أقطاب هذه المدرسة لم يتفقوا على معيار محدد لتمييز هذا المبدأ، رغم أنهم يشتركون في تصورات واحدة بعينها ويواجهون المسائل بنفس الطريقة، فكل واحد من أقطاب هذه المدرسة له رأي مخالف للآخرين. ووجهة النظر الأساسية التي بني عليها موقفهم تقوم على أساس أننا نختبر الفروض أو النظريات عن طريق مواجهتها بالخبرة أو التجربة، أنه بينما يرى بعضهم أن الاختبار يكون بالرجوع إلى الخبرة، يرى آخرون أن قضايا العلم يتم تحقيقها عن طريق اختبارها في مواجهة قضايا أخرى[1].

والحقيقة أن أول صياغة لمبدأ التحقيق كانت من قبل الفيلسوف فايزمان F. Wiesmann، وذلك لاعتقاده الثابت بأن المهم في الفلسفة الجديدة لا يكمن في إيجاد إجابات عن الأسئلة المطروحة، بل في إعطاء معنى لها، وبناء على هذا، فقد اعتبر أن معنى قضية ما هو التحقق منها، وذلك لا يتم إلا على أساس بنية حسية مستمدة من ملاحظاتنا التجريبية المباشرة، بحيث تكون قضايا الملاحظة هي دعامة التحقيق وأساسه[2].

ومن المرتكزات والأسس التي يقوم عليها معيار التحقيق "الملاحظة الحسية" التي تعمل عن طريق ارتباطها بالواقع الخارجي على تكوين خبرة الباحث، ومن خلالها يمكن التحقق من قضية قابلة للاختبار testability والحكم عليها بالصدق أو عدمه، فموريس شليك يؤكد ضرورة ملاحظة الحالات الفردية، لأنه انطلاقا من تلك الملاحظات تقرر خبرة الباحث صدق القضية أو كذبها، يقول: " إنه حتى نفهم قضية ما ينبغي أن نكون قادرين على أن نشير بدقة للحالات الفردية التي تجعل القضية صادقة، وكذلك الحالات التي تجعلها كاذبة وهذه الحالات هي وقائع الخبرة[3].

ويعد شلك schlick أول من قام بصياغة هذا المبدأ – في إطار دائرة فيينا– بعد المناقشات الطويلة التي دارت بينه وبين فتجنشتين، من جانب، ومن إحدى قضايا الرسالة، خاصة القضية التي يقول فيها فتجنشتين ولأن نفهم معنى قضية ما، هو أن نعرف ما هنالك، إذا كانت صادقة فقد عرفت هذه القضية في دائرة فيينا بأنها الإعلان الصريح من جانب فتجنشتين لقبول مبدأ التحقيق الأمر الذي جعل أصحاب الوضعية، يذهبون إلى أن معنى القضية إنما تحدده طريقة قبولها للتحقق، أو بعبارة أخرى لا يصبح القضية معنى

---

[1] ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985م، ص278-279.

[2] نعيمة ولد يوسف: مشكلة الاستقراء في إبستيمولوجيا كارل بوبر، مرجع سابق، ص 49.

[3] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص65-66.

إلا عندما نتبين إمكان تطبيقها تجريبيا. وهذا التصريح يرتبط بموقف الوضعية المنطقية من إنكار الميتافيزيقا، وهو ما سبق أن نادي به هيوم في تصنيفه للقضايا إلى نوعين: الأول قضايا منطقية ورياضية والثاني القضايا التجريبية[1].

حيث ميز هيوم Hume في القرن 18 بين القضايا التحليلية وهي القضايا التي تختص بعلاقات الأفكار منها العلوم الرياضية كالهندسة والجبر حيث تقتصر إمكان المعرفة عليها باعتبارها علوم برهانية والقضايا التركيبية التي تختص بمسائل واقعية تعتمد على التجربة ويسميها هيوم بعلاقات الوقائع أما القضايا التي لا تنتمي إلى أي من هذين النوعين فهي مجرد وهم وسفسطة.

قدم شليك schlik أول صياغة محددة لمبدأ التحقيق، في عبارته المشهورة التي يقول فيها إنه حتى نفهم قضية ما ينبغي أن نكون قادرين على أن نشير بدقة إلى الحالات الفردية التي تجعل القضية صادقة، وكذلك الحالات التي تجعلها كاذبة، وهذه الحالات هي وقائع الخبرة. فالخبرة هي التي تقرر صدق القضايا أو كذبها، فالقضية توصف بالصدق أو الكذب، عن طريق إحالتها للخبرة مباشرة، لنرى هل هناك في الواقع الخارجي واقعة تشير إلا ما تقوله القضية أم لا[2].

يحتل هذا المبدأ مركزا محوريا في فلسفة الوضعية المنطقية، ولا يعني هذا أن مبدأ التحقيق يعد إختراعا خالصا للوضعية المنطقية، وإنما هو مفهوما براغماتيا المعنى الشيء المدرك، قال به الفيلسوف الأمريكي تشالزبيرس، كما أنه يعد مذهبا إجرائيا Operatiotism قال به الفيزيائي الأشهر إينشتين قبل أن تأخذ به الوضعية المنطقية. أما المصطلح ذاته فهو من صياغة فيلسوف العلم بريدجمان [3] pridgman.

يميز كارناب Carnap بين نوعين من التحقيق: تحقيق مباشر، وتحقيق غير مباشرة التحقيق المباشر هو الذي يمكننا من اختبار قضية بشكل مباشر، وذلك عن طريق الإدراك الحسي الحالي أو الحاضر مثل أرى الأن مربع أحمر على أرض زرقاء، فإذا كنت أرى حاليا مربعا أحمر على أرض زرقاء، لتققت القضية بشكل مباشر بهذه الرؤية، أما إذا كنت لا أرى ذلك إذن لكان ذلك دحضا للقضية.

ويعتمد هذا النوع من التحقيق على ما أسماه الوضعيون الجمل البروتوكولية protocal-sentences وهي تلك الجمل التي تنتمي إلى بروتوكول أساسي أو تسجيل مباشر لتجربة العالم الفيزيائي أو السيكولوجي

---

[1] ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق، ص 279.

[2] ماهر عبد القادر محمد علي، مرجع سابق، ص 280.

[3] السيد تفادي: معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التحقيق المنطقية، مرجع سابق، ص 09.

ويدخل في هذه الفكرة توضيح الإجراء العلمي والفعلي إذا كانت التجارب والإدراكات الحسية، والشعور والأفكار في الحياة اليومية[1]. أما التحقيق غير المباشر، فهو الذي يركز عليه كارناب اهتمامه، وذلك لأن معظم قضايا العلم إنما تقوم على هذا النوع من التحقيق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأن هذا النوع من التحقيق هو الذي يمكننا من اكتشاف القضايا الأصلية من القضايا الزائفة[2].

أما آير فيبدأ شرحه للمبدأ بأن يميز بين التحقيق القوي والتحقيق الضعيف أو بمعنى أدق المعنى القوي والمعنى الضعيف لعبارة ممكن التحقيق. نقول عن قضية ما أنها ممكنة التحقيق بالمعنى القوي إذا كان من الممكن إثبات صدقها إثباتا حاسما ولكن القضية ممكنة التحقيق بالمعنى الضعيف إذا كان من الممكن للخبرة أن تجعل لتلك القضية صدقا احتماليا وينتقل بعد ذلك إلى الإشارة إلى أن القضايا التي يمكن تحقيقها بالمعنى القوي نوعان[3]:

القضايا القبلية أي قضايا المنطق والرياضيات، والقضايا الأولية Basic propositions وهي القضايا الوجدانية والقضايا التي تعبر عن الإحساسات والانفعالات الشخصية، ويكون تحقيقها بالرجوع إلى الوقائع مباشرة من حيث تمثل الخبرة الراهنة. أما القضية التي تتصف بأنها ممكنة التحقيق بالمعنى الضعيف فهي تلك التي إذا كان من الممكن للخبرة أن تجعل لتلك القضية صدق احتماليا، بمنى الميل للتصديق، وهذا المعنى ينسحب على قضايا العلوم التجريبية مثل الفيزياء[4].

يؤيد رسل Russel موقف آير Ayer في موقفه من القضايا الأولية، وقد ذكر تأييده في مقال في التحقيق يعرف رسل القضية الأولية بأنها ما نعتقد بها اعتقادا تاما عن طريق خبرة واحدة. ويحلل تلك القضية من جوانبها النفسية والمعرفية. أما من الجانب النفسي يقول رسل إذا قلت أني أسمع صوتا خارج الحجرة التي أجلس فيها، وأقول ما هذا الصوت؟ إن سؤالي هذا لا يتضمن شكا في حدوث الصوت فذلك ما أعتقد بحدوثه تماما، ولكنه يتضمن محاولة معرفة مصدره وظروفه. لم أعتقد بهذه القضية قبل سماع الصوت، وحين اعتقدت بها اعتقدت بها السبب وحيد وهو أني سمعت الصوت. قد يقال أن الخبرات السابقة قد ساعدتني على سماع الصوت. ولكن ليست الخبرات سبب الاعتقاد هو المعطى الحسي ذاته[5].

---

[1] السيد تفادي: معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التحقيق المنطقية، مرجع سابق، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص 12.

[3] محمود فهمي زيدان: الإستقراء والمنهج العلمي، مرجع سابق، ص 190.

[4] ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق 283.

[5] محمود فهمي زيدان: الإستقراء والمنهج العلمي، مرجع سابق، ص 196-197.

وانشغل ريشنباخ Reichenbach بدوره بمعيار التحقق وقابلية القضايا للاختبار، وجعل هذا المعيار الأداة المنطقية للمذهب التجريبي الذي يستطيع من خلاله التمييز بين ما هو علمي وما هو خارج إطار العلم في النظرية القائلة إن المعنى هو قابلية التحقيق" هي الأداة المنطقية التي يستطيع بها المذهب التجريبي أن يتغلب على ثنائية عالم المظاهر وعالم الأشياء في ذاتها، فهي تستبعد الأشياء في ذاتها لأنها تؤكد أن الكلام عن أشياء لا تقبل المعرفة من حيث المبدأ هو كلام لا معنى له.

فتأتي أهمية معيار قابلية التحقق عند ريشنباخ Reichenbach من خلال فاعليته في نظرية المعني، فإن آلية التحقق تعمل على التمييز بين الجمل ذات المعني، والتي تطابق معطيات الواقع، والجمل الخالية من المعنى، والتي لا وجود حسي لها[1]. يقول ريشنباخ: << وتعد الإشارة إلى القابلية للتحقيق عنصرا ضروريا في نظرية المعنى فالجملة التي لا يمكن تحديد صحتها من ملاحظات ممكنة هي جملة لا معنى لها [...] إن التجريبيين في جميع العصور قد أكدوا أن المعنى يتوقف على القابلية للتحقيق [...] فنظرية المعني من حيث هو قابلية التحقق هي جزء لا يتجزأ من الفلسفة العلمية>>[2].

وتوجد طريقتان للتحقيق من صدق معاني الجمل على ما يرى ريشنباخ : هناك الطريقة المباشرة حيث يقوم الباحث بالتحقق من مدى تطابق جملة معينة مع الواقع وبناء على ذلك يقرر إما صدق الجملة أو عدمه، فالقول "إن الشمس مشرقة" جملة لها معنى وذلك لسهولة التحقق المباشر من صدقها. أما الطريقة غير المباشرة للتحقق فتتمثل في التحقق من قضية معينة مثل "لا وجود لمادة الأثير في العالم الواقعي" التحقق منها يتم بطريقة غير مباشرة من خلال الاستعانة بوسائل ومناهج مساعدة لتقرير ما إذا كانت ذات معنى أم لا[3].

أما نيوراث Neurath فإنه يؤسس موقفه على أساس أن القضايا تقارن بقضايا مثلها لا بالخبرة أو الوقائع، أو بأي شيء آخر. فالخبرة أو الواقع أمور بلا معنى، وتنتمي إلى الميتافيزيقا، وبالتالي لابد من رفضها، والبحث عن الأصل الذي يخلو من الميتافيزيقا. ومن ثم فإنه يرى أن القضايا لابد وأن تجيء صياغتها متفقة من نوع من القضايا التي يطلق عليها قضايا البروتوكول، ورأى نيوراث فيما يتعلق بقضايا البروتوكول يبدو أنه مستمد من نظرية الاتساق Ccherence therory التي تذهب إلى أن قضية ما مقبولة إذا اتسقت مع القضايا المقبولة الأخرى، ومرفوضة إذا لم لم تتسق مع تلك القضايا المقبولة والتي ترى أيضا أنه إذا كنا

---

[1] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 70-71.

[2] هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، مرجع سابق، 1968م، ص 225.

[3] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق. ص 71-72.

متحمسين لقضية ما تتعارض مع نسقنا المألوف من القضايا فإنه يجب علينا في هذه الحالة أن نستبعد قضية أو أكثر من القضايا التي قبلناها من قبل[1].

أما رسل B.Russell 1872-1970 فقد كان مهتما منذ بدء حياته الفلسفية بإقامة الفلسفة علما ومن مقومات العلم أن يكون له منهج محدد، وقد حدد رسل لنفسه منهجا فلسفيا، كان يسميه بأسماء عدة: التحليل المنطقي، التحليل الفلسفي، المنهج العلمي في الفلسفة، وكان يعتقد في الأطوار الأولى من فلسفته أن هذا المنهج موضوعي محايد يقوم على مبادئ يجب أن يقبلها كل دارس مخلص بغض النظر عن مزاجه وإن كان رسل اعترف فيما بعد أن المنهج مرتبط بمذهب معين[2]، في حين يرى كارل بوبر: صحيح أننا نستطيع أن نبني – كما فعل رسل – لغة مجسدة لنظرية الأنماط، فتكون عباراتها غير مصاغة جيدا أو غير ذات معنى، ولكننا نستطيع أيضا أن نفعلكما فعل زير ميلو وخلفاؤه أن نبني لغة تكون عباراتها المطروحة للبحث غير خاضعة لنظرية الأنماط، لكن مصاغة جيدا و بالتالي ذات معنى وحتى صادقة[3].

من خلال ما تقدم يمكن إدراك أثر الصيرورة التاريخية في تطوير مفاهيم العلم ومعاييره، فمعيار قابلية التحقق في بعض جوانبه استمرار لمعيار التجربة، وذلك من خلال تأكيد أنصار الوضعية على أهمية الواقع والخبرة الحسية والتجربة، وإن ما قدمه أعضاء الوضعية المنطقية من تحليل منطقي ورياضي، وتفكيك القضايا، وتصنيفها وتطوير المعيار قابلية التحقق من معناه القوي إلى معناه الضعيف، يدل على التطور الذي طرأ على النسق المفهومي العلمي، فهم فلاسفة العلم لهذا التطور. إلا أن مقاربة معيار قابلية التحقق للواقع وتساوقه مع معطيات العلم المعاصر، لم يمنع من بروز اعتراضات كثيرة وانتقادات وجهت إلى أنصاره وإلى الركائز التي قام عليها هذا المعيار[4].

لقد واجه أنصار الوضعية المنطقية انتقادات متعددة وخاصة فيما يتعلق بمعيار قابلية التحقيق الذي انشغلوا في الدفاع عن أسسه، ومن ثم العمل على تطويره. ومن التطورات التي انبثقت عن معيارهم هذا ما طرحه كارل همبل Karl Hempel في هذا السياق "معيار قابلية التأييد"، فبعد قيام الباحث بصوغ فروضه

---

[1] ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق، ص 281.

[2] محمود فهمي زيدان: مناهج البحث الفلسفي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م. ص 144.

[3] karl popper, conjectures and refutations, routledge and kegan paul, fourth 1 editon, 1976, p211.

[4] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 77.

يعمل على اختبارها، ولكن هذا الاختبار لا يقدم له تحقيقا حاسما، بل تأييدا مؤسسا على بعض البيانات، فالبينة تؤدي دورا هاما، لأنها الدعامة التي يستند إليها الباحث في تأييد فروضه أو رفضها. إن قابلية التأييد، كما هو واضح من الصياغة، لا تقدم للنسق العلمي إلا نتائج احتمالية، فالنظرية قابلة لأن تؤيد ببينات متعددة ولأن هذه البينات لا تجعل صدقها مطلقا[1]. إلا أن غاستون باشلار Gaston Bachelard يرى أن مبدأ التحقق الذي يطرحه الوضعيون لا يصلح أن يكون معيارا مضمونا التمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي، ذلك أن بنية العلم هي الانفتاح والجدل والنفي، فالعلم يتجاوز نفسه باستمرار، ويعيد النظر في قيمته ومواثيقه، فهو غير ناجز النمو وغير تام الاكتمال[2].

إننا نجد كارل هيمبل Carl Hempel يبتعد بأفكاره عن مبدأ التحقيق، ويتخذ طريقا مخالفا لكل الآراء التي ذهبت إليها الوضعية المنطقية، ويقترب إلى حد ما من موقف كارل بوبر. فقد وجد هيمبل أن مبدأ التحقيق يفضي إلى مشكلات منطقية لا يمكن الخروج منها، فضلا عن أن تاريخ العلم لا يدلنا بصورة واضحة على ما يمكن أن نسميه بالتحقيق، فالعلوم تسعى لدرجة من التأييد، لأن التحقيق التام أمرا مستحيلا لارتباطه بالاستقراء، فإذا كنا نبحث عن التحقيق للفروض التي يضعها العالم وهو بصدد تفسير الظواهر، فإن هذا الإجراء يتطلب منا أن ننتظر نهاية العالم، حتى يمكن أن نتحقق بالمعنى الدقيق لكلمة التحقيق، ويرى أن نتائج الاختبارات التي تجري بالنسبة للفروض لا تزودنا ببرهان حاسم، يمكنهم على أساسه أن نقبل الفرض. فالاختبارات تقدم لنا بنية evidence تؤيد الفرض بدرجة أعلى أو أقل[3]. ويكون قبول الفرض بالتالي مرهونا بمدى التأييد الذي وجده، وهنا انتقل معيار التمييز لدى الوضعية المنطقية من الحديث عن التحقق يتضمن اليقين والتثبت إلى التأييد الذي يتحدث عن قبول احتمالي وبعيد جدا عن اليقين.

والقول بالقبول على أساس درجة فاحتمال فرضته عوامل متعددة بالإضافة لاستحالة التحقق في كثير من الحالات فأحيانا لا نستطيع التعرف على كل العوامل المؤثرة على الظاهرة المعينة وغياب أحد أو بعض العوامل يؤثر على عملية التحقق ومن ثم على التنبؤات المستقبلية، بالإضافة لضعف وسائل الاختبار والتجريب واختلاف درجات وسائل الإدراك لدى المجربين وعوامل خارجية مثل المعتقدات الإيديولوجية والدينية، التي غالبا ما تؤثر على رؤية المجربين.

---

[1] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق،ص 83.

[2] سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986. ص 147.

[3] ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق، ص285.

1- معيار القابلية للتحقيق ووضعه الابستيمولوجي :

هل يمكن تبرير القابلية للتحقيق إبستيمولوجيا ؟.

إن الإجابة على هذا التساؤل مرتبطة بالأساس المنطقي الذي بني عليه بوبر رفضه لمعيار القابلية للتحقيق، ذلك أن بوبر بني رفضه لمعيار القابلية للتحقيق إبستيمولوجيا على نفس الأساس الذي بني عليه رفضه لمعيار القابلية للتحقيق منطقيا، مستعملا بذلك "مبدأ التحويل"، حيث يقول: "إن ما هو صادق في المنطق، صادق في المنهج العلمي، وفي تاريخ العلم"[1].

ففي تصور بوبر إن النظريات العلمية، والقوانين العلمية، والمنهج العلمي، لا تبرر معيار القابلية للتحقيق من الناحية الابستيمولوجية، وذلك لارتباطهما بالاستدلال الاستقرائي فمادام هذا الأخير – كما رأينا سابقا – لا مبرر لإقامته منطقيا فإن المنهج العلمي ليس منهجا استقرائيا، كما أن القوانين والنظريات العلمية لا يتم الوصول إليها عن طريقه لأنها تعميمات كلية لا وجودية مما يشكل استحالة ردها إلى الخبرة الحسية، وهذه الاستحالة هي التي تحدثنا عنها في الفصل الأول، فلو أخذنا مثلا: قانونا علميا من قوانين الديناميكا الحرارية وهو "لا توجد آلة أبدية الحركة" لوجدناه غير قابل للتحقيق، وهذا يترتب عليه أن معيار القابلية للتحقيق لا يمكن تطبيقه على النظريات والقوانين العلمية إذ يضعها في مرتبة واحدة مع الميتافيزيقا. وعلى هذا يكون معيارا سلبيا لم يقم بالوظيفة التي أنيطت به، والمتمثلة في تحديد العلم واستبعاد الميتافيزيقا عنه، فبدلا من أن يقصي الميتافيزيقا وحدها من ميدان المعنى، قام أيضا باستبعاد وإقصاء قوانين الطبيعة من ميدان المعنى[2] إذ يجعلها تنتمي إلى القضايا التي لا معنى لها. وهذه النتيجة حسب رأي بوبر تقضي على أهم مشكلة تبحث فيها نظرية المعرفة* ألا وهي مشكلة الاستقراء[3]. ذلك أنه إذا قبلنا معيار القابلية للتحقيق، فإنه يجب علينا أن نقبل أن قوانين الطبيعة ليست قضايا علمية لأنها لا تنتمي إلى القضايا ذات المعنى، و إذا قبلنا أن قوانين الطبيعة هي

---

[1] Popper. Karl. R: la connaissance objective : p. 46

[2] Popper, Karl. R : la logique de la découverte scientifique, p. 33.
: Conjectures et réfutations, p. 385.
: Les deux problèmes fondamentaux de la théorie de la connaissance, traduit de l'allemand par Christian Bonnet, éditions Hermann, Paris, 1998, p.385.

* نظرية المعرفة (La théorie de la connaissance)، والإبستيمولوجيا (Epistemologie)، وفلسفة العلوم (La philosophie des sciences)، والميثودولوجيا (Methodologie)، عند (بوبر) تحمل معنى واحد، إنها "ميثودولوجيا العلم التجريبي"، ومصطلح "الميثودولوجيا" له معناه الخاص عند (بوبر) ، بينما تختلف معاني هذه المصطلحات عند البعض، أمثال: (لالاند) Lalande.

[3] Popper. Karl. R: Les deux problèmes fondamentaux de la théorie de la connaissance, p. 305

قضايا لا معنى لها، ففي هذه الحالة يجب علينا أن نقبل أن مشكلة الاستقراء تنتمي إلى القضايا التي لا معنى لها، وما دامت تعد بحثا في صحة قوانين الطبيعة، فلماذا نبحث إذن في قضايا زائفة لا معنى لها.وعلى هذا فمعيار القابلية للتحقيق يقضي على مشكلة الاستقراء، وهذا هو الجانب الذي رآه بوبر إيجابيا في معيار التجريبانية المنطقية.

علاوة على النقد الذي وجهه بوبر لمعيار التجريبانية المنطقية المبني على أساس منطقي وابستيمولوجي، فإنه يرى أن محاولة التجريبائية المنطقية لتمييز العلم عن الميتافيزيقا، كانت منصبة حول توضيح مفهوم "القضايا ذات المعني"، في مقابل "القضايا التي لا معنى لها"، فكانت النتيجة أن قدمت تعريفات جوفاء، ذلك أنه إذا قبلنا كلمة "لا معنى لها" تعني "لا تنتمي إلى العلم التجريبي" وكلمة " ذات المعنى" تعني "تنتمي إلى العلم التجريبي" . فإنه يجب علينا أن نقول أن العبارة " الميتافيزيقا لا معنى لها"، لا تعني سوى أن "الميتافيزيقا لا تنتمي إلى العلم التجريبي"، في حين أن الميتافيزيقا عرفت عادة بأنها لا تنتمي إلى أبحاث ذات علاقة بالعلم التجريبي"[1]. وعلى هذا حسب تصور بوبر التطابق Identification الذي رسخه التجريبيون المنطقيون بين المعنى والعلم هو الذي أفسد معيارهم للتمييز.

هذه هي أهم الانتقادات التي وجهها بوبر المعيار القابلية للتحقيق.

وخلاصة القول فإن بوبر انتهى إلى رفض الاستقراء[2]، ورفض هذا الأخير يعني رفض ما يرتبط به من مفاهيم تقوم عليه منها: القابلية للتحقيق، وبرفض بوبر لهذه الأخيرة نجد أنه يدعو إلى البحث عن معيار آخر ملائم، لأن العثور على معيار مقبول سيكون هدفا حاسما لكل إبستيمولوجيا ترفض المنطق الاستقرائي[3].

ثالثا: الابستيمولوجيا التطورية ونظرية العلم:

1- أهمية نظرية داروين في منطق العلم:

إن الداروينية هي القول أن تبدل الأنواع ناتج عن الانتخاب الطبيعي، وبهذا المعنى مقابلة للاماركية لامارك التي تقرر أن تغير الأنواع ناشئ عن التكيف بوساطة الممارسة والوراثة[4].

---

[1] Popper, Karl. R: la logique de la découverte scientifique, p. 32
"En effet, on a habituellement défini la métaphysique comme une recherche non empirique".

[2] يجدر بي أن أشير في هذا المقام إلى أن (بوبر) يرفض الاستدلال الاستقرائي التجريبي الذي يستخدم في العلوم التجريبية، أما عن الاستدلال الاستقرائي الرياضي، فلم ينكر وج وده ، و هذا ما صرح به في كتابه " منطق الكشف العلمي "، ص. 37.

[3] Popper, Karl. R: la logique de la découverte scientifique, p.31.

[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفى، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ج 1)، الداروينية، ص 556.

يقول بوبر: "إن نظريتي لتطور المعرفة بواسطة المحاولة وإلغاء الخطأ هي انتقاء دارويني لا توجيه لاماركي instruction lamakienne"[1]. فتطور العلم مماثل للانتخاب الدارويني، فهو انتخاب بين الفروض العلمية، لتقصي الضعيفة، وتبقى تلك تكيفت مع الوضع العلمي الجديد. يرفض بوبر أن تكون نظريته مماثلة للمقاربة اللاماركية التي قدمها العالم الفرنسي جان لامارك Jean Lamarck 1744-1829، ومفادها أن التغير العضوي الذي يحدث عند الكائن الحي مرده إلى الظروف البيئية. وإن كل تغير في البيئة يتبعه تغير في سلوك الكائن الحي، فالذي لا يتكيف مع التغيرات البيئية يفنى. إن هذه النظرية جعلت دور الكائن الحي سلبيا، فهو مجرد متلقي للمؤثرات، والبيئة هي التي تتحكم فيه. في حين نظرية شارلز داروين Charles Darwin تذهب إلى أن الحياة صراع من أجل البقاء، وكفاح مستمر. وجميع الكائنات الحية تتنافس في الحصول على الغذاء، فالقوي يأكل الضعيف والعناصر القادرة على التكيف مع البيئة تبقى، أما الأقل تكيفا فتفنى. فهذه النظرية تعول كثيرا على إمكانات الكائن الحي. بوبر أعجب كثيرا بتحليلات داروين إلى درجة أنه يعتبر منطق العلم انتقاء طبيعي، فهو صراع وتنافس بين النظريات، والبقاء لأصلحها.

يقول بوبر Popper: " إن تطور المعرفة وعملية التعلم ليست عملية تكرار وتراكم بل عملية إلغاء للخطأ. وهي انتخاب دارويني"[2]. إن المقاربة النقدية للعلم هي مقاربة داروينية، استعبادية، انتخابية. وهي معارضة للمقاربة الاستقرائية التي هي مقاربة لاماركية لأنها تعمل بفكرة التوجيه من الخارج. بينما لا تسمح المقاربة الداروينية إلا بالتوجيه من الداخل، من داخل بنيتها ذاتها.[3] فالاستقرائيون لاماركيون يجعلون للباحث العلمي دورا سلبيا، إذ يتلقى ملاحظات حسية من الطبيعة، ويعممها في قانون علمي. أما بوبر يجعل للعالم دورا إيجابيا، فهو الذي يضع الفروض ويخلق النظريات، تماما كما جعل داروين للكائن الحي دورا فعالا في الحفاظ على بقائه. ويؤكد بوبر أن المعرفة العلمية هي جزء من هذا التطور، فالتقدم يكون باستئصال النظريات الضعيفة من خلال الضغط الذي تمارسه الشواهد المناقضة لتكون دافعا لتكذيبها واستبعادها، لتفسح المجال لأصلح النظريات وأفضلها. فالتكذيبية البربرية هي داروينية لأنها تفسر التقدم العلمي على أنه صراع، دحض، ثورة، النظرية القوية تفند الضعيفة، باستثناء أن العلم، « يستبدل إلغاء الخطأ في الصراع العنيف من أجل البقاء

---

[1] Karl Popper, la quête inachevée, p236.

[2] Karl Popper, la connaissance objective : une approche évolutionniste, pp. 230,231.

[3] كارل بوبر، أسطورة الإطار في الدفاع عن العلم والعقلانية، تر: يمنى طريف الخولي، الكويت، عالم المعرفة، 2001، ص41

بالنقد العقلاني غير العنيف» [1] أما النزعة الاستقرائية هي لاماركية لأنها تفسر تطور العلم على أنه تراكم متنامي هادئ لا ثورة فيه ولا نزاع.

رغم أن بوبر Popper لا يعتبر نظرية داروين Darwin نظرية علمية، إلا أنها كانت الخلفية المرجعية لأطروحته المعرفية. حيث نقل نظرية التطور البيولوجي إلى العلم بعد إجراء بعض التعديلات هذه النظرية تقول إن التطور يحدث من خلال الصراع من أجل البقاء، فتنقرض أنواع وتبقى أنواع أخرى بفضل التغيرات التي طرأت عليها، مما يجعلها أكثر تكيفا مع المحيط.

فبوبر لا يعتبر هذه التغيرات ناتجة عن حتمية المحيط، بل عن الجهود التي يبذلها الكائن الحي بواسطة المحاولة والخطأ، من أجل حل المشكلات التي تواجهه. فالحيوانات التي لا تحل مشكلاتها ولم تتكيف مع تغيرات المحيط تفنى، أما الناجية فهي التي تكيفت جيدا لحد الآن. فالتعديل الذي أدخله بوبر والذي يجعل في نظره من نظرية داروين صياغة منطقية وتحصيلا حاصلا، أنه جعل الكائن الحي يعمل بطريقة المحاولة والخطأ، واستبدل عبارة داروين " يملك صفات تؤهله لحد الآن للبقاء" بعبارة أخرى والتي تعني الشيء نفسه وهي: " قد تكيف جيدا لحد الآن"[2]. رغم هذا التعديل إلا أن بوبر بقي داخل حدود نظرية الانتخاب الطبيعي ولم يتجاوزها.

فيما يخص مسألة الوضع العلمي للنظرية الداروينية، توصل بوبر إلى نتيجة فحواها داروينية ليس لها طابع نظرية امبريقية، وبالتالي ليست نظرية علمية يمكن اختبارها. لكن هي برنامج بحث ميتافيزيقي، وتصلح كمرجعية لدراسة النظريات العلمية، وهي إطار بحثي ملائم لها، لما فيها من البداهة المنطقية. وهي تنتمي إلى منطق المواقف logique situationnel. وفي هذا الصدد يقول:« بقبول النظرية الداروينية كمنطق للمواقف، يمكننا تفسير التماثل بين نظريتي في تطور المعرفة والداروينية ... هو أن كليهما يمثلان حالات من منطق المواقف. لكن الأمر المميز في الموقف العلمي هو النقد الواعي التخمينات التي افترضناها»[3].

2- العلاقة بين المنهج النقدي والدارويني:

إن التعلم يكون بالمحاولة والخطأ، نحاول ونخطئ. إن عملية إلغاء الأخطاء تستند أساسا على تعدد محاولات الحل، فنقصي غير المجدية، ونبقى نحاول إلى أن نصل إلى محاولة حاسمة تحل مشكلتنا. يؤكد بوبر أن المنهج النقدي الذي يصف تطور المعرفة الموضوعية التي تحصل في العالم الثالث، يمكنه أن يصف أيضا التطور البيولوجي. فالحيوانات وحتى النباتات هي كائنات تحل مشكلاتها بواسطة المحاولة وإلغاء الخطأ لتتكيف مع

[1] Ibid, p.151
[2] Ibid. pp. 130,131.
[3] Karl Popper, la quête inachevée, pp 237-239

محيطها. [1] لكن المنحنى الذي يلائم التطور البيولوجي هو المنحني ذو المستويات الثلاثة، المشكلة، محاولات الحل، الإلغاء. فتعديل في شروط الوسط أو في البنية الجسمية للكائن قد يؤدي إلى مشكلة جديدة، وهي مشكلة التكيف فالكائن الحي لن يبق على قيد الحياة، إلا إذا حل المشكلة التي تواجهه في بيئته. وذلك بتعديل في بنيته الوراثية، أي أن جهازه الوراثي تطرأ عليه تعديلات وتحولات. هذه التحولات في رأي بوبر تؤدي دور المستوى الثاني في المنحنى، أي هي بمثابة محاولات الحل. أغلب هذه التحولات قد تكون مميتة، أي قاتلة لحاملها، وقد تفنيه، وهذا يوصلنا إلى المستوى الثالث وهو إلغاء الخطأ[2]. إن المحاولة والخطأ هو المنهج الوحيد الذي نملكه، وتملكه حتى الحيوانات. فالحيوانات البدائية كانت مجبرة على التكيف البحث عن محيط أفضل. وفي بحثها عن المحيط الملائم كانت تستعمل تلقائيا وبلا توقف "منهج المحاولة والخطأ".

إن الاختلاف الأساسي بين الكائن الحي والعالم، أو بين الأميبا واينشتاين حسب بوبر يكمن في المستوى الثالث، في مرحلة الإلغاء، فالخطأ عند الكائن الحي قاتل، وقد يؤدي إلى اندثاره، لكن في العلم يلغي النظرية أو الفرضية لا العالم. فالأميبا تتهرب من هذه المرحلة لأن توقعاتها هي جزء منها، فإذا أخطأت أبيدت. لكن العالم فرضياته موضوعية ومستقلة عنه. قد تدحض وتفند دون أن يتلاشى معها « ففي العلم نجعل نظرياتنا تموت بدلا عنا»[3].

إن الأميبا لا تحب الخطأ وتتفاداه، لكن العالم يبحث بوعي عن أخطائه أملا في تصحيحها أو إلغائها[4].

إن العالم مثل الكائنات الحية الأخرى، يعمل وفق طريقة المحاولة والخطأ، لكن يتميز عنها بقدرته على استدراك أخطائه، فالخطأ هو الذي يثير التصحيح، لذا معارفه تتطور. إن عملية " المحاولة وإلغاء الخطأ " في حد ذاتها انتقاء دارويني: فالعالم يبدأ من مشكلات، يحاول حلها باقتراح نظريات جريئة وخلاقة، ثم يفحصها لاستبعاد الخاطئة منها، ويبقى على أصلح النظريات وأقربها من الحقيقة، والتي واجهت مختلف التحديات، تماما كما يحدث في صراع الأنواع من أجل البقاء. [5]

---

[1] Karl Popper, la connaissance objective: une approche évolutionniste, p. 231.
[2] Karl Popper, toute vie est résolution de problèmes ,pp. 16,17.
[3] Ibid. p.25.
[4] Karl Popper, la connaissance objective : une approche évolutionniste, p. 133.
[5] Ibid, pp. 127,128.

قد تأثر أيضا توماس كون بنظرية أصل الأنواع عند داروين، ويرى أن تطور الأفكار العلمية شبيه بتطور الكائنات الحية. فما يجري من صراع بين الكائنات الحية يسري على النماذج الإرشادية في تنافسها[1]. فتفرز عملية الانتخاب عن النموذج الأصلح والجدير بقيادة الممارسة العلمية.

رابعا: نمو المعرفة عند بوبر:

ونقصد بالمعرفة عند بوبر Popper ، هي المعرفة الموضوعية المستقلة عن الذات العارفة، متجاوزا بذلك الطرح الكلاسيكي المهيمن، من الفلسفة اليونانية أمثال أرسطو وصولا إلى الفلسفة المعاصرة مع بيرتراند راسل، بالإضافة إلى ذلك نجده تجاوز الطرح الحديث لمسألة مصدرية المعرفة الذي نتج عنهما توجهين رئيسيين: اتجاه يقر بأسبقية العقل على التجربة، من منطلق وجود معارف قبلية، والذي مثل ذلك هو الاتجاه العقلي، الذي يعتبر رنيه ديكارت من أبرز رواده، بينما الاتجاه التجريبي يرى عكس ذلك، من منطلق أن العقل صفحة بيضاء تخطه التجربة كما تشاء والذي مثله العديد من الفلاسفة من بينهم فرانس بيكون، حيث نجد بوبر رفض اختزال التفكير، أو المعرفة على إطار دون إطار آخر، عن طريق الإقرار برفض منطق الأسبقية، لأن الأسبقية بدورها نجدها تختزل التفكير في إطار ضيق، وتؤدي بدورها إلى التعصب، والإنسان ذي البعد الواحد. [2]

ومنه نصل إلى سيرورة المعرفة حسب بوبر: [3]

- إن المعرفة هي وليدة المشكلة.
- أنها تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة انطلاقا من نظريات تفسيرية.
- أنها لا تسعى إلى الوصول إلى الحقيقة المطلقة، من منطلق التسليم بعدم معصومية الإنسان من الخطأ.
- أنها معرفة تحتكم للنقد من أجل استبعاد الخطأ.

يرى بوبر Popper أن المعرفة تنمو عن طريق النقد الذي بالضرورة يستبعد الخطأ، لأن كل معارفنا هي نتاج لتخمينات، وبالتالي فإن الإنسان بدوره يصل إلى المعرفة التي تقترب من الصدق أو الصحة انطلاقا من عاملين أساسيين، لا يمكن أبدا عدم المرور عليهما عند حديثنا عن تطور المعرفة وفق المنحنى البوبري:

أ- التعلم من الخطأ.

ب- العقلانية النقدية.

---

[1] توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر: حيدر اسماعيل، ط1، المنظمة العربية بيروت، 2002، ص240.

[2] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سبق ذكره، دار الجوهرة، ط1 ،2015 ،ص .245

[3] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم ،المرجع السابق، ص 2

وهذا ما أكده فورستيه Forrestii من خلال قوله بأن العقلانية النقدية التي يتبناها بوبر: «تساعدنا على تنظيم فكرنا، ويسمح لنا بالتعبير عن معارفنا، وإشراك الآخرين فيها، كما يوحي إلينا بفرضيات أي باحتمال وجود بعض الوقائع». [1]

فعلا على اعتبار أن عقلانية بوبر تجعل الإنسان منفتحا على التغيير لما هو أفضل وأحسن، انطلاقا من تصويب أخطائه، وتجاوز الدوغمائية، والقبول بالنقد الذي هو مطلب النمو، وأساس التقدم، ورفض التشبث بالآراء والمعتقدات، التي أثبتت عدم جدواه والمعيقة وهذا بدوره ينعكس على إنتاجية المعرفة، ويعمل على دفعها، وبالتالي المساهمة في تطور العلم. [2]

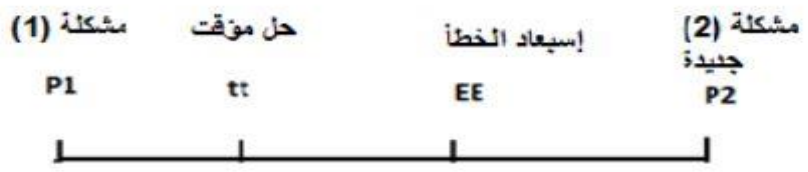

[3]

يرى بوبر بأن المعرفة هي نتاج مشكلة تم عرضها على أصعب الاختبارات، إذا صمدت تصبح نظرية علمية مؤقتة، تبقى مفتوحة على النقد العقلي الذي يساعدنا على استبعاد الخطأ؛ الذي يساهم بدوره في خلق مشكلات أخرى وبهذه الطريقة يتم نمو المعرفة وهذه فكرة تنم عن تأثره بالداروينية التي تهدف بالضرورة إلى استبعاد الفرضيات الخاطئة مع التأكيد على الفرضيات الصحيحة. [4]

ومنه توصل بوبر إلى أن العلاقات بين النظريات العلمية تتأسس على الانفصال وليس الاتصال والتراكم، أنه يحدث التفاضل بين النظريات؛ إذا تمكنت النظرية العلمية من تدارك نقائص كل نظرية سابقة، واستطاعت تفسير وقائع لم تستطع النظرية السابقة تفسيرها؛ هنا وفقط يمكننا القول بأن هذه النظرية هي أقوى من سابقتها، مثل فيزياء أينشتاين تمكنت من حلول محل فيزياء نيوتن، من خلال تأسيسه النسبية التي ساهمت في إعادة بلورة قوانين الفيزياء[5].

---

[1] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 2

[2] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم ، المرجع نفسه، ص ص 244. 245.

[3] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، مصدر سابق، ص. 40

[4] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، المصدر نفسه، ص .40-41.

[5] روني بوقريس، العقلانية النقدية عند كارل بوبر، سعيد بوخليط، إفريقيا الشرق، المغرب، 2005ص .73-74.

خامسا: معيار التمييز بين العلم واللاعلم عند بوبر.

1- منهج المحاولة والخطأ عند كارل بوبر:

يعتبر بوبر من أبرز الفلاسفة المهمين على صعيد التأطير المنهجي في الحقل العلمي الذي لا غنى عنه، وهذا ما نجده في العديد من المحطات المصرح بها من طرف الفلاسفة والعلماء، من بينهم السير هرمان عالم الفلك الإنجليزي بوندي: إن العلم ببساطة ليس شيئا أكثر من منهجه، وليس منهجه شيئا أكثر مما قاله بوبر».[1]

أصبح المنهج المتمثل في المحاولة والخطأ شيئا فشيئا يندرج ضمن سمات المنهج التجريبي الحديث، في مقابل المنهج الاستقرائي الذي يعتبر أن: النظريات العلمية ما هي إلا نظرية علمية مؤقتة صمدت أمام التكذيب، بحيث نجد بوبر يؤطر لشبكة مفاهيمية مختلفة على مستوى منهجي، فلا نجده يتحدث مثلا عن الصدق المطلق، بل رجحان الصدق أي الاقتراب من المعرفة الحقة، وبالتالي نجد أن نمو العلم ومنطق تقدمه يتم بالمفهوم البوبري عبر تصويب الخطأ، وتتم هذه الآلية وفق الخطوات المنهجية التالية م1- ح ح - أأ-م 2.[2]

معنى ذلك أن الباحث يبدأ عمليته انطلاقا من مشكلة، حيث يفترض عدة حلول إلى أن يصل إلى الحل الأمثل، الذي يصبح يشكل بدوره نظرية جديدة يقوم باختبارها ضمن سلسلة من النظريات، ثم يختار النظرية التي اجتازت الاختبار بنجاح، لتصبحُ مشكلة نظرية علمية مؤقتة، وبهذا نلمس التأثير الدرويني على بوبر، وذلك من خلال فكرة الانتخاب الطبيعي، التي تنتهي باختيار الفرضية الأقوى والأصلح دون البقية.[3]

ويتم اختيار الفرض الأنجع وفق شروط وخطوات لا بد من توفرها، وعدم إهمالها أولا: أن يكون أكثر قدرة تفسيرية بمعنى يفسر كل ما كان الفرض القديم يفسره، بالإضافة إلى ذلك استبعاد أخطائه، يعالج كل المشكلات التي عجز أمامها الفرض القديم ولا يتوقف الأمر هنا فقط بل لا بد من تقديم تنبؤات، حيث يتم اصطفاؤه نتيجة صموده أمام الاختبارات العقلانية النقدية القاسية.[4]

لقد كانت العلوم الزائفة هي الشرارة التي فجرت مشكلة التمييز في ذهن بوبر، والتي من أجلها أساسا بحث عن معيار لتمييز العلم، والتي من أجلها توصل إلى أنه القابلية للتكذيب أو القابلية للتفنيد، يمكن أن

---

[1] يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم.. منطق العلم، مؤسسة هنداوي، (د.ب،) ،2017، ص 317

[2] يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم.. منطق العلم، المرجع نفسه، ص .350

[3] يمنى طريف الخولي، مرجع نفسه، ص 349-352.

[4] ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سابق، ص 279.

نطلق عليه معيار القابلية للاختبار. ذلك أن اختبار النظرية تماما كاختبار جزء من آلة ميكانيكية، يعني محاولة تبيين العيب فيها، وبالتالي فإن النظرية التي نعرف مقدما أنه لا يمكن تبيان العيب فيها أو تفنيدها هي نظرية غير قابلة للاختبار[1].

وتعتبر النظرية علمية لأنه يمكن تكذيبها، وهذه الخاصية تمنح الباحث القدرة على استبدال هذه النظرية السائدة بنظرية أخرى، وهذه النظرية التي زاحت النظرية الأولى تبقى صامدة إلى أن يتم اختبارها وبالتالي النمو المستمر للعلم. فالصفة الثورية للعلم تكمن في استبعاد الفروض الكاذبة والإبقاء على الفروض القابلة للتكذيب.

هذا ما يقرره بوبر في كتبه، إذ يورد في كتابه الحدوس الإفتراضية والتفنيدات النظريات التي شغلته في عام 1919-1920 وهي: نظرية النسبية لإينشتاين، نظرية ماركس في التاريخ، نظرية فرويد في التحليل النفسي، وعلم النفس الفردي لأدلر، فقد لاحظ في تلك الفترة الاختلاف بين نظرية النسبية والنظريات الأخرى، ونقطة الاختلاف هذه تكمن في أن نظرية النسبية استطاعت تجاوز اختبارات متعددة وقد أيدتها أو عززتها – بنظر بوبر– وقائع متعددة وهي قابلة للتكذيب، أما نظريات ماركس وفرويد وأدلر فإن كل الوقائع التاريخية والاجتماعية تؤيدها وبالتالي لا مجال لتكذيبها[2].

وتمثل القابلية للتكذيب أهم خصائص النظرية العلمية على الإطلاق، وترتبط بكل ما يخص النظرية العلمية من سمات فرعية أخرى، لذلك فإن الحديث عن هذه الخاصية يتطلب التطرق إلى مواضيع عديدة أهمها:

ترتبط القابلية للتكذيب عند بوبر بتصوره عن نمو المعرفة العلمية، فالمعرفة في نمو دائم ومطرد وليست جامد، ومن ثم فهي في حاجة إلى نظريات مفتوحة وليست مغلقة، نظريات تكون أكثر قدرة على التطور والتقدم نحو أعلى درجة من الصدق. ولن يتأتى ذلك النظرية إلا إذا كانت تحتوي في جنباتها بعض العناصر التي تحتمل التكذيب، ولن تكون النظرية كذلك إلا إذا كانت شاملة وعامة، وتعطي وتفسر أكبر قدر من الظواهر، فإذا ما حاولنا – طبقا لخطة بوبر– أن نستبعدها كان علينا الإتيان ببديل لها، فالتعبير الرمزي:

$$P_1 \longrightarrow TT \longrightarrow EE \longrightarrow P_2$$

[1] كارل بوبر: أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية، ترجمة يمنى طريف الخولي، مرجع سابق، ص 118.

[2] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق. ص 118.

مشكلة1 ⟵ نظرية مؤقتة ⟵ استبعاد الخطأ ⟵ مشكلة2 [1]

وبيان ذلك، أن الطريقة التي تتقدم بها المعرفة بصفة عامة والمعرفة العلمية بوجه خاص يتم بتوقعات وتخمينات وحلول مؤقتة، إلا أننا نجد في الغالب الأعم أن تخميناتنا يمكن رفضها أو أنها لن تحل مشكلاتنا حلا كاملا، ونجد أنه حتى الحلول الجيدة سرعان ما تنشأ أمامها صعوبات جديدة تؤدي إلى مشكلات جديدة. وهذا يمكن القول أن معرفتنا تنمو كلما تقدمنا من مشكلات جديدة[2].

وبوبر هنا متأثر بالتطورية، فالمعرفة الإنسانية ذاتها تعد جزءا من عملية التطور، ذلك أن الإنسان وإن كان يشترك مع الحيوان في نقطة بداية واحدة هي التوقعات إلا أنه يتميز بمحاولته الدائبة أن يعدل ويطور ويكيف توقعاته وملاحظاته ونظرياته. وكما يتم التقدم في التطورية باستئصال العناصر الضعيفة خلال الضغط الذي تمارسه البيئة، فإن المعرفة العلمية في نظر بوبر تتقدم بفعالية مع تعاقب النظريات الأفضل فالأفضل ومع الكشوف الجديدة[3].

فبعد أن نختبر النظرية أو الفرض الجديد من الناحية المنطقية، أي نكشف عن أنها ليست تحصيل حاصل، وأنها لا تناقض نفسها، ولا تناقض النظريات المقبولة التي تسلم بها، لابد من اختبارها تجريبيا عن طريق اختبار الاستنتاجات أي التنبؤات التي نستنبطها منها[4].

يقول كارل بوبر: << وتفضي بنا الاختبارات إلى انتخاب الفروض التي صمدت لها، أو حذف الفروض التي لم تثبت أمامها فأطرحناها. ومن المهم أن نتبين ما يلزم من هذا القول من نتائج وهي أن الاختبارات يمكن النظر إليها جميعا على أنها محاولات ترمي إلى استئصال النظرية الكاذبة>>[5].

إن القابلية للتكذيب هي ذاتها القابلية للاختبار، المصطلحان مترادفان. فالكشف عن القابلية للتكذيب ليست إلا للكشف عن قابلية الاختبار التجريبي للنظرية التي تدعي السمة العلمية، أي التي تدعي الإخبار عن الواقع، الكشف عن إمكانية مواجهتها بهذا الواقع، فنرى هل تخبر عنه أصلا أم لا، ثم نرى هل تخبر عنه كذبا أم لا[6].

---

[1] محمد محمد قاسم: كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 164.

[2] محمد محمد قاسم: مدخل إلى الفلسفة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، لبنان، 2001م، ص 121.

[3] محمد محمد قاسم، مرجع سابق، ص 122.

[4] يمنى طريف الخولي: فلسفة كارل بوبر، منهج العلم... منطق العلم، مرجع سابق، ص 365

[5] كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي، ترجمة عبد الحميد صبرد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959، ص 162.

[6] يمنى طريف الخولي: فلسفة كارل بوبر، منهج العلم... منطق العلم، مرجع سابق، ص 356.

ويقدم بوبر عرضا لنموذج من النظريات القابلة لاختبار تنبؤاتها وبالتالي تكذيبها أو بقائها في دائرة النظريات القابلة للتكذيب، ومثال ذلك نظرية آينشتاين في الجاذبية قابلة للاختبار إلى أعلى الدرجات لأنها تتنبأ بانحرافات معينة على المدارات الكوكبية عند نيوتن، وهذا التنبؤ يمكن تفنيده، وكذلك تتنبأ بانحناء أشعة الضوء وتباطؤ السرعات الذرية في مجالات الجاذبية القوية، وهذه التنبؤات يمكن مجددا تفنيدها[1]. فالنظرية التجريبية أو القابلة للتكذيب هي ما يشتق منها نوعا من القضايا الأساسية، وهما فئتان غير فارغتين:

1- فئة كل القضايا الأساسية التي تستبعد أو تحظر النظرية، ويطلق عليها بوبر فئة المكذبات المحتملة أو الممكنة للنظرية.

2- فئة كل القضايا الأساسية التي لا تناقض النظرية.

ويعول بوبر على النوع الأول فهو يكفيه لضمان قابلية النظرية التكذيب أن تكون فئة مكذباتها المحتملة غير فارغة، ويؤدي هذان النوعان من القضايا الأساسية إلى أحد الموقفين:

إما تكذيب النظرية واستبعادها، أو تعزيزها والإبقاء عليها إلى أجل قد يكون يسيرا[2].

أ- التكذيب وقابلية التكذيب:

يقول كارل بوبر: «يجب علينا أن نميز بوضوح بين قابلية التكذيب والتكذيب، لقد سبق أن قدمنا قابلية التكذيب كمعيار للخاصية الإمبريقية لنسق من القضايا، أما بالنسبة للتكذيب فيجب علينا أن نقدم قواعد خاصة تحدد لنا تحت أي شروط ينظر للنسق على أنه مكذب». [3]

ومنه نصل حسب بوبر بأن الفرق بين التكذيب وقابلية التكذيب يكمن في النقطة المحورية التالية:

إن قابلية التكذيب ينطبق على القضايا التي تكون ذات محتوى تجريبي يمكن لنا اختبارها؛ أما بالنسبة للتكذيب نعني به مجموعة القواعد والشروط المنهجية التي وضعها بوبر والتي يتم عن طريقها تكذيب نسق علمي، أو قضية علمية دون أخرى؛ وهذا يعني بأن قابلية التكذيب حسب بوبر هو أساس منهجي، يتم عبره التمييز بين العلم واللاعلم، فالقضايا التي نستطيع إخضاعها للتكذيب، تعتبر علما أما القضايا غير القابلة للتكذيب تعتبر اللاعلم؛ ومنه نصل بأن قابلية التكذيب هي عملة ذات وجهين:

-وجه منطقي متعلق بالقضية العلمية واتساقها الداخلي.

---

[1] كارل بوبر: أسطورة الإطار، مصدر سابق. ص 117.

[2] محمد محمد قاسم: كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 177.

[3] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، مصدر سبق ذكره، ص .117

-ووجه تجريبي يمكننا من اختبار هذه النظرية. [1]

وبالتالي هنا نكون أمام نتيجتين:

-إما إثبات هذه النظرية؛ وبالتالي تصبح نظرية علمية مؤقتة.

-أو تصبح مفندة ويتم استبعادها.

بالإضافة إلى تأكيده على العملية التكاملية بين المحتوى المعرفي، كلما زادت درجة احتمالها وكلما زاد المحتوى المعرفي بالضرورة تنقص درجة احتمالها، ومنه نصل إلى أن إنتاج النظرية على التكذيب يتمخض عنه العديد من النتائج الهامة من بينها:

- ليست كل نظرية نصل إليها يمكن اعتبارها معرفة مطلقة، وهذا بدوره يؤدي إلى التفكيك والقضاء على كل أشكال التعصب، بالإضافة إلى ذلك يساهم في تجديد أبحاث العلم بشكل مستمر، على عكس ما كان سائدا من قبل غاليليو غاليلي 1564-1642الذي قوبل بالرفض والعداء، لمجرد أنه فكر خارج ما هو سائد ومتعارف عليه .[2]

بعد تأكيد بوبر Popper على صعوبة تكذيب أي نسق علمي دون إخضاعه لاختبارات قاسية، يسعى هنا لتوضيح الفارق بين قابلية التكذيب Falsifiability والتكذيب Falsification وأن القضية العلمية تبقى في دائرة العلم طالما هي قابلة للتكذيب، ومتى برزت حادثة أو مشكلة تناقض هذه القضية فإن هذا التناقض يؤدي إلى تكذيبها وخروجها من دائرة العلم. ومن الأمور التي سيبينها بوبر أن تكذيب نسق في النظرية لا يؤدي إلى تكذيبها، فلكل نظرية علمية فروضها المساعدة، وآلياتها الدفاعية والتحصينية وليس من السهولة نبذها من السياق العلمي[3].

إذ يميز بوبرPopper بوضوح بين الكلمتين ومدلولهما، فالقابلية للتكذيب هي معيار يشير إلى الخاصية التجريبية لنسق من القضايا العلمية أو لقضية واحدة. بينما يشير التكذيب إلى القواعد الخاصة الواجب اتخاذها لتعيين شروط تكذيب هذا النسق. والحديث عن القابلية التكذيب هو حديثنا طالما نتحدث عن النظرية، أما تكذيب النظرية فيتم عندما نقبل القضايا الأساسية التي تناقضها، ورغم أن هذا شرط ضروري إلا أنه غير كاف في نظر بوبر، لذلك فإنه يقترح نوعا من الفروض، يسميه الفرض التكذيبي Falsifying Hypothesis وهو

---

[1] بوصالحيح حمدان، العقلانية العلمية المعاصرة وانتقاداتها بول فييرآبند نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، علوم، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014. ص 66

[2] بوصالحيح حمدان، مرجع سبق ذكره ، ص.65-66.

[3] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق. ص 131.

بمثابة قضية ذات مستوى منخفض من التجربة والقابلية للتكذيب إلا أنه إذا تم تعزيزه شيئا فشيئا باجتيازه مزيد من الاختبارات، فإن كل انتصار يحققه هذا الفرض التكذيبي يصبح مؤشرا إلى مزيد من التدهور والاستبعاد للنظرية القائمة، حتى يحل محلها في النهاية[1].

– ولكن ما علاقة التكذيب كمنهج بالقابلية للتكذيب كمعيار؟.

لقد انتهى بوبرPopper إلى أن القضايا العلمية تقبل التكذيب، –على أساس صورتها المنطقية– ، ما دامت بإمكانها أن تتعارض منطقيا مع القضية الأساسية[2].

فالاستدلال الفرضي الاستنتاجي القائم على قاعدة "رفع التالي" يبرر القابلية للتكذيب منطقيا دون إشكال، فصدق القضية الأساسية يكفي لتكذيب القضية العلمية، إن شاهدا س لبيا واحدا ممكنا منطقيا يكفي لتكذيب النظرية العلمية. وهذا طبقا للمنطق الاستنتاجي قاعدة رفع التالي. ولكن إذا نظرنا إلى هذا الأخير من الناحية الابستيمولوجية أو المنهجية، نصطدم بمشكلة ابستيمولوجية خطيرة تعرف ب مشكلة الأقوال الأساسية Le problème des énoncés de base، التي تدور حول الخاصية التجريبية للقضايا الأساسية وكيفية اختبارها، فبالرغم من إمكانية تبرير القابلية للتكذيب منطقيا إلا أن هذا التبرير يبقى غير كاف رغم ضروريته إذ ظهرت هناك اعتراضات* تتعلق أساسا بالجانب المنهجي من التكذيب وبأسلوب التعامل مع النظريات العلمية. ومؤداها أننا نستطيع تجنب التكذيب من الناحية العملية، وذلك بأن نضيف للنظرية "فروضا مساعدة" Hypotheses Auxiliaires تعمل على التشكيك في كل القضايا الأساسية، وتتم هذه العملية بإعادة تفسير تقارير الملاحظات التي تهدد النظريات العلمية، أي تشكك في نزاهة المجرب، وفي قيمة تجاربه، فما أدرانا مثلا: أنه لا يوجد خطأ معين في تقارير الملاحظات المتعلقة بالقضية الأساسية، فالطائر الأسود الذي شهدناه، قد لا يكون أسود، وربما لا يكون من البجع أصلا.

إن هذا الشك قد يؤدي إلى رفض القضايا الأساسية، وبالتالي نحمي النظرية من التكذيب، فينتج عن هذا أن القابلية التكذيب لا تصبح معيارا يحدد الخاصية العلمية إذ لا يمكن تبريرها إبستيمولوجيا.

---

[1] محمد محمد قاسم: كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 178.

[2] Popper, Karl .R : Réalism and the aim of science, Edited by WW. bartley , III, Routledge. London and new york, 1992, p. xx .

* هذه الاعتراضات وجهها المذهب الاصطلاحي ضد معيار القابلية للتكذيب.

ولكن نجد كارل بوبر شخصيا يرد على هذه الاعتراضات قائلا:" هناك دائما طرق يمكن بواسطتها منع التكذيب، لكنه توجد أيضا طرق بواسطتها نحصل على العكس، وبعبارة أخرى، بواسطتها نجعل النسق النظري قابلا للتكذيب "[1].

هذه إشارة من بوبر Popper تدل على وجود ضامن يضمن لنا موضوعية القضايا الأساسية، وبالتالي يضمن لنا القابلية للتكذيب كمعيار العلمية بتبريرها من الناحية العملية.

لقد قام بوبرPopper بحل مشكلة القضايا الأساسية على النحو التالي: إن القضايا الأساسية هي الأساس في عملية التكذيب، واختبار النظرية، سواء انتهى إلى تكذيبها أو تأييدها، فلا بد أن يتم بقبول القضايا الأساسية التي تكون قابلة للإعادة والاسترجاع[2]. فالقضايا الأساسية التي لا يعاد إنتاجها مرة أخرى لن تكذب النظرية العلمية لأنها تعتبر قضايا منعزلة أو شاذة. كما أن قبول القضايا الأساسية لا يتم عن طريق التبرير المنطقي لأنه يؤدي بنا إلى التسلسل اللانهائي، إذ يكون تبرير القضايا الأساسية بواسطة قضايا أساسية وهكذا دواليك. فالمسألة عند بوبر Popper إذن لا تتعلق بتبرير صدق القضايا الأساسية، بل باتخاذ قرار لقبولها، وهذا القرار يتفق* عليه العلماء، بعد الاسترشاد بقواعد منهجية منها:

" قواعد العلم لا نهاية لها – هذا من حيث المبدأ – وبالتالي فإن الذي يقرر يوما ما أن القضايا العلمية لا تدعو إلى أي اختبار آخر، وأنها قد تحققت بصورة نهائية، عليه أن ينسحب بعيدا عن قاعدة العلم. وإذا ما اقترح فرضا ما وتم اختباره وثبتت صلابته فإنه لا يجوز لنا أن نتخلى عنه، دون تقديم "سبب معقول لذلك " وقد يكون السبب المعقول على سبيل المثال أن نستبدل فرضا أكثر قابلية للاختبار بفرض آخر أو بتكذيب إحدى نتائج الفروض موضع البحث"[3].

---

[1] Popper, Karl R. : les deux problémes fondamentaux de la théorie de la connaissance, p. 370.
" Il ya toujours des procédures par les quelles on peut empêcher la falsification Mais il existe aussi des procédures par les quelles on obtient le contraire , autrement dit par les quelles le système théorique est rendu falsifiable ".

[2] Popper, Karl. R: la logique de la découverte scientifique, P. 85.

* الأقوال الأساسية عند بوبر تكون موضوع اتفاق واصطلاح، وهذا الأخير يكون قابلا للنقد.

[3] Popper Karl . R : la logique de la découverte scientifique, p. 51: "le jeu de la science est en principe sans fin. celui - là ce retire du jeu qui décide un jour que les énoncés scientifiques ne requiérent pas de test ultérieur et peuvent être considérés comme définitivement vérifiés. Une fois qu'une hypothése a été proposée , soumise à des tests , et qu'elle a fait ses preuves , on n'est plus autorisé à la supprimer sans "bonne raison", une" bonne raison" peut, par exemple , être son remplacement par une autre qui peut plus aisément être soumise à des tests ; la falsification de l'une de ses conséquences peut encore être une bonne raison" ".

إضافة إلى هذه القاعدة، يضيف بوبر قاعد أخرى تتمثل في ضرورة اقتراح فوض يكون أقل كلية من النظرية، معنى ذلك أنه يأخذ صورة القضية الكلية العددية، ويجب أن يكون قابلا للتكذيب، فيدخل في علاقات منطقية مع القضية الأساسية على أساس التأييد أو التعزيز، وعلى هذا فالقضية الأساسية التي تكذب النظرية هي نفسها التي تؤيد الفرض القابل للتكذيب في الوقت نفسه[1].

وبهذا بدا لـ بوبر أنع عثر على وسيلة تمكنه من الخروج من مشكل "القضايا الأساسية"، وتضمن له تطبيق القابلية للتكذيب، فقد وجد هذه الوسيلة في منهج التكذيب وما يحتويه من قواعد منهجية تهدف إلى ضمان تطبيق القابلية للتكذيب [2]، وينتج عن هذا أن منهج التكذيب هو الذي يبرر معيار القابلية للتكذيب إبستيمولوجيا.

ويترتب من كل ما سبق أن القابلية للتكذيب هي المعيار الذي يحدد مفهوم العلم التجريبي عند كارل بوبر، فلقد قام بتبريرها منطقيا عن طريق الممارسة المنطقية القائمة على القضايا الأساسية، كما قام بتبريرها ابستيمولوجيا، وذلك عن طريق الممارسة المنهجية القائمة هي الأخرى على القضايا الأساسية.

لكن التحليل المنطقي للقضايا العلمية عند بوبر رغم ضروريته إلا أنه غير كاف فهو ضروري لأنه يستطيع تحديد النظريات العلمية القابلية للتكذيب، ولكنه غير كاف لأنه لا يستطيع تحديد النظريات غير العلمية غير القابلة للتكذيب. فهو غير قادر على تحديد العلم لتميزه عن العلم، وعلى هذا فطريقة التعامل مع النظرية، الطريقة التي يخضع بها العلم النظرية هي الأهم عند بوبر إذ بواسطتها يتم تحديد خاصية العلم التجريبي وتمييزه عن العلم فدون قواعد منهجية لا يمكن القول بأن القضايا العلمية قضايا قابلة للتكذيب لأن القضية التي يمارس عليها منهج التكذيب قضية علمية.

فالتمييز عند بوبر إذا ليس تميزا منطقيا خالصا يتعلق بتحليل البنية المنطقية لقضايا العلم، وقضايا اللاعلم، بل هو تمييز منهجي يتعلق بالممارسة المنهجية. وهنا يجوز لنا القول بأن بوبر حمل كلمة الفلسفة معنى آخر مخالف للمعنى الذي حملته لها التجربانية المنطقية، فلو كان معياره للتمييز معيارا منطقيا خالصا، لكان يوافق التجربانية المنطقية في تعريفها للفلسفة على أنها مجرد تحليل منطقي لمعاني وتراكيب قضايا العلم. لكنه قدم

[1] Popper, Karl. R. : la logique de la découverte scientifique, p. 86.
[2] Ibid ,p52.

لنا معيارا للتمييز يهدف إلى تحديد العلم التجريبي من خلال تحليل بنيته المنطقية، فمعيار بوبر كما رأينا منهجي، وهذا التصور يتماشى مع تعريفه للفلسفة على أنها ميثودولوجيا منهجية [1].

والفلسفة بهذا التعريف تكون عند بوبر قد وصلت إلى هدفها ألا وهو التمييز بين العلم واللاعلم من خلال تحليل المنهج الذي نتعامل به مع النظرية العلمية، لا من خلال بنيتها المنطقية.

فلو اقتصرت الفلسفة على التحليل المنطقي لقدمت لنا معيارا للتمييز صوري لا معنى ولا قيمة له، إذ يحلل ما هو كائن فقط ولا يضيف شيئا جديدا. فتكون التعريفات التي يقدمها تعسفية لا تستند إلى معايير موضوعية تبررها.

ولكن ما دام معيار بوبر Popper منهجيا بالدرجة الأولى فإنه يؤدي إلى حل مشكلات ابستيمولوجية تتعلق بالمنهج. وهذا خط أخر يفصل بين معيار بوبر للتمييز، ومعيار التجربانية المنطقية الذي هو معيار منطقي خالص يهتم بتحليل البنية المنطقية للنظرية العلمية.

وهكذا نصل إلى أن المنهج البوبري هو الذي أعطى معيار القابلية للتكذيب معنى وقيمة موضوعية، فالتعريف الذي قدمه بوبر للعلم التجريبي يستند إلى معيار موضوعي ألا وهو المنهج، ولكن إذا كان الأمر كذلك فإنني أتساءل: ما الذي يعطي للمنهج البوبري معنى وقيمة موضوعية، حتى يستطيع ضمان القابلية للتكذيب كمعيار العلمية ؟.

إن الإجابة على هذا التساؤل مرتبطة بتحليل صيرورة النظرية العلمية، أي تطورها عند كارل بوبر.

ب– درجات القابلية للتكذيب:

لقد سعى بوبر Popper إلى تطوير مفهوم معياره التكذيبي انطلاقا من تفسيره لحركة العلم وتطور أنساقه بشكل مستمر، فكانت الخطوة الأخيرة التي صاغها لتساهم في بلورة معياره هي أن النظريات العلمية متفاوتة الدرجة من حيث قابليتها للتكذيب، أي كيفية تطبيق القابلية للتكذيب وتفضيل النظريات. وذلك وفقا لمقتضيات محددة تتمثل في توافر الركائز التي تحدث البحث بصددها فيما سبق، فكل ركيزة تساهم في زيادة أو نقصان درجة القابلية للتكذيب، حيث أن القضايا الأساسية وما تنطوي عليه من فئات، وكذلك قابليتها للاختبار ومحتواها المنطقي والتجريبي، كل ذلك يؤثر في عملية انتقاء المؤسسة العلمية لنظرية دون أخرى، حيث تكون درجة قابليتها للتكذيب أعلى وفقا للتصور البوبري[2].

---

[1] Popper, Karl .R.: les deux problémes fondamentaux de la théorie de la connaissance, p. 404

[2] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق.ص 174.

من الطرق التي عرضها بوبر، ووضع قواعدها لمقارنة النظريات العلمية من حيث درجة قابلية التكذيب، طريقة فئة المكذبات بالقوة، وقد تعرض البحث الموضوع هذه الفئة حيث وجد أن النظرية تتركب من فئتين من القضايا الأساسية: فئة القضايا التي تسمح بها النظرية وفئة القضايا التي لا تسمح بها والتي تدعى فروضا مكذبة بالقوة، إذا تحققت أدى ذلك إلى تكذيب نسق أو حتى النظرية ككل، فنظرية الجاذبية لا تسمح بعدم سقوط التفاحة، لأن عدم سقوطها رغم توافر شروط السقوط يعني إعادة النظر بمبادئ النظرية وأسسها[1]، أي من خلال المكذبات المتضمنة في كل نظرية يستطيع الباحث إجراء مقارنة وبعد ذلك اختيار النظرية التي تحتوي العدد الأكبر من فئة المكذبات بالقوة لأن فرص تكذيبها متاحة أكثر. ويوضح بوبر آلية المقارنة بين فئات المكذبات بالقوة من خلال المثال التالي:

افترض أن كل عناصر الفئة a تكون عناصر الفئة b لأن a هي فئة فرعية من b.

عندئذ إما أن تكون كل عناصر b هي بدورها عناصر a – وفي هذه الحالة يقال أن الفئتين لهما نفس الماصدق،أو أنهما متطابقان – أو أن هناك عناصر من b لا تنتمي إلى a تؤلف الفئة المتبقية [...] وعندئذ تكون a فئة فرعية حقيقية للفئة[2] b. أي أن النظرية العلمية تتكون من فئات أصلية وهي مجموعة من القضايا الأساسية، وهذه الأخيرة تتركب من فئات فرعية تجسد بدورها وقائع حسية متعددة، وتبين هذه البنية التراتبية أن النظرية أشمل من فئاتها الأصلية، وهذه أشمل من فئاتها الفرعية، وبناء على هذه التراتبية يستطيع الباحث إجراء عملية المقارنة بين النظريات بحسب مكذباتها بالقوة.

أما الطريقة الثانية والتي تتم من خلالها عملية المقارنة بين القضايا الأساسية من حيث درجات قابليتها للتكذيب فتعتمد على المضمون المنطقي والتجريبي، فإذا كان المحتوى المنطقي للقضية يعني فئة كل القضايا التي ليست تحصيل حاصل والقابلية للاشتقاق من القضية موضع التساؤل، فإنه كلما كان باستطاعة الباحث اشتقاق فئات فرعية من القضية المراد معرفة قيمتها العلمية، كلما كانت هذه القضية قابلة للتكذيب، وأعلى درجة، فإمكانية اشتقاق فئات فرعية أكثر يعني زيادة احتمال تكذيبها أكثر.

وإذا كان المحتوى التجريبي للقضية يعني فئة مكذباتها بالقوة، فكلما زادت فئة المكذبات بالقوة تدل على أنها تمنع وقوع حادثة ما، فكلما زاد المنع زادت إمكانية التكذيب بتحقق حادثة واحدة ممنوعة الوقوع، وبالنتيجة القضية المتضمنة فئات مكبات بالقوة أكثر يمكن تفضيلها على نظريات أخرى لأنها أعلى درجة في

[1] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، مرجع سابق.ص 175-176.
[2] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، مصدر سابق. ص 165.

قابليتها للتكذيب[1]، فدرجة القابلية للتكذيب = درجة القابلية للاختبار = درجة اتساع فئة المكذبات المحتملة= درجة المحتوى التجريبي = درجة المحتوى المنطقي. لذلك نحكم بأن النظرية س لها درجة تكذيب أعلى معيار القابلية للتكذيب عند كارل بوبر من ص إذا كانت فئة فرعية، من فئة مكذبات س الأوسع، لأن ذلك يعني أن س تتضمن محتوى منطقيا وتجريبيا أكبر من ص إذ يمكن إشتقاق ص منها[2].

يورد بوبر طريقة أخرى تساعد على المقارنة بين القضايا من حيث درجة قابليتها للتكذيب، وهذه الطريقة مرتبطة بالمحتوى التجريبي، حيث تتعلق بالقضايا التي تتوافر فيها درجة عالية من الكلية ودرجة عالية من الإيجاز، وتوافرهما يعني درجة أعلى في قابلية التكذيب، ويمكن عرض الأمثلة التالية:

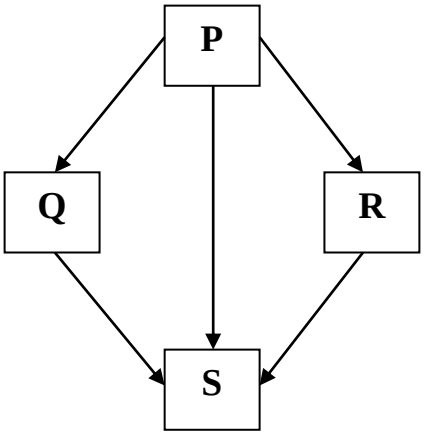

P: كل مدارات الأجسام السماوية هي دوائر.

Q: كل مدارات الكواكب هي دوائر.

R: كل مدارات الأجسام السماوية هي قطوع.

S: كل مدارات الكواكب هي قطوع.

ويعلق بوبر على هذه الأمثلة موضحا الكيفية التي تتم من خلالها مقارنة درجات قابلية التكذيب بالنسبة للقوانين والقضايا ذات الدرجة العالية من حيث الكلية والإيجاز[3]:

إذا اتجهنا من p إلى q فإن درجة العمومية تتناقص، وبالتالي فإن ما نقوله و أقل مما تقوله p لأن مدارات الكواكب تعد فئة فرعية لمدارات الأجسام السماوية. ويترتب على ذلك أنه يمكن تكذيب p بسهولة أكثر من q: إذا كذبت q ، كذبت p، والعكس ليس صحيحا.

وإذا اتجهنا من p إلى R تتناقص درجة الإيجاز: الدوائر فئات فرعية تامة للقطوع، وإذا كذبت R، فإن P تكذب، والعكس ليس صحيحا[4].

---

[1] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، مرجع سابق. ص 180 .

[2] يمنى طريف الخولي : فلسفة كارل بوبر، منهج العلم...منطق العلم، مرجع سابق، ص 409.

[3] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق ، مرجع نفسه. ص 181.

[4] كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، مصدر سابق. ص 174.

إذا ما اتجهنا منP إلى S تتناقص درجة الكلية والإيجاز، وبالاتجاه من و إلىS تتناقص درجة الإيجاز، وبالاتجاه من R إلى S تتناقص درجة العمومية. إن بالنسبة لأعلى درجة من العمومية أو الإيجاز فإنها تناظر أعلى مضمون إمبريقي أو منطقي، وبالتالي أعلى درجة من قابلية التكذيب[1].

والخلاصة، أن بوبر عندما يعلن أن على الباحث انتقاء النظرية العلمية الأعلى درجة في قابليتها للتكذيب، فإنه يقصد: أن محتواها المنطقي يتيح اشتقاق قضايا متسقة الشكل والمضمون+ فئة مكذباتها بالقوة كثيرة + ذات محتوى تجريبي شامل + قابلة للاختبار وتجاوز أصعبه + محققة لميزتي الكلية والإيجاز[2].

2- قراءة نقدية لمعيار قابلية التكذيب:

كنا قد أشرنا في البداية إلى أنه من أهم خصائص القرن العشرين التوفر التأويلي وخصوبة الفهم في فلاسفة العلم، في انشغالهم بقضايا تاريخ العلم ومراحله المختلفة، ونتج عن ذلك صدام وتضارب في الآراء، ودفاع كل فيلسوف علم عن وجهة نظره وقناعاته باستخدام النقد البناء، والذي تمخض عنه تنوعا في الاتجاهات والأطروحات الفكرية التي تهدف إلى الكشف عن الأخطاء والمزلات دون التقيد أو النزوع إلى أي مذهبية أو نسقية.

وبالنسبة للآراء التي جاء بها كارل بوبر، نرى أنه من الموضوعية أن نتطرق ولو بالشق البسيط جدا لبعض المعارضين أو النقاد حتى نتمكن من وضع هذه الأعمال أو هذا الطرح الفلسفي في قالبه الصحيح. ونرى أنه من أهم الأسئلة التي يجب طرحها حول المعيار الذي دعى إليه بوبر تكون مثل: هل صاغ بوبر معياره والأسس التي تؤلف بنيته بأسلوب يدل على أنه معيار مرحلي وليس أبديا؟

وإن كان هذا المعيار يستمد جزءا كبيرا من صحته من الفكرة القائلة أن النظريات العلمية على اختلاف فروعها في فروض تحمل الخطأ في أية مرحلة من مراحل الاختبار فهل احتمال الخطأ هذا يشمل المعيار ومبادئه في عملية تمييزه للنظرية العلمية؟ ثم هل اعترف بوبر بنقاط الضعف الموجودة في معيار قابلية التكذيب، أم أمضى حياته يرقعه ويصلحه متشبثا بفكرته؟.

---

[1] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوير في النظرية والتطبيق، مرجع سابق. ص 182.

[2] ماهر إختيار: إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوير في النظرية والتطبيق ، مرجع نفسه. ص 183.

الفصل الثاني

ابستيمولوجيا العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر

أولا: أصالة وواقعية الفكر البوبري في العلوم الاجتماعية

ثانيا: الأصول التاريخية للتاريخانية

ثالثا: نقد التاريخانية عند بوبر

رابعا: إسقاط بوبر انتقاداته على الأنبياء الثلاث (أفلاطون – هيغل – ماركس)

خامسا: عقم التاريخانية كمنهج في العلوم الاجتماعية

أولا: أصالة وواقعية الفكر البوبري في العلوم الاجتماعية.

يعد بوبر من أكثر الفلاسفة تميزا في ابستيمولوجيا العلوم الاجتماعية، ومع أن إنتاجه كان ضخما في هذا الباب إلا أن الاهتمام به كان قليلا في تاريخ العلوم الاجتماعية المعاصر، بالرغم من أنه تميز بتركيزه على الجانب العملي في تأطيره للخطوات المنهجية لهذا العلم، فكانت بذلك أعماله الأكثر تأثيرا وإثارة للجدل لاسيما خارج أسوار الأكاديميات[1] .

كان هذا من الناحية المنهجية، أما من الناحية العملية، فقد غرف بوبر بنده السياسي، بالرغم من تجاهل المنظرين السياسيين الأكاديميين لأعماله في غالب الأحيان، وكتاباته السياسية لاسيما المجتمع المفتوح وأعداؤه أثرت وما تزال بشكل واضح على الصعيد السياسي خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبالأخص في بريطانيا وألمانيا، بل إن العديد من الشخصيات السياسية الكبرى خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي تشهد بتأثيره، ومن بينها: Vaclav Margaret Thatcher Havel، و Helmut Schmidt.

أما خلال التسعينيات فإن أفكار بوبر قد اجتاحت دول أوربا الشرقية الشيوعية سابقا، وأصبحت الأكثر مقروئية في الجامعة الصينية، وتأثر الطلبة بنقده للدعاوى العلمية للماركسية، وطالبوا بانفتاح المؤسسات الحكومية على الآراء النقدية[2].

أما عن التأثير في مناقشات المثقفين العامة، فتبدو هي الأخرى مشبعة بالأفكار البربرية لاسيما تصوره عن "المجتمع المتفتح"، ولبوبر تعليق خاص على هذه النقطة، حيث يرى أنه من واجب المفكر أن يكتب بلغة بسيطة مفهومة، ويبتعد عن الزخرفات اللفظية، بل هو يعتبر ذلك خطيئة حين يبعد المفكر لغته عن متناول المثقف العام خصوصا في مثل هذه الجوانب من الدراسة.

ويقول في ذلك : على كاهل كل مثقف تقع مسؤولية خاصة جدا، لقد منح امتياز وفرصة الدراسة وهو يدين لعشيرته لمجتمعه في المقابل بأحقيتها في أن تعرف نتائج دراسته بأبسط أوضح صورة ممكنة وأكثرها تواضعا. إن أسوأ ما يمكن للمثقف أن يفعله – خطيئته الكبرى – هي أن ينصب نفسه نبيا عظيما في مواجهة

[1] Sylvain K. Cibangu, "Karl Popper and the Social Sciences", p.22.

[2] William A. Gorton: Karl Popper and the social sciences, Albany: State University of New York Press, 2006, p. 01.

عشيرته ويثير إعجابهم بقوالب فلسفية محيرة. فيجب على كل من لا يستطيع أن يتكلم بوضوح وبساطة أن لا يقول شيئا ويواصل العمل حتى يتمكن من ذلك[1].

إضافة إلى ذلك، فإن العديد من أفكاره ظلت مهيمنة في العلوم الاجتماعية والنظرية السياسية، تماما مثل العلوم الطبيعية، حيث سخر بوبر مؤلفية المجتمع المفتوح وأعداؤه وعقم التاريخانية والكثير من المقالات الفلسفة العلوم الاجتماعية ومناهجها، يتضح من خلالها هجومه على التاريخانية الذي هو محور هذا الفصل، ثم دفاعه عن مبدأ الفردانية المنهجية ومنطق المواقف أو التحليل الموقفي في دراسة الظاهرة الاجتماعية.

وتظهر أهمية هذه الأفكار على الساحة العلمية من حيث ما طرح من كتابات حولها، ومن ذلك: الفكر السياسي عند كارل بوبر وShearmur.J 1996، وStokes.G 1998 الذي يناقش الفكر السياسي والمنهج العلمي عند بوبر، وكتاب William A. Goriton 2006 بعنوان كارل بوبر والعلم الاجتماعية، وكتاب Calvin Hayes 2009 بعنوان بوبر، هايك والمجتمع المفتوح، وأيضا كتاب مجتمع بوبر المفتوح بعد خمسين عاما lan Janie وSandra Pralong 1999، وغيرها من المؤلفات الكثيرة في هذا المجال وخصوصا تلك التي تصدر إحياء لأعياد ميلاده أو لذكراه بعد وفاته حيث كانت تشغل مجلة بأكملها تتناول كل المقالات فيها فكره والتي لا سبيل لحصرها هنا.

ومع أنه شائع جدا وكثير ما يقال أن بوبر Popper قد طور فلسفته في العلوم الطبيعية، ثم أتى ليطبقها على العلوم الاجتماعية، ولكن يمكن أن نرى من خلال السياق التاريخي الذي كتب فيه كتاباته، ومن ناحية تتبع الأفكار من خلال الفصل الأول في هذا البحث ثم الفصول اللاحقة أن هدف بوبر مختلف بعض الشيء، حيث لم يكن مجرد ذلك الانتقال، وإنما جاءت فلسفته الاجتماعية لتنبع من مشكلات الواقع، أي من الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات، وبالتالي فالمشكلات موضوع الدراسة هي ما أثاره وما أدى به إلى تطوير فلسفة للمجتمع والسياسة. أما عموما فقد هدف بوبر إلى التزويد بنظرية في الابستيمولوجيا يمكن من خلالها تفسير العملية التي تنمو بها معارفنا حول العالم، وبكلامه فقد أراد تطوير نظرية حول التطور الفكر الإنساني عموما، والفكر العلمي بشكل خاص ، فكانت معا الطبيعية أو الاجتماعية أو السياسية. وعموما فإن بوبر يعتقد أن نمو المعرفة في العلوم الاجتماعية يجب أن يفهم تقريبا بنفس المنطق في العلوم الطبيعية، حيث ننطلق بتحديد

---

[1] Karl Popper, In Search of a Better World, Translated by Laura J. Bennet, London: Routledge, 1992. p.83.

انظر أيضا :كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، تر: أحمد مستجير، الإسكندرية الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص.108.

المشكلات السياسية أو الاجتماعية، ثم يبدأ البحث لحل هذه المشكلات من خلال المحاولة والخطأ، بهدف استبعاد الخطأ في النظريات والممارسة. وليس هدف النظرية الاجتماعية إقامة تعميمات أو نبوءات طويلة المدى حول سير مستقبل التاريخ. [1]

إذن فقد تبين لنا مما سبق أن " لهذا التعبير – التاريخانية – معان متعددة قد تختلف فيما بينها حتى التناقض، ولكن لا ضير في ذلك ما تذكرنا مبدأ بوبر المناوئ للمعارك التعريفية والمماحكات اللفظية، ولذلك فهو يحدد ما يعنيه بكلمة Historicism، ويمضي في تحليلاته وفقا لهذا التعريف، ومن ثم فليس هناك أي مجال للبس ولا للجدل حول الألفاظ[2]، وعليه يمكن القول أن كتابه عقم المذهب التاريخاني قد جاء عبارة عن دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية أين طرح هذا الاصطلاح – التاريخانية – وصرح أنه قد قصد به: "طريقة – للتنظير – في العلوم الاجتماعية تفترض أن التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية، كما تفترض أن هذه الغاية ممكن تحقيقها بالكشف عن الإيقاعات أو الأنماط أو القوانين أو الاتجاهات التي تحدد تطور التاريخ"[3].

وعلى هذا الأساس جعل بوبر Popper من هذا المنهج ميدانا للدراسة الابستيمولوجية، وحدده موضوعا للفحص والنقد والمقارنة بين دعاوى التاريخانية المؤيدة للمنهج الطبيعي من جهة، ودعاوى التاريخانية المعارضة للمذهب الطبيعي من جهة أخرى، وبما أن هذا النوع من الدراسات هو ابستيمولوجي، فإنه ينطوي تحت فلسفة العلوم الاجتماعية، ولفهم هذه الأخيرة عند بوبر، تناولنا فلسفته العلمية عموما وأفكاره المؤسسة لها، التي يؤكد على تمسكه بها حتى بعد الانتقال إلى العلوم الاجتماعية أو المجتمع والسياسة، كيف لا وهو يعد من أهم فلاسفة العلم في القرن العشرين، بل إنه عند التساؤل عن المنهج العلمي، فإن علماء العصر إن لم يذكروا مباشرة اسم بوبر، سيستشهدون بأفكاره، ويقولون بأن العلم يتطلب تعريض النظريات الأقسى الاختبارات لأن الأفكار العلمية تتحدد بالنقد العقلي، كما أن النظريات العلمية قابلة للتكذيب تجريبيا، وكل

---

[1] Phil Parvin, Karl Popper, p.48,49.

[2] عادل مصطفى، كارل بوبر: مائة عام من التنوير ونضرة العقل، ط1، بيروت: دار النهضة العربية، 2002، ص176،177. انظر أيضا، Jerzy Szacki, "On the so-called historicism in the social sciences".Quality and Quantity, volume5 Number 2,1996.p.286. ، في هذا المقال تفصيل عن معنى أو معاني التاريخانية فلسفيا، وكيفية تأثير ذلك في العلوم الاجتماعية، كما يركز المقال على نموذج بوبر للتاريخانية بأنه إجرائي مميز عن كل المعاني في تاريخ الاصطلاح، بل إنه يختلف أيضا في من يعتبرون عادة ذوو نزعة تاريخانية.

[3] Karl R. Popper, The Poverty of Historicism, London: Routledge, 1999, p.3.

هذا من التراث الذي خلفه بوبر وطبقة على جميع الأفكار العلمية، حيث انتقل بها من فلسفة العلوم الطبيعية إلى فلسفة العلوم الاجتماعية.

1- فلسفة العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر:

حاول الباحثون منذ الوعي بالظاهرة الاجتماعية مع تعاقب المراحل التاريخية أن يؤسسوا نظريات قادرة على تفسير آلية سير المجتمع الإنساني وظواهره المتعددة وفهم ديناميكية المجتمعات البشرية وسلوك جماعاتها وذهنية أفرادها إلا أن هذه المحاولة لم تكن ناجحة بشكل مرض مقارنتها بمثيلتها في العلوم الطبيعية ويعود ذلك إلى كون أن النظرية الاجتماعية التي تعلن أنها تمتلك قدرة تفسيرية ذات صبغة موضوعية تضمنت جانبا ذاتيا لم تتمكن من التخلص منه خلال دراستها للظواهر الاجتماعية بل و هو ما يظهر في نتائجها. [1]

ولما كان من الصعب عزل الدراسة في الظاهرة الاجتماعية عن تأثيرات الشخصية والبيئة الاجتماعية فقد صبغت كل نظرية اجتماعية بقيم ومعايير المفكر الاجتماعي الذي حاول أن يعمم وجهة نظره على كل المجتمعات البشرية و لما كانت هذه الذاتية تعكر صفو التوجه العلمي ونقائه فإن تجاهل الدراسة الاجتماعية للفترة الزمنية و المكانية و كيفية تغير المجتمع من زمن إلى آخر و من جماعة إلى أخرى يبعد هذه الدراسة عن الموضوعية وينتج فرضية اجتماعية حاملة لطابع و بنية المجتمع الذي ولدت فيه فقط و بالتالي لا يمكن تعميمها لتفسر كل المجتمعات البشرية بمثابة قوانين تحكم تقدمها وبالتالي كان هذا بمثابة اعتراف بفشل العلوم الاجتماعية في بناء نظريات تفسيرية قادرة على خدمة الإنسان. [2]

وتنظيم علاقاته مع أقرانه ووضع استراتيجية معينة لتطوره وتقدمه وهو كذلك إذا ما قورن بالانتصارات الكبرى التي حققتها وتحققها العلوم الطبيعية من ثورات وانجازات علمية مستمرة. [3]

يمكن القول أن الظاهرة الاجتماعية وتداخلها في الدراسة كموضوع مع ذات الدارس تفرض تعدد إشكالاتها من ناحية المنهج والموضوع وإمكانية قيامها بنفس القدرة التفسيرية كما في العلوم الطبيعية بل إن منها ما يداخل مع مقاصد ونوايا غير علمية ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا أن نتساءل كيف تعامل كارل بوبر كفيلسوف علم مع منهج العلوم الاجتماعية والإنسانية وهل استطاع تطبيق فلسفته العلمية على علوم بدا للكثير من العلماء والفلاسفة أنها تختلف عن العلوم الطبيعية منهجا وموضوعا ؟ ولما كان هناك عدة نقاط

---

[1] ماهر اختيار إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، د.ط، منشورات الهيئة السورية للكتاب،دمشق وزارة الثقافة 2010، ص 183.

[2] ماهر اختيار إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص 261.

[3] ماهر اختيار إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، المرجع نفسه، ص 261.

اختلاف بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية، كيف استطاع بوبر أن يجعل من معياره قابلا للتطبيق في هذه العلوم ؟ وهل ما ينطبق على العلم الطبيعي ينطبق على علم موضوعه سلوك الإنسان الاجتماعي؟

يبدو أن بوبر Popper ينظر للأمر من زاوية مختلفة فهو يعالج هذه النقطة من خلال اعتقاده بوجود تشابه بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية بناء على عدة خطوات هي أولا الانطلاق من مشكلة نظرية وليس من ملاحظة حسية وثانيا وحدة المنهج الفرضي الاستنباطي الذي ينظر بوبر دوما لمبادئه وثالثا مبدأ المحاولة والخطأ الذي يمثل آلية سير العلوم وتطورها وأخيرا العقلانية النقدية التي يرفعها شعارا يجب أن يتصف بها كل باحث وتمثل هذه الخطوات من منظور بوبر عملية البحث العلمي التي تقرب المعرفة العلمية أكثر من الموضوعية. [1]

حاول بوبر Popper أن يكون أمينا للمبادئ التي شكلت انطلاقته الفكرية الأولى واستطاع بفضل حيوية الخطوط العريضة التي صبغت فلسفته العلمية وقابليتها للتعميم في البحث العلمي حسب رأيه أن يطبقها في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية وهذه الخطوط هي وجوب الانطلاق من مشكلة نظرية والتزام المنهج الفرضي الاستنباطي وخطوة المحاولة والخطأ ومبدأ العقلانية النقدية هذه هي الخطة المنهجية التي اتبعها بوبر في انتقاله من ميدان فلسفة العلم الطبيعي إلى ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية حاملا معه وجهة نظره العلمية ذاتها فالنظرية كما يراها بوبر Popper سواء قدمها العالم الطبيعي أو الاجتماعي فرضية تخمينية مرحلية من الممكن تكذيبها وطردها من السياق المعرفي عند توفر نظرية أفضل منها ويتحقق هذا الاستبعاد بفضل النقد والاختبارات القاسية وموضوعية أي علم تكمن في موضوعية منهج الباحث النقدي الذي يعتمده في تفحص فروضه أي أنها نابعة من النقد الممكن للنظريات وبالتالي يرفض بوبر القول بأن موضوعية العلم تتوقف على موضوعية الباحث والقائمين على برامجه العلمية مما يوجب الابتعاد عن التمسك الدوغمائي بالمبادئ والنتائج المتوصل إليها في مرحلة من مراحل تطور العلوم[2]، ولا يهم عند بوبر مصدرية أي فكرة نظرية سواء كانت من الخرافات الشعبية أو المعتقدات أو الأساطير أو الخيال وإنما ما يهم هو إخضاعها لمتطلبات العقل والنقد والقابلية للتكذيب لتحقيق التقدم العلمي نحو الصدق وتجاوز النظريات الأخرى.

[1] ماهر اختيار إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص 263.

[2] ماهر اختيار إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص 265.

وعلى هذا الأساس يقول بوبر Popper: "تستطيع أن نظفر بأفضل تفهم لمناهج العلوم الطبيعية وبالمثل تماما لمناهج العلوم الاجتماعية إذا سلمنا بأن العلم دائما يبدأ بمشكلات وينهي بمشكلات ويكمن التقدم العلمي أساسا في تطور المشكلات العلمية و يمكن تقييم التقدم العلمي بواسطة الزيادة في هذه المشكلات العلمية وثرائها وخصوصيتها و عمقها".[1]

ومما يؤكد هذا التشابه أن الباحث في العلوم الاجتماعية يملك معرفة مباشرة بذاته وذوات الآخرين وبسلوك هذه الذوات وانفعالاتها وأفكارها بحيث يمثل ذلك خلفية ذهنية يستطيع من خلالها اقتراح فروض وحلول لمشكلات اجتماعية تعترضه فذاته تؤلف بنية معرفية تنتمي لهذا المجتمع وبالتالي يستطيع الانطلاق من هذه الذات واقتراح فروض حدسية بصدد أبحاث اجتماعية متعددة، وثم اختبار هذه الفروض ونقدها والاستناد إلى أكثرها ملائمة وبالمثل تماما يعتمد الباحث في مجال الطبيعة على معرفته الحدسية في اقتراح فروضه العلمية فملاحظة الذرات عن طريق الحواس و ما تتركب منه غير ممكنة و لا يمكن وضع حلول بصددها إلا عن طريق تقديم فروض نابعة من معرفة الباحث الحدسية و العقلية التي بدورها ستخضع لاختبارات قاسية ينتخب المناسب منها. [2]

فالعقلانية النقدية بما حملت من تكذيب ونمو للمعرفة و بقاء للأصلح هي منهج كل العلوم حيث يقول بوبر : "فإذا اختبرنا النظرية واكتشفنا أنها خاطئة فعلينا دائما أن نحدد أي جزء من جميع الأجزاء المكونة للنظرية هو المنوط به فشلها و أطروحتي هي أنه من قبيل التخطيط المنهجي المصيب أن نتخذ قرارا بأن لا نجعل مبدأ العقلانية هو المنوط به فشلها ، بل بقية النظرية أي النموذج". [3]

ويوضح بوبر أن العلوم الطبيعية ليست معصومة من ارتكاب الأخطاء فمن ناحية أولى لا يتطور العلم ولا يتبلور تاريخه إلا بتحديد أخطائه وتجاوزها ومن ناحية أخرى الأخطاء المرتكبة في البحث العلمي الطبيعي ليسا أدنى من الأخطاء التي ترتكب في العلوم الاجتماعية ويقول بوبر معلقا على ذلك بان من يدرس تاريخ الفيزياء سيكتشف على الفور أنه حتى الفيزيائيين العظام ارتكبوا أخطاء فمنذ عام 1905 حتى عام 1915 عمل أينشتاين في مشكلة الجاذبية قبل أن يصل إلى النظرية التي يمكن أن تحل محل نظرية نيوتن، ومن تلك السنوات العشر أمضى زهاء خاطئ بالكلية إن بوبر هنا لا يقلل من شأن العلوم الطبيعية بل يريد التأكيد على

[1] كارل بوبر أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية تر يمنى طريف الخولي، الكويت، عالم المعرفة2001، ص 185.

[2] كارل بوبر أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية تر يمنى طريف الخولي، الكويت، المصدر نفسه ، ص 189.

[3] كارل بوبر أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية تر يمنى طريف الخولي، الكويت، المصدر نفسه، ص 271.

نقطة مهمة وهي أن الإنسان سواء كان عالم طبيعة أو عالم اجتماع معرض لأن يخطئ في اقتراح الفروض العلمية والذي يجعل منه عالم قريبا من الموضوعية هو امتلاك الحس النقدي الذي يساعده في اختيار فرض علمي دون آخر. [1]

كان هذا من الناحية المنهجية أما من الناحية العلمية فقد عرف بوبر بنقده السياسي، بالرغم من تجاهل المنظرين السياسيين الأكاديميين لأعماله في غالب الأحيان وكتاباته السياسية لا سيما المجتمع المفتوح وأعداؤه أثرت وما تزال بشكل واضح على الصعيد السياسي خلال فترة ما بعد الحرب العالمية 2، وبالأخص في بريطانيا وألمانيا بل إن العديد من الشخصيات السياسية الكبرى خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي تشهد بتأثيره ومن بينها Vaclav Helmut nargavet Thatcher Havel أما من خلال التسعينات فإن أفكاره قد اجتاحت دول أوربا الشرقية الشيوعية سابقا وأصبحت الأكثر مقرونية في الجامعة الصينية، وتأثر الطلبة بنقده للدعاوى العلمية للماركسية و طالبوا بانفتاح المؤسسات الحكومية على الآراء النقدية .

أما عن التأثير في مناقشات المثقفين العامة فتبدوا هي الأخرى مشبعة بالأفكار البوبرية لا سيما تصوره عن المجتمع المفتوح ولبوبر تعليق خاص على هذه النقطة، حيث يرى أنه من واجب المفكر أن يكتب بلغ بسيطة مفهومة، ويبتعد عن الزخرفات اللفظية بل هو يعتبر ذلك خطيئة حين يبعد المفكر لغته عن متناول المثقف العام خصوصا في مثل هذه الجوانب من الدراسة ويقول في ذلك: على كاهل كل مثقف تقع مسؤولية خاصة جدا، لقد منح امتياز وفرصة الدراسة وهو يدين لعشيرته المجتمع في المقابل بأحقيتها في أن تعرف نتائج دراسته بأبسط أوضح صورة ممكنة وأكثرها تواضع، إن أسوأ ما يمكن للمثقف أن يفعله خطيئته الكبرى – هي أن ينصب نفسه نبيا عظيما في مواجهة عشيرته ويثير إعجابهم بقوالب فلسفية محيرة[2] فيجب على كل من لا يستطيع أن يتكلم بوضوح وببساطة أن لا يقول شيئا ويواصل العمل حتى يتمكن من ذلك-.[3]

إضافة إلى ذلك فإن العديد من أفكاره ظلت مهيمنة في الاجتماعية والنظرية السياسية تماما مثل العلوم الطبيعية حيث سخر بوبر مؤلفيه " المجتمع المفتوح و أعداؤه" و " عقم التاريخية " والكثير من المقالات لفلسفة العلوم الاجتماعية ومناهجها، يتضح من خلالها هجومه على التاريخانية الذي هو محور دراستنا هذه ودفاعه عن مبدأ الفردية المنهجية ومنطق المواقف أو التحليل الموقفي في دراسة الظاهرة الاجتماعية وتظهر أهمية هذه

[1] ماهر إختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب، المرجع السابق، ص 277.278.

[2] ماهر إختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب المرجع نفسه ، ص 278.279.

[3] ماهر إختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب المرجع نفسه، ص 278.

الأفكار على الساحة العلمية من حيث ما طرح من كتابات حولها ومثل ذلك، الفكر السياسي عند كارل بوبر الذي يناقش الفكر السياسي و النهج العلمي عند بوبر وكتاب ويليام غداتون الذي عنوانه كارل بوبر والعلم الاجتماعية وكتاب valvinhayes بعنوان بوبر هايك والمجتمع المفتوح وأيضا كتاب مجتمع بوبر المفتوح بعد خمسين عاما وغيرها من المؤلفات الكثيرة في هذا المجال وخصوصا تلك التي تصدر إحياء لأعياد ميلاده أو لذكراه بعد وفاته حيث كانت يشغل مجلة بأكملها تتناول فكره كل المقالات فيها والتي لا سبيل لحصرها هنا.[1]

إلا أن نظرية ماركس Marx في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتي تمثلت في تنبؤات كانت قابلة للتكذيب عندما صاغها في مؤلفاته ثم كذبتها وقائع متعددة وبالتالي يجب القول: إن نظرية ماركس في هذا الإطار ليست نظرية زائفة ، وإنما هي نظرية علمية تم تكذيبها .

للاقتراب أكثر من وجهة نظر بوبر Popper، وعرض ما قاله في مؤلفاته في هذا الصدد، ولتقديم شرح واف حول إعادة خطوة ببور الجريئة في تعميم معياره وامتداد تطبيقه ليشمل العلوم الاجتماعية والإنسانية يجب عرض آرائه حول جوانب العقلانية في العلوم الاجتماعية ووجهة نظره في علم التاريخ بوصفه نموذجا لعلم إنساني قابل للتكذيب وبعد ذلك عرض النظريات غير القابلة للتكذيب مثل التاريخانية، وثم التعرض للنظرية الماركسية وتنبؤاتها التي تم تكذيبها.

2- تعريف بوبر للعلوم الاجتماعية:

نقترح الشكل الذي بحسبه تأخذ العلوم الاجتماعية مكانها في النسق الايبستمولوجي لكارل بوبر ولهذا فإن أول سؤال يتبادر إلى الذهن عند التفكير في ذلك هو ما مدى علمية العلوم الاجتماعية من وجهة نظر الابستيمولوجيا البوبرية؟

وإن نحن استحضرنا أن لدى معيار علمية النظريات العلمية مبدأ قابليتها للتكذيب الدحض أي أن النظرية تكون علمية حين استنادها إلى نتائج وتنبؤات يمكن تفنيدها وحيث أن أول انطباع يمكن الخروج به عند المقارنة بين العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية هو القدرة المذهلة للأولى على التنبؤ بدقة، خاصة الفيزياء التي تمثل براديغم البحث العلمي بالنسبة لبوبر Popper ، في حين لا تقدم الثانية سوى نظريات تبقى في معظمها نظريات تفسيرية، فإن السؤال الذي يطرح هو هل مرد ذلك إلى اختلاف في المنهج ؟[2]

[1] كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، تر: أحمد مستنبير، الاسكندرية، الهيئة المرية العامة للكتب، 1999، ص 108.

[2] كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، المصدر السابق، ص 108.

قد تكون الإجابة البوبرية مفاجئة فهو يدافع عن أطروحة مفادها أن العلوم الاجتماعية ليست علمية فقط، بل أكثر من ذلك هي تكشف أساسا عن اعتماد المنهج نفسه مثل العلوم الطبيعية، وسيتجلى ذلك من خلال عرض الموقف البوبري بما يعنيه بالعلوم الاجتماعية لنقف بعد ذلك عندما يخلق تقاربا بين هذه العلوم والعلوم الطبيعية.

إذا فما الذي يقصده بوبر Popper بالعلوم الاجتماعية؟ إن طرح كهذا سؤال ما العلوم الاجتماعية ؟ لا يحظى برضا كارل بوبر لأن الدقة بالنسبة إليه لاحقة للوضوح ويتجلى هذا بقوله :" الوضوح في ذاته له قيمة أما الدقة اللسانية فهي بمثابة شبح ، والمشاكل المرتبطة بمعاني الكلمات وتعريفها تظل من غير أهمية".[1]

وموقف بوبر هذا ناجم عن رفضه للتقليد الذي يعبر ويخترق مجمل تاريخ الفلسفة منذ أفلاطون وأرسطو، وحتى يتفادى نعوتا من قبيل "الواقعية" و "المثالية" فإنه يطلق على هذا التيار الفلسفي اسم "النزعة الماهوية" فأصحاب هذه النظرية يعتقدون أن الكلمات المستعملة بشكل كوني ك: الطاقة الإنسانية والدولة تمثل أشياء كونية توجد باستقلال عن حالتها الخاصة، وهي وجهة نظر تبقى مضادة للنزعة الاسمية فسؤال الدلالة بالنسبة لبوبر أو تعريف العبارة تبقى غير ذات قيمة ، لأنه يركز في المقابل على مشكل النسق فأسئلة من قبيل ما الدولة ؟ وما الديمقراطية ؟ ....الخ تبقى أسئلة غير منتجة ما دامت تؤدي إلى تكرار المشكلة التي لا نهاية لها بمعنى مشكلة التعريف فإذا أجاب أحد ما الديمقراطية هي قاعدة الإرادة العامة فإن المشكل يطرح من جديد ما الإرادة العامة ؟ وهكذا دواليك... إن المشكل في الذي ينحصر في تعريف المصطلحات الأكثر غموضا يبقى حجة خطيرة ، لأن لا أحد سيجرؤ على المضي في النظرة النقدية كي يتساءل ما الذي يعنيه هذا المصطلح أو ذلك ؟ خوفا من الوقوع في ارتكاس لا نهائي لذلك فإن الكلمات لها وظيفة أدائية محضة، في نظر كارل بوبر فما هي إلا تسميات موجهة نحو اختصار التواريخ الطويلة كما أن النقاشات بصدد الكلمات لا تقضي إلى خلافات غير مثمرة ومن غير نهاية فهل معنى ذلك أنه محكوم علينا بالوقوع غرقى الخطاب الغامض؟ على ذلك يجيب بوبر بالنفي لأن وضوح الغرض ضروري إذ إن الأمل في انتقاد نظرية يقتضي التأكد جيدا من فهمنا لها، أي فهم منطقها ومتضمناتها وذلك هو الشرط الذي باستيفائه تكون نظرية ما قابلة للتكذيب الدحض ولذلك فإن غاية ما يريد بوبر Popper الوصول إليه من خلال موقفه السابق هو أن المبالغة والإغراق في تدقيق العبارات يكون في الواقع إعاقة نظرية .[2]

[1] كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، المصدر السابق، ص 22.

[2] كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، المصدر نفسه، ص 23.24.

إذ بذلك هي تغامر النظرية بالسقوط في شرك أسئلة ثانوية وذات أهمية جدا لذلك يجب عدم التركيز على دقة قصوى بل فقط على الدقة الضرورية لأجل معالجة المشكل المطروح علينا كانت تلك عتبة جرنا إليها طرح سؤال: ما العلوم الاجتماعية؟ وقد جعلتنا نقف على الموقف البوبري المبدئي المضاد للنزعة الماهوية ولأجل الدنو من المقاربة البوبرية للسؤال عن هذه العلوم يتطلب منا التوقف عند السؤال عن وحدة منهجها والمنهج المعتمد في العلوم الطبيعية. [1]

والجدول التالي يوضح التماثل فيما بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية

العلوم الاجتماعية	العلوم الطبيعية
نموذج أو نظرية مبدأ العقلانية ↓	الشروط البدئية ↓ نظرية قانون
حدث من نمط اجتماعي	حدث طبيعي

إذا من خلال الجدول المذكور أعلاه يتضح جليا أنه هناك اختلافا يظهر بوضوح في ما بين النوعين من الاستدلال ففي العلوم الطبيعية نستعمل القانون النظرية لأجل استنباط نتائج الشروط الابتدائية، وإن كانت النتائج غير تلك التي توقعناها فإن القانون هو الذي يجب تعديله وبذلك يكون الخطأ الذي أظهره التفنيد متضمنا في النظرية أي في الاستدلال المتموقع في ما بين الشروط الابتدائية والنتائج المحصلة بينما العلوم الاجتماعية يتموقع الخطأ من دون شك في البداية أي على مستوى النموذج فعند هذا المستوى توجد حصة الإبداع في الاستدلال فمبدأ العقلانية الذي يؤدي وظيفة قانون كوني لـ النموذج لا يمكن المنازعة فيه، وكما يقول بوبر " القول بأن أحدا قام بشيء ما لأنه مجنون هو الاعتراف بأننا لا يمكن تفسير ذلك أبدا إن مبدأ العقلانية يقضي بأنه إذا أردنا تفسير حدث اجتماعي بطريقة عقلانية فعلينا أن نفترض بأن الأشخاص المعنيين يتصرفون آخذين في اعتبارهم الموقف أو على الأقل ينصرفون في ارتباط برؤيتهم للموقف. [2]

[1] كارل بوبر، بحث عن عالم أفضل، المصدر السابق، ص 24.

[2] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 210.

إن المفهوم العام الذي قام بوبر بتقديمه لمبدأ العقلانية مثلما سبقت الإشارة إليه ما هو في الواقع إلا حكم سلبي متمثل في إقصاء الجنون من محاولاتنا التفسيرية الأمر الذي يفرض الاستدلال ضرورة وهذا التطور الأدنى قاد بوبر إلى استعمال عبارة تحليل الموقف فلكي نفهم الكيفية التي تصرف بها فرد ما يجب أخذ الموقف في الحسبان أي منطلق الموقف الذي يوجد فيه، وبالتالي يكون الاستدلال في العلوم الاجتماعية الإنسانية مبنيا على هذا المبدأ في أضعف صياغاته كمبدأ قبلي وهو ما يمكن إيضاحه من خلال الجدول أعلاه. [1]

3- خصوصية العلوم الاجتماعية:

بالرغم من قوله بواحدية المنهج فإن بوبر لا يجد بديل حتى لم يكن بمقدوره أن ينفي وجود اختلافات في ما بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية فالإنسان ليس هو الذرة، وهو لا يسلك مثلها وهو ما ينعكس آثاره على مستوى التجريب والدقة إذ يصبح ذلك صعبا بالنظر إلى الطبيعة المتحولة والمعقدة للعلاقات الاجتماعية فكون الإنسان كائنا مفكرا، أي كائنا يؤثر ويتأثر بنظريات ما يجعل الواقع الاجتماعي ديناميا وغير قابل للتنبؤ به إلا أن هذه الاختلافات لا ينبغي أن تقود بحسب بوبر إلى التخلي عن القول بالمنهج الواحد بل عليها أن تقود العلوم الإنسانية إلى إقامة تحليل خاص ومركز على الفرد. [2]

3-1- الطابع المعقد للتجريب وصعوبته:

الاختلاف الأول هو مشكل التكميم لكونه من خصائص العلوم الطبيعية الفيزياء على الخصوص التي تضفي بشكل كاف الطابع الصوري على نظرياتها لتسمح بمقاربة كمية وهذا التكميم هو الذي يسمح ببلوغ تنبؤات أكثر دقة أما بالنسبة للعلوم الإنسانية فعن هذا المشكل يبقى ويظل عسيرا وشائكا لكن بعض هذه الصعوبات يمكن أن تحل وقد تم حلها بالفعل عبر استعمال المناهج الإحصائية خذ مثلا علم الاقتصاد لأن معالمنا هنا هي ذاتها في أغلب الحالات متغيرات تتبدل بسرعة فبوبر يشير إلى اتجاه للبحث يسير صوب الإحصاءات لأجل تكوين وبناء نماذج بيد أن ذلك يظل عاما ولا يمنح برنامجا مرتبطا بالطابع الإحصائي للبحث في العلوم الاجتماعية فمنذ بؤس النزعة التاريخانية الذي كتب في الأربعينيات، ظهرت اتجاهات حاولت معالجة هذا المشكل أي مشكل الصورنة. [3]

---

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 215.

[2] كارل بوبر، بؤس الايدولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، تر، عبد الحميد صبرة، ط1، بيروت، دار الساقي 1992، ص 135.

[3] كارل بوبر، بؤس الايدولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، المصدر السابق، ص 136

مثل نظرية الألعاب التي تحاول أن تدمج التفاعلات في ما بين عدد محدود من الفاعلين عبر صورته مجردة للوضعيات وهناك طريق آخر واعد يتمثل بالمحاكاة المعلوماتية لـ" المجتمعات المصطنعة "التي تسمح على سبيل المثال بدراسة الكيفية الدقيقة التطورات العفوية ويوضع الظواهر التعاونية داخل المجتمع في موضعها الصحيح لقد أصبحت اللغة المعلوماتية تفرض نوعا من الصورنة من النماذج والفرضيات وتسمح في الوقت نفسه ببلوغ نتائج أكثر دقة وإطارا يكون من الممكن فيه إعادة التجارب وهي نتائج تبقى مذهلة.

ومعنى ذلك تبقى صعوبات أكثر عمقا ملازمة للعلوم الاجتماعية هي مشكلة حركية الواقع التي تجعل التجريب صعبا ولهذا علينا التخلي في العلوم الاجتماعية عن البحث عن شروط ثانية تلك التي تتمسك بها النزعة التاريخانية كما يقول بوبر " والحق أن هناك من الظروف الممكنة مالا حصر لها ونحن نستطيع امتحان الممكنات في بحثنا عن شروط الاتجاه الحقة ولا بد أن ندعو إلى مخيلتنا دائما الشروط التي يختفي الاتجاه عند تحقيقها ولكن هذا بعينه مالا يقدر التاريخاني على فعله إذ إنه لا يسمح لنفسه يتخيل الظروف التي يختفي الاتجاه بتحقيقها، فالتاريخاني لا يبني عن تعنيف أولئك الذين يعجزون عن تصور التغيير في عالمهم الصغير، ولكنه مفتقر هو نفسه إلى هذا التصور لأنه عاجز عن التغيير في شروط التغيير. ولكي يتجاوز بوبر مشكلة التجريب في العلوم الإنسانية يقترح منهج تحليل يراه جديرا بتقديم الحل هو تحليل الموقف. [1]

3-2- تحليل الموقف:

إن صعوبة التجريب في العلوم الإنسانية العائدة إلى كون الإنسان كائنا مفكرا وبالتالي يؤثر في النظريات ويتأثر بها تظهر وكأنها تجعل من الوضعيات الاجتماعية وضعيات يتعذر حلها لكن على الرغم من ذلك يبقى بوبر مقتنعا أن الوضعيات الاجتماعية هي على العكس من ذلك أكثر بساطة من الوضعيات الفيزيائية الملموسة بالنسبة إليه إمكانيات التجربة ما هي إلا اختلافات في الدرجة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية بل هناك اختلاف أكثر عمقا وأكثر أهمية من دون شك يقضي بوجود أسباب وجيهة للاعتقاد ليس فقط في أن العلوم الاجتماعية هي أقل تعقيد من الفيزياء ولكن الاعتقاد أيضا ف الوضعيات الاجتماعية الملموسة هي عموما أقل تعقيدا من الوضعيات الفيزيائية الملموسة لأنه داخل أكثر الوضعيات الاجتماعية إن لم يكن كلها هناك مكون للعقلانية قد نندهش لهذا الإقرار الذي يتم تكذيبه من خلال ما نراه يوميا و لهذا من اللازم أخذ مفهوم العقلانية في مفهومه الأكثر عمومية، وذلك يدققه بوبر بقوله:" من البديهي أن الكائنات الإنسانية لا تتصرف تقريبا بطريقة عقلانية أي أنها تتصرف بالاستعمال الأقصى لكل المعلومات التي في متناولها لبلوغ

[1] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، المصدر السابق، ص 135.

أهدافها إلا أن الكائنات الإنسانية تتصرف على الأقل بنسب متفاوتة عقلانيا، وهذا يسمح بناء نماذج بسيطة بشكل مقارن لأفعالها وردود أفعالها عبر استخدام نماذج التقريب فالبرغم من الصعوبة التي تحقق بمبدأ العقلانية هذا التي يقر بها بوبر ذاته بقوله: لكي نستطيع أن ندرك أننا لا نتصرف دائما تبعا لمبدأ العقلانية يكفي أن نلاحظ سائقين مرتبكين محاولين الخروج من مرور توقف فجأة أو يبذلون محاولات بائسة للوقوف الركن بسياراتهم في موقف سيارات يصعب أن تجد فيه مكانا وعلاوة عن هذا هناك فروق فردية شاسعة. [1]

بالرغم من ذلك فإن هذا المبدأ يسمح للعلوم الإنسانية بإقامة المنهج الصفري أو المنهج فدرجة الصفر ووكما يقول بوبر تستطيع في العلوم الاجتماعية أن نستخدم منهجا يمكن تسميته " منهج التركيب المنطقي" أو "المنهج العقلي" وربما أطلقنا عليه أيضا عبارة " المنهج الصفري وأعني بذلك منهج تركيب النماذج بناء على افتراضنا المعقولية التامة وربما افترضنا أيضا المعرفة التامة في جانب كل الأفراد الذين تحتويهم موقف معين، ثم تقرر انحراف السلوك الفعلي لهؤلاء الأفراد عن سلوك النموذج باعتبار هذا الأخير إحداثيا قيمته صفر، ومن أمثلة هذا المنهج المقارنة بين سلوك الناس الفعلي الخاضع مثلا لتأثير الأحكام السابقة الموروثة وما إلى ذلك والسلوك النموذجي الذي نتوقعه بناء على منطق الاختيار البحث كما تصفه المعادلات الاقتصادية. [2]

ومبدأ العقلانية لا ينبغي تحميله هنا أكثر مما يحتمل، فهو في تعريفه الأبسط كما يحدده بوبر في هذا السياق" دائما يتصرف الفاعلون بطريقة ملائمة للموقف الذي يجدون أنفسهم فيه. وبالتالي فالأمر يتمثل بتوظيف النموذج كنقطة معلمية كما يتم تقريبا في التجارب في الكيمياء والبيولوجيا، توظيف الأنابيب الشواهد ثم يتم تحديد أسباب التباعد ومحاولة فهم الاختلافات وبوبر يحرص على الإشارة إلى هذا السبب تبريرا للادعاء السيئ كي يكون علم النفس أساسا للعلوم الاجتماعية وهكذا فالنموذج الذي يتم تكذيبه من قبل هذه التباعدات يجب أن يتم تحسينه حتى يكون أكثر التصاقا بالواقع و يكون قادرا على القيام بتنبؤات جيدة وباعتراف بوبر يكون هذا المنهج محاولة لتعميم التحليل الاقتصادي على مجموع العلوم الاجتماعية بقصد تخصيب البحث فيها.

إذا فتأكيد بوبر Popper واضح على أن العلوم الاجتماعية و العلوم الطبيعية تتبع في الأساس الطريقة نفسها من خلال سيرورة استنباطية، عبر الانطلاق من حالة شروط ابتدائية تبحث عن استنباط توقعات مشروطة أقل أو أكثر امتدادا بفضل قانون يسمح بالاستدلال على الواحدة بالأخرى وفي حالة العلوم

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 203، 204.

[2] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، المصدر السابق، ص 145.

الاجتماعية يبقى مبدأ العقلانية هو الذي يؤدي وظيفة القانون الكوني و مبدأ الاستدلال بيد أن بوبر يجمل بغرابة نظريته عن قابلية التكذيب على محمل الخطأ عندما يؤكد أن مبدأ العقلانية لا يمكنه أن ينازع فيه و في هذا الصدد يقول: "... قد يبدو أننا في بحثنا عن أفضل النظريات عالجنا مبدأ العقلانية كما لو جاز أن يكون مبدأ منطقيا أو ميتافيزيقيا مستثنى من التفنيد ..... وعلى هذا النحو يمكن اعتبار خطة تأييد مبدأ العقلانية جزءا لا يتجزأ من منهجيتنا." [1]

4- ركائز منهج بوبر في العلوم الاجتماعية:

لما عارض بوبر التاريخانية كمنهج فاسد في العلوم الاجتماعية لم يكتف بالنقد، وإنما كان دائما يتخلله باقتراحات وفروض بديلة متبعا في ذلك منهجه الفرضي الاستنباطي وعقلانيته النقدية في إصلاح المنهج العلمي، حيث وردت هذه الاقتراحات متفرقة بين الكتب والمقالات وعلى هذا الأساس حاولنا أن نجمع ونلخص آراءه في هذه البدائل ونبين أهم ركائز منهج العلوم الاجتماعية عنده:

4-1- فكرة وحدة المنهج العلمي:

سبق وأن رأينا في عدة مواضيع أن بوبر يؤكد دائما على وحدة المنهج العلمي في العلوم ككل، والذي لا وجود للاستقراء فيه ولا للتعميم على أساس الملاحظات إذ هو منهج فرضي استنباطي، ولكن مع ذلك هو يعارض التقليد الأعمى لمناهج العلوم الطبيعية – الاستقرائية- من طرف علماء الاجتماع لقصور فهمهم الصحيح، وفي هذا هو يراعي الفروق الثانوية الخاصة بكل علم على أنها لا تضر برأيه بوحدة المنهج الأساسي في البحث، فكيف إذا فسر بوبر هذا الاختلاف وما يقصد بالوحدة في المنهج العلمي؟.[2]

يذكر بوبر Popper فرضية وحدة المنهج هذه في مقدمة الطبعة الأولى الانجليزية لكتابة منطق الكشف العلمي، بأنها تشمل كل المناقشات العقلية، أي في العلوم الطبيعية كما في الفلسفة وحسبه فإن ذلك يتضمن صياغة الإشكالية بوضوح واختبار حلولها المقترحة بالنقد حيث يعرف بوبر المناقشة العقلانية والنقدية بالموقف الذي كلما اقترحنا حلا لمشكلة ما وجب علينا محاولة إسقاط هذا الحل بالنقد جاهدين بكل ما أوتينا من طاقة، بدل الدفاع عنه وتأييده، ثم في موضع آخر من كتاب عقم المذهب التاريخي اقترح بوبر صيغة أخرى لوحدة المنهج في كل العلوم التجريبية العملية، وأكد على أهمية النقد في المنهج العلمي، حيث يقول أنه سيقترح في ذلك الفصل مذهب وحدة المنهج أي بمعنى النظرة التي من خلالها تستعمل كل العلوم النظرية أو التعميمية

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 210.

[2] كارل بوبر ، بؤس الايديولوجيا ، مصدر سابق، ص 124.

نفس الطريقة أو المنهج سواء كانت علوم اجتماعية، ونجد هذا المذهب أيضا في كتاب المجتمع المفتوح وأعداؤه،وهنا يلمح بوبر إلى أنه يجب على العلوم الاجتماعية أن توجه مشاكلها بمساعدة المناهج النظرية التي هي أساسا نفسها في كل العلوم.

ثم يقر بوبر Popper بالاختلاف في المنهج أو الفروق الفردية الثانوية لكل علم حسب موضوعه، و التي لا تحول دون وحدة منهج البحث العلمي، كما يطرحه ويفهمه هو حيث يقول :" لا أريد التأكيد على أنه لا توجد فروق في المناهج بين العلوم النظرية الطبيعية والعلوم الاجتماعية فمثل هذه الفروق موجودة بشكل واضح، حتى فيما بين العلوم الطبيعية نفسها، كما في العلوم الاجتماعية ...لكني على اتفاق مع كونت و مل وآخرون... على أن المناهج في هذين المدانين هي في الأساس نفسها، ولو أن الفهم بيننا لهذه المناهج تختلف وهذه المناهج تتضمن دوما تفسيرات سببية استنباطية وباختبارها على أساس أنها تنبؤات تسمى أحيانا بالمنهج الفرضي الاستنباطي أو منهج الفرض، لأنها لا توصل إلى حقيقة مطلقة لأي قضية علمية تختبرها بل تكتسب هذه القضايا صفة الفروض المؤقتة، ولو كان سيختفي هذا الطابع بعد اجتياز لعدد كبير من الفروض والاختبارات القاسية.[1]

نلاحظ أن بوبر Popper يتمسك جدا بمنهجه العقلاني النقدي في كل خطوة يخطوها في فلسفة العلوم الاجتماعية، ويبين جذور فكرته في وحدة المنهج في الفقرة التالية حيث يقول:" تكمن نظرتي لمنهج العلم ببساطة في أنها تنظم الطريقة ما قبل العلمية في التعلم من أخطائنا حيث يتم ذلك التنظيم بما يسمى بالمناقشة النقدية، ويكمن تلخيص نظرتي الشاملة في المنهج العلمي في القول بأنها تتضمن هذه الخطوات الأربع:

* تختار مشكلة ما، ربما هي التي تواجهنا ونتعثر بها.

* نحاول حلها باقتراح نظرية تكون بمثابة حل مؤقت لها.

*ومن خلال المناقشة النقدية لنظريتنا المقترحة تنمو معرفتنا باستبعاد أخطائنا وبهذه الطريقة سنتعلم كيفية فهم مشكلاتنا ونظريتنا والحاجة لحلول جديدة.

*أن المناقشة النقدية حتى لأفضل نظرياتها، تظهر دوما إشكاليات جديدة.

ويمكن أن نضع هذه النقاط الأربعة في أربع كلمات هي: إشكاليات، نظريات، انتقادات، إشكاليات جديدة.[2]

---

[1] كارل بوبر، بؤس الايدولوجيا، المصدر السابق ، ص 125.

[2] كارل بوبر، بؤس الإيدولوجيا، المصدر السابق ، ص 125.

إذن فالمنهج العلمي واحد عند بوبر، وبمعناه البسيط يتجسد في التعلم بطريقة المحاولة و الخطأ التي ينظمها بوبر في تصور ينطلق من فروض تفسيرية – جزئية – لمشكلات تصادفنا ثم نعمد إلى محاولة تفنيدها بكل ما أوتينا من طاقة بالنقد والاختبار لتنقيحها بحيث لا يفرق هذا المنهج بين التفسير أو التنبؤ أو الاختبار من حيث أن كلها مؤقت والفرق فقط من ناحية تأكيدها ، لأننا بصدد التفسير حين نستنبط التنبؤ، ونكون بصدد التنبؤ عند دراسة ومشاهدة مقدمات وتطبيق نتائجنا العلمية ثم نحن بصدد الاختبار عندما نحاول استئصال التنبؤات الكاذبة واكتشاف وجوه النقص فيها بالتجريب.[1]

هذا هو باختصار منهج كل العلوم التي تستند إلى التجربة وذلك قد يصدق أكثر في العلوم الاجتماعية، حيث تنتج مواضيعها المجردة أو النظرية عن التأويل التجريبي فتكون مهمة النظرية الاجتماعية تركيب النماذج تماما كما في العلوم الطبيعية عن طريق مبدأ العقلانية،أي أن الأشخاص أو الوحدات الاجتماعية تتصرف وفقا لما يقتضيه الموقف فتكون صيغ النماذج مركبة في ألفظ تشير إلى الأفراد بما يكون لديهم من مواقف وآمال وعلاقات على أساس أن الأفراد يتصرفون أو يتحركون مدفوعين بالعقل أو على الأقل بشيء من العقلانية، وبذلك تكون هذه النماذج بمثابة فروض تفسيرية تجريبية، يمكن إخضاعها للنقد والاختبار والمفاضلة بينها.[2]

وهنا يجب أن ننبه إلى ما عناه بوبر Popper بالأطروحة الرئيسية في مقاله منطق العلوم الاجتماعية، والتي على أساسها يكون منهج العلوم الاجتماعية مثل منهج العلوم الطبيعية يتضمن محاولة اقتراح أفضل الحلول التجريبية لتلك المشاكل التي تبدأ معها تحقيقاتنا، فإذا لم يكن الحل المقترح مفتوحا للنقد الموضوعي، استبعد لكونه غير علمي، أما إذا كان مفتوحا للنقد الموضوعي فإنه إما أن يفند أو يستبدل بحل آخر أو يصمد فنقبله بشكل مؤقت الاعتبارات قد تظهر لاحقا فتغير من صلاحيته، وعلى هذا يكون المنهج العلمي عموما محاولات لحل مشاكلنا يحكمها نقد قاس، وبعبارة أخرى إنه تطور الوعي النقدي لمبدأ المحاولة والخطأ، أي أن بوبر قد قصد بوحدة المنهج الطريقة المنظمة بالنقد العقلاني لمبدأ المحاولة والخطأ في جميع العلوم مع احتفاظ كل علم بخواصه بالنسبة لموضوعه تحت ما يسمى بتقنيات البحث، أي أن الفرق بين مناهج العلوم

[1] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، المصدر نفسه، ص 126.

[2] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، المصدر السابق، ص 161،162.

الطبيعية والعلوم الاجتماعية يتمثل فقط في نقاط ثانوية ترتبط بخواص مواضيع الدراسة لا ترقى لنفي هذه الوحدة في المنهج.[1]

تمثل إذا أطروحة وحدة المنهج من دون شك واحدة من الأطروحات التي دافع عنها "بوبر " بشدة، فهو يؤكد أن العلوم الاجتماعية تكشف عن مسار العلوم الطبيعية نفسه، ولا سيما المحاولة والخطأ إلى جانب التخمين والتفنيد، فكل معرفتنا تتبع هذا المسار، وعليه فعند دراستنا للظواهر الاجتماعية، علينا أن نعين الدقة المنهجية نفسها التي للعلوم الطبيعية وفي الإجمال ليس هناك اختلاف في ما بين مناهج العلوم الاجتماعية ومناهج العلوم الطبيعية على عكس ما يقوله الكثير من المعارضين، فنصف مؤلف "بوبر" عقم النزعة التاريخانية مخصص لعرض ونقد النظريات المضادة للنزعة الطبيعية، أي النظريات التي بحسبها ليس بالمقدور تطبيق مناهج العلوم الطبيعية، وبالتحديد الفيزياء على العلوم الاجتماعية و" بوبر" يعتقد على العكس من ذلك، بأن نوعي العلوم الاجتماعية والطبيعية لا يمكن الفصل بينهما من وجهة نظرية منهجية، فهما معا، يتبعان سيرورة التخمين والدحض، نفسها، فالأمر يتعلق دائما بحذف النظريات الخاطئة وإلغائها للاقتراب أكثر من الحقيقة وأداة ذلك هي صياغة نظريات قابلة للتكذيب.

5-كارل بوبر بين الوحدة و التعددية المنهجية:

ما معنى الوحدة المنهجية و ما المقصود بالتعددية المنهجية عند كارل بوبر؟

وهل يمكن الجمع بين الوحدة و التعددية المنهجية من دون الوقوع في التناقض؟هل يمكن تمديد تطبيق منهج العلوم الطبيعية ليشمل العلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وما هو موقع العلوم الإنسانية والاجتماعية عند بوبر؟هل يمكن اختيار منهج جاهز للتعامل مع العلوم الإنسانية و الاجتماعية أم أن مسائلها تقتضي معالجة خاصة ؟ وهل يؤمن بوبر بإمكان نقل منهج العلوم الطبيعية إلى ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية وبالتالي تتحقق الوحدة المنهجية بين جميع العلوم؟

لقد حاول كارل بوبر كما هو معلوم حل مشكلة التمييز بين العلم واللاعلم أين انتهى إلى أن إمكان التكذيب هو المعيار الملائم لهذا التمييز، حيث صرح قائلا: " ليس إمكان التحقيق، وإنما إمكان تكذيب النسق، هو ما يمكن أن نأخذه كمعيار للتمييز." فما يميز العلم الحقيقي عن العلم الزائف هو إمكان تكذيبه أما عدم إمكان التكذيب فهو ميزة اللاعلم، ويمكن الشارة في هذا السياق إلى أن بوبر لم يهتم بتمييز العبارات التي لها معنى عن العبارات التي لا معنى لها.

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار في الدفاع عن العلم والعقلانية، مصدر سابق، ص 88.

إذا كان منهج العلوم الطبيعية عند بوبر يتخذ دائما الشكل أو النموذج الاستنباطي الفرضي فإننا نتساءل هل هو منهج شامل لكل العلوم وبذلك تتحقق الوحدة المنهجية أم أن آلية الاستدلال الفرضي الاستنباطي ليست واحدة بين جميع العلوم العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وبذلك تتحقق التعددية المنهجية؟ انتقل كارل بوبر من ميدان العلوم الطبيعية إلى ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية حاملا معه المبادئ والقواعد التي بنى عليها نسقه الابستمولوجي والتي شكلت انطلاقته الفكرية الأولى منها معيار إمكان التكذيب وما يرتبط به من مفاهيم.[1]

كالمنهج الفرضي الاستنباطي والتكذيب، وحاول تطبيقها في ميدان مغاير للأصل الذي طبقت فيه، إنه ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية، وأول ما قام به أثناء هذه النقلة المعرفية هو تصحيح الاعتقاد بوجودها، وبعدها انتقل إلى الحديث عن أوجه التشابه بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية من أجل إبراز القاسم المشترك الموجود بينها المتمثل بالجانب العقلاني.

والوحدة المنهجية عند بوبر تعني أن العلوم، سواء كانت طبيعية أو إنسانية واجتماعية تستخدم جميعا منهجا واحدا، ويرى أن العلوم الإنسانية التي تدرس كل ما يتعلق بالإنسان من ظواهر نفسية، اجتماعية، تاريخية ، سياسية ، اقتصادية ة و لغوية ، تستطيع بناء نظريات تفسيرية تنبؤية كما هو الحال في العلوم الطبيعية وذلك باستخدام نموذج الفرضي الاستنباطي الذي تستعمله العلوم الطبيعية وهناك تتحقق الوحدة المنهجية، لا ننسى أن القول بوحدة المنهج يعد أهم مشروع نادت به الوضعية المنطقية قبله، إذ حاولت وضع مشروع حول وحدة العلم، مشروع يطمع إلى وضع لغة واحدة في العلم لتميزه من غيره، وذلك بغرض رد العلم، بمختلف مباحثه إلى لغة التحليل كون قضايا العلم قابلة للتحليل المنطقي، وضم جميع العلوم في لغة واحدة هي لغة الفيزياء، وبهذا تتحقق الوحدة الشامية لكل العلوم وهو ما يعطي وحدة منهجية لكل موضوعات البحث العلمي، لأن المنهج حسب الوضعية المنطقية إما أن يكون منهجا علميا، فيستخدم في كل العلوم، وإما أن لا يكون منهجا لكن مشروعها آمن به بوبر على الرغم أن المنهج العلمي عنده هو الفرضي الاستنباطي الذي يختلف عن الاستقرائي الوضعي المنطقي .[2]

---

[1] د،رشيدة عبة، مجموعة من الباحثين ، ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي والفكر الغربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، إشراف وتقديم، د الشريف زيتوني، ط1، بيروت ، 2112، ص 131.

[2] د، رشيدة عبة، ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي والفكر الغربي المعاصر المرجع السابق، ص 140.

حيث صرح قائلا:" سأقترح في هذا العدد مذهبا يقول بوحدة المنهج أي يقول بأن العلوم المنطوية أو التي تهدف إلى تقرير العبارات العامة سواء كانت علوما طبيعية أو اجتماعية إنما تستخدم جميعا منهجا واحدا بعينه". والوحدة المنهجية تتضمن خصائص المنهج الفرضي الاستبطاني وهي كما ذكر سابق : التفسير، التنبؤ، الاختبار، باستخدام المنهج أو النموذج الاستبطاني أو كما يسمى منهج المحاولة واستبعاد الخطأ " العلوم الطبيعية" مثلها مثل العلوم الاجتماعية تنطلق دائما من مشكلات أي من شيء ما يثير دهشتنا كما قال فلاسفة الإغريق، ولحل هذه المشكلات تستعمل العلوم أساس منهج المحاولة والخطأ."

إذا منهج اختبار النظريات العلمية عند بوبر سواء كانت تنتمي للعلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية والاجتماعية يتم عبر مراحل:

المرحلة الأولى: بمثابة المشكلة القديمة.

المرحلة الثانية: تمثل الحلول المؤقتة لهذه المشكلة.

المرحلة الثالثة: هي محاولة استبعاد هذه الحلول من خلال المناقشة النقدية.

المرحلة الرابعة: تمثل مشكلة جديدة و هي نتاج المناقشة النقدية.

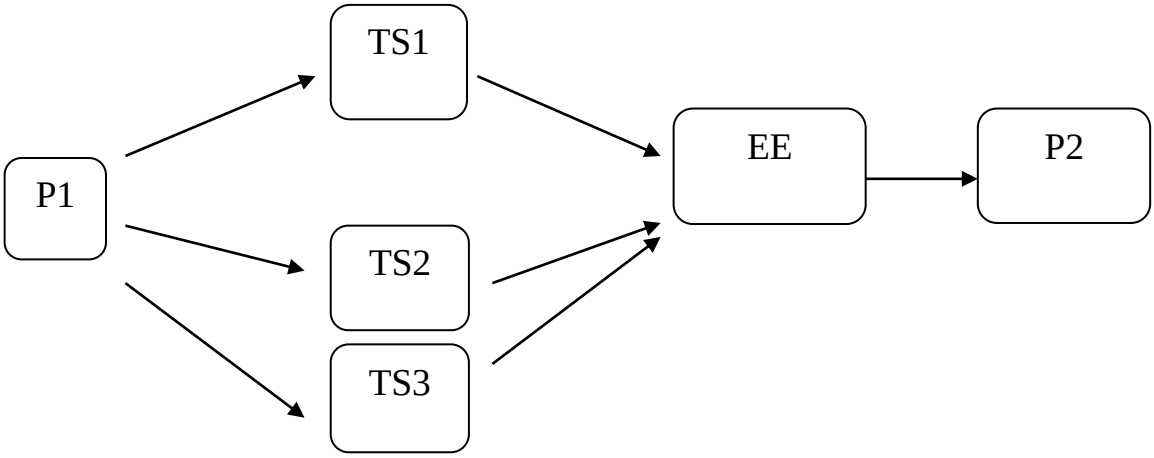

بهذا تتحقق وحدة المنهج في هذه العلوم، ويكون بوبر قد قام بتعميم معياره ليشمل العلوم الاجتماعية والإنسانية فالنظرية كما يراها بوبر سواء كانت طبيعية أو اجتماعية فرضية تخمينية قابلة للتكذيب وهي التي تحقق تقدما معرفيا وتشكل حافزا لاستبدال وجهات نظر بأخرى تمثل دلالة واضحة على علمية هذه النظرية وموضوعيتها حتى ولو كان مصدرها أسطورة ما يضم منهج العلوم الاجتماعية مثل منهج العلوم الطبيعية اختيار حلول تجريبية لتلك المشاكل التي بها تبدأ استقصاءاتنا تقترح الحلول وتنتقد، فإذا لم يكن الحل المقترح مفتوحا للنقد الموضوعي استبعد على أنه غير علمي، بفإذا كان الحل المفتوح مفتوحا للنقد الموضوعي هنا نحاول

تفنيده، فكل النقد يتضمن محاولات للتفنيد، ج إذا ما فند حل مقترح بسبب نقدنا، اقترحنا حلا آخر، د فإذا صمد أمام النقد قبلناه مؤقت ونحن نقبله على أنه قبل إي شيء جديد بجدل ونقد هـ وعلى هذا فإن المجتمع العلمي منهج محاولات تجريبية ....كل مشاكلنا ... إنه تطور نقدي لمنهج التجربة والخطأ، ففي مقدور أي باحث في العلوم الاجتماعية أن يقترح حلا بصدد مشكلة اجتماعية ما وإذا كان هذا الحل غير قابل للنقد والاختبار يستبعد – لأن إمكان النقد يشير إلى خاصة علمية، أما إذا كان يقبل النقد فيوضع تحت اختبارات قاسية ونقد لكل معطياته وبالتالي من الممكن قبول هذا الحل في حال صموده ويكون قبوله مؤقتا.[1]

5-1- المنطق الموقفي:

وقد يوجد هذا المفهوم غي اصطلاح آخر هو التحليل الموقفي situationnel anaysis وسماه بوبر هكذا لأنه يتبع في دراسة الظاهرة الاجتماعية تحليل الموقف الاجتماعي، على أساس أن الأفراد يتصرفون وفقا للعقل بما يقتضيه الموقف ويرى بأن هذه الفكرة تساعدنا في توضيح بعض خصوصيات مناهج العلوم الاجتماعية.

حيث ورد هذا المنطق الموقفي أو الموقف الاجتماعي في محاضرة لبوبر بجامعة هارفرد -Harvard- سنة 1963 وقد نشرت هذه الحاضرات في كتاب أسطورة الإطار تحت عنوان: النماذج والأدوات والصدق ص183، ويعني به أنه الخاصية الأساسية لمناهج العلوم الاجتماعية، التي تناظر قضايا الشروط الأولية في العلوم الطبيعية، ويمكن فهم النماذج في العلوم الاجتماعية النظرية كمرجع مثالي للمواقف الاجتماعية، ثم في موضع آخر في كتاب عقم التاريخانية يتابع بوبر متحدثا عن هذا المفهوم بأنه منهج البناء المنطقي أو العقلي أي بناء النماذج وهو على الأرجح أهم فرق تقني ثانوي بين مناهج العلوم الطبيعية ومناهج العلوم الاجتماعية.[2]

ولشرح هذا المفهوم يبدأ بوبر أولا باستبعاد التحليل النفسي، وبيان الفرق بينه وبين تحليل المواقف الفردية، ويقول في هذا الشأن بأن السيكولوجيا علم اجتماعي لأن أفكارنا وأفعالنا تعتمد على حد كبير على الظروف الاجتماعية، مثل المحاكاة أو اللغة أو العائلة، والواضح أن العمليات السيكولوجية مثل: التعليم والتفكير لا يمكن أن توجد دون استخدام واحدة من هذه الأفكار الاجتماعية، فالسيكولوجيا على أنها أساس العلوم الاجتماعية، لأنها تفترض مقدما قوانين للطبيعة الإنسانية في حين أن التحليل الموقفي يفترض منهج الصفر، منهج البناء المنطقي والعقلي، وهذا هو الفرق بينه وبين منهج المذهب النفسي. يرى بوبر أن هذا

[1] د،رشيدة عبة، ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي والفكر الغربي المعاصر، المرجع السابق، ص 141.

[2] كارل بوبر، أسطورة الإطار في الدفاع عن العلم والعقلانية، مرجع سابق، ص 88.

المنهج موضوعي خالص في العلوم الاجتماعية، يمكن أن نسميه منهج الفهم الموضوعي، بقصد التحليل العقلي الاستبطاني للمواقف وبناء النماذج لأن هذه التحليلات عقلية، يمكن إذا إخضاعها للنقد وتطويرها، وبهذا فالمنهج مستقل تماما عن كل الأفكار الذاتية أو السيكولوجية المفترضة مقدما، لأنه يعتمد التحليل العقلي الموضوعي لموقف الشخص موضوع الدراسة، على أساس أنه يلاحق أهدافا أو يتصرف بموجب ذكريات بحيث يتميز موقفه بأنه مزود بنظريات خاصة أو معلومات خاصة، ويقول بوبر:" بأن منهج تحليل الموقف هو بالتأكيد منهج فرداني، ولكنه أيضا بالتأكيد ليس منهجا سيكولوجيا لأن يستبعد من ناحية المبدأ كل العوامل السيكولوجية ويستبدل بها عناصر.[1]موضوعية موقفية، أي أن النماذج التحليلية المبنية تفسر فرضيات تجريبية لكنها تجاوز الاختبارات، أي تحاليل عقلية يمكن نقدها تجريبيا كما يمكن تحسينها، فبوبر يهدف إلى أن الموقف الاجتماعي يتم تفسيره من موضع ملاحظ لا كمشترك فيه، رغبة في الموضوعية.[2] وحسب بوبر فإن منطق الموقف يفترض بوجه عام عالما فيزيقيا أين يكون للأفراد تصرفات مختلفة ويحوي هذا العالم موارد وعوائق فيزيقية، والتي لدينا بعض المعلومات حولها، كما يفترض أيضا عالما اجتماعيا يقطنه أناس آخرون لهم اهتمامات وأهداف خاصة، ونشأت عن تداخل هذين العالمين مؤسسات اجتماعية، تحدد الطابع الاجتماعي المتميز لبيئتنا الاجتماعية، التي لا يمكن للمذهب النفسي أن يفسرها لأنه ليس هنا طريقة يمكن فيها عرض الحالات الشخصية للأفراد على الاختبارات التجريبية، فالمشاعر والأحاسيس والعواطف كلها مقصاة من منطق الموقف، ولكن فقط ما يصدر أو يظهر من أفعال انعكاسية لها هو ما يمثل مادة البحث في علم الاجتماع[3] وبمعنى ما يقارب بوبر بناء النماذج في الدراسة الاجتماعية، بالنماذج الشهيرة للجزئيات التي يشدها علماء الكيمياء العضوية، والتي تمثل ترتيب الذوات فيما بينها بروابط كيميائية مختلفة النوع والعدد على أن هذا التاربط لا يمثل القوانين التي عن طريقها تتماسك الجزئيات معا، و لكن في موضع، ينتهي النموذج النمطي للنظرية لتظهر القوانين المجردة التي تحكم التأثير المتبادل لمختلف الأجزاء بحيث يكون هذا المثال في العلوم الاجتماعية يقصد به التفسير وفهم الأحداث الاجتماعية و التاريخية انطلاقا من النماذج.[4]

[1] كارل بوبر ، بحث عن عالم أفضل، المرجع سابق، ص101.

[2] كارل بوبر ، بحث عن عالم أفضل المصدر نفسه، ص 31 .

[3] كارل بوبر، أسطورة الإطار، مصدر سابق، ص 196.

[4] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر نفسه، ص 196.

5-2- الفردانية المنهجية :

يمكن أن يتخذ هذا المذهب اسم المذهب الفردي المنهجي وهو عكس الكلية المنهجية حيث ترى هذه الأخيرة أنه لا يمكن حصر مفهوم المجتمع في مجموع الأفراد المكونين له، فلو كان كذلك كما يذهب " ايميل دوركهايم Émile Durkheim "1858- 1917 لما أصبح لعلم الاجتماع موضوعه الخاص به، باعتباره تخصصا علميا مستقلا بذاته، لأن ذلك يرجع الظواهر الاجتماعية لعلم النفس الفردي، وقد أكد كارل ماركس من جهته أيضا أن منطق أنماط الإنتاج وإن كان مرتكزا على الأفراد إلا أنه لا يتم إلا من خلال التناقضات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية ويلح المنتمون للبنائية والبنائية الوظيفية بدورهم بدرجات مختلفة على أسبقية البنية على الفرد، حيث يعتبر الاهتمام بالظاهرة الاجتماعية اهتماما بالمحددات الاجتماعية التي تفسر السلوكات الفردية.[1]

أما الفردانية المنهجية فترى أن كل الهويات الجماعية تسقط في النهاية تحت رحمة قاعدة شفرة أخام، وأن الحقيقة الوحيدة التي يمكن ملاحظتها هي الفاعل الفردي، ويعتقد أصحاب النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة وعلماء الاجتماع المساندون "لبريمون برودن Raymond Broden " أن كل الظاهر الاجتماعية ناتجة عن تجميع السلوكات الفردية، ومن أجل كل دراسة هذه الظواهر الاجتماعية يجب الانطلاق من مسببات الفاعل، ويرفض المدافعون عن الفردانية المنهجية وجهة النظر التي ترى أن الفاعل الفردي ما هو إلا حصيلة نتاج للبيئة.[2]

ومنذ وقت طويل كان يدعو الكثير من علماء الاجتماع إلى تجاوز هذا النقاش انطلاقا من وضعية الجمع خلال التفكير الآن ذاته بين السلوكات الفردانية والمضمون الاجتماعي أو السياق الاجتماعي الذي يجري بداخله هذه السلوكات الفردية والتفاعلات الاجتماعية، وقد وجدت هذه الإرادة في التجاوز أيضا عند علماء اجتماع فرنسيين معاصرين أمثال "بيار بورديو Pierre Bourdieu " 193- 2002 الذي يقترح بناء علم الاجتماع على أساس النسبية المنهجية، و"توران" 1925 الذي يشير في الوقت نفسه إلى إثبات البيئة الاجتماعية وعلاقات الطبقة لكن بالعودة دوما إلى الفاعل الفرد.[3]

---

[1] خواجة عبد العزيز، النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية، الواحات للدراسات والبحوث، العدد 4 مارس 2009، الجزائر المطبعة العربية ، ص142.

[2] خواجة عبد العزيز، النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية،المرجع السابق، ص 142،143.

[3] خواجة عبد العزيز، النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية، المرجع نفسه ، ص 143.

ويبدو " بوبرPopper " أيضا من أنصار الفردانية المنهجية من خلال عدة نصوص له، إلا أن أفكاره من الناحية العملية إلى المنهجية النسبية، وهو ما سنحاول توضيحه من خلال تحليل بعض أقواله في هذا الشأن، وقد جاء استعماله لهذا المفهوم أول مرة في كتابه " عقم التاريخانية " في قسم بعنوان وحدة المنهج، حيث يؤكد على تميزها عن النزعة النفسية وهي النظرية التي ترى أن كل قوانين الحياة الاجتماعية يجب أن ترد بشكل تام إلى القوانين النفسية للطبيعة الإنسانية لذا فمن المحتمل أن يختلط مفهوم المنهجية الفردانية الذي يقوم في تحليله على العقل و ليس على قوانين علم النفس، دون إغفال الموقف الاجتماعي، بشكل أو بآخر مع مذهب النزعة النفسية، الذي يشارك مع الفردانية المنهجية في التعارض العقلي للكلية والشمولية، وكون المذهب النفسي أيضا يؤكد على أن سلوك وأفعال الجماعات مثل الدول أو المجموعات الإنسانية، يجب أن ترد إلى سلوك وأفعال الأفراد الإنسانية، لكن في المقابل هناك نصوص أخرى تبين أن بوبر لا يعترف بالقوانين الطبيعية الإنسانية أي قوانين علم النفس، وإنما بما يمليه التحليل العقلي الموقفي الذي يتغير كل مرة حسب الموقف وتكوين الفرد، وهذا هو الاختلاف الجوهري بين المفهومين، ويوضح " بوبر " هذا الفرق في نقده لطريقة الرد أو الاستنباط العكسي من القوانين الكلية عند ميل بأنه يتفق معه لكن القوانين التي يعمل بها تحليل ميل هي قوانين الطبيعة البشرية أي علم النفس، و هو الفرق بينهما.[1]

ثم إن "بوبرPopper " يعرف المنهجية الفردانية في موضع آخر ولا يشير أصلا إلى ما يسمى بقوانين الطبيعة البشرية أي علم النفس، وإنما يؤكد عل التحليل العقلي، ومن ذلك قوله أن المنهجية الفردية تدعم المذهب القائل أن الظاهرة الاجتماعية وعلى وجه الخصوص وظائف كل المؤسسات الاجتماعية، يجب أن تفهم دائما كنتيجة لقرارات وأفعال ومواقف الأفراد الإنسانية، ولا يجب أن نرضى أبدا بتفسير على نحو ما يسمى جماعات دول أمم أجناس.[2]

يجب أن نلاحظ أن " بوبر Popper" استخدم هنا كلمة تفهم، وليس أن تفسر على أساس قانون طبيعي للنفس البشرية مثل: المذهب النفسي، وإنما أن نحلل الموقف برده إلى جزئياته الموقفية تحليلا عقليا نسبيا يتلاءم والموقف المطلوب ويتغير بتغير المعطيات في كل دراسة، حيث يظهر الموقف البوبري بالتأكيد على الفرق في رفضه للاعتقاد بأن التحليل النفسي مسلمة ضرورية للفردانية المنهجية، التي يقول بأنها تعبر عن مذهب

[1] خواجة عبد العزيز، النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص 197.

[2] كارل بوبر ، بحث عن عالم أفضل، المصدر السابق، ص 100.

منيع يجب أن نحاول على أساسه فهم كل الظواهر الجماعية كنتائج لأفعال وتفاعلات أهداف وآمال وأفكار الفرد البشري.[1]

وكنتائج لتقاليد خلقها الفرد الإنساني وحافظ عليها، ولكن نستطيع أن نكون فردانيين بدون قبول للمذهب أو النزعة النفسية، ذلك أن منهجنا – المنهج الصفري- في تركيب النماذج العقلية ليس منهجا نفسيا، ولكنه منهج منطقي ويقصد "بوبر" هاهنا بالمنهج الصفري عدم الافتراض المسبق لأي تفسير على أساس أي معرفة نفسية سابقة والانطلاق من التركيب المنطقي أو العقلي للنماذج بناءا على افتراض المعقولية للفرد خلال الموقف المدروس، وهذا المنهج لا يستلزم بحال إتباع أي فروض سيكولوجية لأن علم النفس يمكن النظر إليه على أنه واحد من بين العلوم الاجتماعية وليس معنى الرد عند بوبر بمعنى أن هذه الأخيرة تركز على علم النفس بل على التحليل الموقفي.[2]

يمكن أن نلاحظ أن منطق الموقف والمنهجية الفردانية وجهين لعملة واحدة وبفضل الأول يمكن تجنب الخلط والاختلاط بالمذهب النفسي الذي يعتمد في تفسيره على نظرية تقول بوجود شيء يشترك فيه كل الأفراد، وتسمى هذه الأشياء المشتركة بالطبيعة الإنسانية، لكن مع تطور الوعي قليل هم من يقبلون بهذه الفروض، أو يقبلون بأن كل الأفراد محكومون بما يسمى بقوانين علم النفس لأن أبسط صيغة لمذهب التحليل النفسي أنه يقوم على فروض مسبقة عكس المنهج الصفري الذي يستمد تفسيراته من عقلانية الموقف فإذا وجد شخصان يواجهان نفس الموقف فإنهما سيسلكان نفس السلوك بحسب ما تفترضه الطبيعة البشرية أو قوانين علم النفس، فإذا لم يسلكا نفس السلوك فهما يتعرضان لموقفين مختلفين تماما.[3]

وبناء على ما سبق يمكن القول أن قوانين علم النفس مجرد برنامج فرضي للتحليل و يمكن تسميته بلغة" بوبر" بالنموذج الفاسد لغياب العنصر العقلاني فيه، ويجب استبداله بنموذج جديد، وبهذه النظرة النقدية يمكننا تطوير النماذج والمفاضلة بينهما، وهذا هو المنهج الفرداني الموقفي النسبي.

5-3- الهندسة الاجتماعية الجزئية:

حاول " بوبر Popper " أن يبني نسقا فكريا متكاملا بأن يبقى أمينا لمبادئه التي شكلت انطلاقته في فلسفة العلوم الطبيعية، لينقلها فيما بعد إلى السياسة والمجتمع، وقد لاحظنا ذلك في التزامه حتى في هذا الميدان

---

[1] كارل بوبر ، بحث عن عالم أفضل، المصدر نفسه ، ص 101.

[2] كارل بوبر ، بحث عن عالم أفضل، المصدر السابق، ص 101.

[3] كارل بوبر ، عقم المذهب التاريخي، المصدر السابق، ص 166.

من الدراسة بالمنهج الفرضي الاستنباطي، والتعلم من المحاولة والخطأ، وغيرها من المبادئ التي ركز عليها سابقا لنرى في النهاية أن دراسته التحليلية النقدية للمجتمعات المغلقة والسياسة وحالة السكون اليوتوبي، تناظر نقطة لنقطة عملية نمو المعرفة، وأن العلم لا يمكن أن يؤسس معرفة يقينية بحيث يمكنه البقاء عليها ،"فبوبر" يهدف في كلتا الحالتين إلى استخدام عملية التغذية الإرجاعية التي على أساسها نقترح الفروض الجريئة ونبذل كل ما في وسعنا لنقدها وتمحيصها، حتى نتمكن من استبعاد الخطأ في ضوء التجربة لتظهر إشكاليات جديدة تحتاج هي الأخرى إلى حلول، وتلك هي العقلانية النقدية التي تجسدها الهندسة الاجتماعية الجزئية في السياسة والمجتمع.[1]

يجعل "بوبر Popper " دور هذه الهندسة الجزئية في الكشف عن العقبات التي تعترض الفعل الاجتماعي النموذجي، أي أنها تدرس مرونة واستجابة المادة الاجتماعية لمختلف أشكال الصياغة والتعديل، لأن من مهمة العلوم الاجتماعية أن تحاول وضع أسس تكنولوجية تسمح بتطوير فاعلية علم الاجتماع في ترقيع وتعديل المؤسسات، وإصلاح الموقف الاجتماعي حيث يقوم هذا الترميم على أساس النقد للفروض الاجتماعية في بناء نموذج إصلاحي للموقف الاجتماعي أي التطبيق العملي لنتائج التكنولوجيا الجزئية النظرية ومحاولة تصميم النظم الاجتماعية الجديدة، وإعادة تركيب وترتيب ما هو موجود منها قبلا بالنظر إلى هذه النظم على أنها وسائل لتحقيق غايات معينة، وباعتبار هذه النظم كالحصون لا يكفي أن يحسن تصميمها.[2]

فعالم الاجتماع التكنولوجي لا يأخذ بما يسمى بقوانين التاريخ لأنه يعتقد بقدرة الإنسان في السيطرة على الأقل على جزء من مصيره الخاص، كما يعتقد أن الإنسان يختار أشياء وهو يعي أنها ليست مفروضة عليه من قبل قوانين التطور التاريخي، ولذلك فهو يحاول تحقيق أهدافه بإجراء التعديلات الجزئية ويمضي في تحسينها باستمرار، على عكس الهندسات الكلية، التي تهدف إلى إعادة تركيب المجتمع ككل.[3]

ولأن معرفتنا بالمجتمع قلما تتوافق وطموحاتنا، فيجب خلال دراستنا له تجنب التجارب ذات الطابع الكلي لصالح التجارب المحدودة زمانا ومكانا وعلى ذلك يمكن تلخيص فكرة بوبر في الهندسة الاجتماعية في العبارات التالية:

---

[1] عادل مصطفى، كارل بوبر، مائة عام من التنوير ونظرة العقل، ط3، بيروت، دار النهضة العربية، ج2، ص189.

[2] عادل مصطفى، كارل بوبر، مائة عام من التنوير ونظرة العقل، المرجع السابق، ص 190.

[3] فؤاد محمود نصيف خير بيك، من الابستيمولوجيا إلى المجتمع، التاريخانية والمجتمع المفتوح عند كارل بوبر، ط1، دمشق، منشورات وزارة الثقافة السورية، 2022، ص 141.

– أن أي إصلاح سياسي اجتماعي هادف لمعالجة مشكلة ما يعتمد على نظريات اجتماعية معينة حول حجم الإصلاحات التي سيحدثها.

– بما أن المعرفة الاجتماعية التي تتطلبها التجارب الكلية أو الواسعة النطاق غير متاحة، فلا يمكن أن تأكد من النتائج، ولأنه من الممكن أن تكون الاجتماعية خاطئة فلا يمكن تأتي على النتائج المرغوبة أو ستكون ناقصة أي بحجم أقل من المشكلة.

– إذا كانت القرارات السياسية تصدر على أساس عقلاني، بدلا من تلك القرارات العشوائية اللغوية بحياة الأشخاص، فيجب أن يتعود الإصلاحيون السياسيون على التعلم من أخطائهم على قدر استطاعتهم. سيكون شبه مستحيل تشخيص وتصحيح أخطاء سياسة ما في ظل التغيرات الثورية في المجتمع ، مثل هذه التغيرات تجعل من الصعب تعقب مصدر المشكل في أي سياسة خاصة.[1]

ومما سبق يمكن القول أن ابستومولوجيا "بوبر" تتميز بالمرونة وتتخذ من العقلانية النقدية محركا طاقويا لها، سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية فهي تتلخص في انتقاء وجود قانون ثابت للتطور، لأن المشاكل في ميدان الطبيعة و المجتمع متعددة، واقتراح حلول لها يختلف بالزمان والمكان ومن باحث إلى آخر، كما أن حركة المجتمع دائمة يصعب رصد خلفياتها ومسارها والأهداف التي يسعى أفراده لتحقيقها، ومنه فلا يمكن تمثيل حركة أي مجتمع بقانون واحد ثابت، مثل قانون التعاقب أو الدورية أو المادية التاريخية لأن المجتمع عبارة عن مجموعة من الاتجاهات المتباينة المتداخلة في تقدمها وتطورها، وعلى هذا الأساس كانت الهندسة الجزئية أحسن حل بالنسبة للمساعي البوبرية في تحقيق منهج لدراسة الظاهرة الاجتماعية وتطوير علم الاجتماع بهدف تحقيق حركة إصلاحية ذات فعالية واقعية للمؤسسات والنظم الاجتماعية.[2]

نجد أن كارل بوبر أطر للهندسة الجزئية في دراسة الظواهر الاجتماعية كمقابل للهندسة اليوتوبية أو الهندسة الكلية، التي تفتقر لقواعد وقوانين المنهج العلمي السليم والدقيق، بحيث جعلها ممكنة للتطبيق على أرض الواقع، والتي تستهدف التغيير الواقعي وما هو صالح للإنسانية جمعاء، على عكس المذهب التاريخي الذي قزم من دور الإنسان وفاعليته وذلك من خلال سعيه إلى تقديم نبوءات؛ التي بدورها تنعكس على سيرورة الظواهر الاجتماعية وهذا ما أكده من خلال قوله:

---

[1] فؤاد محمود نصيف خير بيك، من الابستيمولوجيا إلى المجتمع، التاريخانية والمجتمع المفتوح عند كارل بوبر، المرجع السابق ، ص 142.

[2] ماهر اختيار، المرجع السابق، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر، ص 319.

«الهندسة الاجتماعية الجزئية تشبه الهندسة الفيزيقية في أنها تعتبر الغايات أمورا خارجة عن نطاقها» . [1]

إن بحثت التكنولوجيا في الغايات الفلكية تنظر فيما إذا كانت تتفق وبعضها بعضا، أي فيما إذا كان من الممكن تحقيقها، وتختلف التكنولوجيا في هذا عن المذهب التاريخي، الذي يعتبر غايات الأعمال الإنسانية متوقفة على القوى التاريخية، ومن ثم يعتبرها داخلة في نطاقه وهذا ما يدفعنا بالضرورة إلى محاولة توضيح المقارنة التي يسوقها بوبر، بين المهندس الفيزيقي، والمهندس الاجتماعي، بحيث اعتبر بأنه كما يقوم المهندس الفيزيقي بالاهتمام بالعتاد من حيث آلية العمل، والتصميم، كذلك يقوم المهندس الاجتماعي بالاهتمام بمختلف المؤسسات الاجتماعية، بما فيها المدارس، والأمن، والكنائس، من حيث نتائجها العلمية المحققة على أرض الواقع، فهو يستهدف التغيير الجزئي الآني على أرض الواقع الذي يقوم على أقل الخسائر، وذلك يمكنه من وضع مجموعة من الفروض، ويعمل باستمرار إلى مقارنة بين ما كان يصبو إلى تحقيقه، وما هو محقق فعلا في المجتمع، ويستفيد من الأخطاء بمعنى يعمل وفق آلية العقلانية النقدية التي تقوم على تصحيح الأخطاء، والتي بدورها تؤدي إلى تحسين المتجدد، وهذه النقطة الجوهرية التي تميزه عن المهندس اليوتوبي الذي يطمح لتغيير شامل وكلي للمجتمع، والذي يترتب عنه نتائج غير متوقعة بدرجة أعلى يستحيل التحكم فيها، مما يدفعه بالضرورة إلى تغيير المجتمع لمواكبة نظمه، بدل محاولة تكييف النظم لتكون خادمة للمجتمع وهادفة كما يفعل المهندس الجزئي. [2]

وهذا يعني بأن الأنظمة الكلية بدورها لا تعمل على الارتقاء بالفرد انطلاقا من عدم إمداده بالحرية الكافية، بل العكس من ذلك تعمل على كبح حريته والعمل على إخضاعه لضمان تبعيته وهذا ما يرفضه بوبر، وذلك من خلال دعوته للهندسة الاجتماعية، التي تستمد من العلم كيفية اتخاذ القرار لتسيير اجتماعي، وتجاوز أكبر العواقب الممكنة، للوصول لقرارات رشيدة وبهذا نجد بوبر ينتقد وبشدة العقيدة الماركسية، التي تستهدف التغيير الثوري باعتبارها حسب النتائج المرجوة غير مضمونة، وتترتب عنها انعكاسات وخيمة على الصعيد المجتمعي لذلك آثر التغيير التدريجي، الذي يفكر داخل المؤسسات بهدف ضمان الجودة على المستوى السياسي والاجتماعي، بدل عقد العزم على السياسات المثالية، التي تقدم الولاء لصاحب السلطة، وتبني كل

[1] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، عبد الحميد صبره، دار الساقي، بيروت ط1 ،1992 ،ص 82.

[2] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، عبد الحميد صبره، المرجع السابق،ص83-86.

آمالها عليه، لأنه حسبه لا يوجد أي ضمانات على مستوى الحاكم؛ بأنه إذا وصل للحكم سوف يكون هو الأفضل والأحسن.[1]

ومنه نصل إلى أن إستراتيجية بوبر في الإصلاح تستهدف التعديل الجزئي على مستوى المؤسسات، بحيث يتم وفق آلية تدريجية لكل مؤسسة على حدة، وفق ما تمليه الحاجة والضرورة معا[2]بغية الارتقاء والتقدم الاجتماعي.

6- مكانة العقلانية النقدية في العلوم الاجتماعية عند بوبر:

تتأسس إبستيمولوجيا بوبر في العلوم الاجتماعية على فكرة محورية متمثلة في وحدة المنهج بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، متجاوزا بذلك الجدل الكلاسيكي العقيم، الذي يركز على نقاط الاختلاف دون التأكيد على العلاقات الأساسية، بين الأبحاث الإنسانية والطبيعية، والتي عبر عنها بوبر من خلال المنهج الفرضي الاستنباطي، الذي يتم من خلاله التوصل إلى فرضيات علمية مؤقتة تبقى مفتوحة على اختبارات قاسية في المستقبل، إذا صمدت الفرضية سوف تشكل نظرية علمية مؤقتة، وان لم تصمد يتم استبعادها من الحقل العلمي، ومنه نجد بأن هذه الآلية لا غنى عنها كذلك في العلم الاجتماعي، كما هي مطبقة في العلم الطبيعي؛ بالرغم من كون العلم يسعى دائما إلى إثبات نظرياته؛ كذلك عبر هذه المنهجية يتم استبعاد أكثر قدر ممكن من الخطأ، وتجاوزه بهدف الاقتراب أكثر إلى الصدق المتعالي، والمثالي على حد تعبير البوبري، وذلك يتم عبر العقلانية النقدية والتي سوف نحاول فهم وتفسير كيفية العمل بها في الدراسات الاجتماعية يقترح هنا فكرة النموذج التقريبي الذي هو عبارة عن محصلة خبرة الباحث حول مجتمعه الذي يستعين بها بهدف تشخيص الظواهر الاجتماعية ومعالجتها،[3]هذا ما أكده من خلال قوله: «أننا نستطيع في العلوم الاجتماعية أن نستخدم منهجا يمكن تسميته بمنهج التركيب المنطقي، أو العقلي [...]، وأعني بذلك منهج تركيب النماذج بناء على افتراض المعقولية التامة وربما أيضا المعرفة التامة في جانب كل الأفراد الذي يحتويهم موقف معين، ثم نقدر انحراف السلوك الفعلي لهؤلاء الأفراد عن سلوك النموذج باعتبار هذا الأخير إحداثيا قيمة صفر».[4]

---

[1] كارل بوبر، التنبؤ والنبوءة في العلوم الاجتماعية، تر:بن سليمان جمال الدين، مجلة آفاق العلوم12،الجلفة،2018ص 199-202.

[2] فاطمة يونس محمد يوسف، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، ،2015ص128.

[3] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص. 138.-139.

[4] د ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص2010 ،274.

وهذا الأمر قد يدفعنا إلى تداعي فكرة أخرى هامة لا غنى عنها، فكرة الموضوعية التي تطرح وبشدة في مجال الدراسات الاجتماعية، هنا بوبر لا يعتبره بأنه فكر مسبق يحيل دون تحقيق الموضوعية العلمية، لأنه سوف يعرض بالضرورة على آلية الاختبار العقلاني النقدي الذي يثبت صحته، ومن خلال هذا النموذج يتم قياس الظواهر والحكم عليها. [1]

ومنه نصل بأن العقلانية النقدية عند بوبر تتمخض عنها عدة نتائج أساسية:

1. التأكيد على دور العقل والنقد في تحصيل المعرفة.
2. أن المعرفة نسبية ومتغيرة.
3. تتجاوز التعصب والدوغمائية وتنفتح نحو منطق التقدم المعرفي باستمرار.
4. القضاء على وهم الحقيقة المطلقة وادعاء امتلاكها.
5. التأكيد على عدم معصومية الإنسان من الخطأ وبالتالي العمل على نشر فلسفة التسامح وتأكيدها.
6. فك الارتباط بين المعرفة والسلطة مثلما كان سائدا في العصر الحديث الصراع الكلاسيكي حول مصدرية المعرفة الذي كان البعض يرده لسلطة العقل من أبرزهم ديكارت والبعض الآخر يرده لسلطة التجربة من بينهم فرانسيس بيكون. [2]

ومنه نصل بأن الطرح الإبستمولوجي البوبري يرفع شعار الانفتاح على الاختلاف وتقبل الرأي الآخر، انطلاقا من النقد العقلاني المؤسس على عدم معصومية الإنسان من الخطأ ورجحان الصدق الذي بدوره يؤدي إلى تحريرهم من كل سلطه مطلقة، والدعوة إلى التسامح، وتجاوز التعصب، والانحياز لتوجه فكري دون الآخر، والقبوع فيه، الذي يؤدي بالضرورة إلى ارتباط العلم بإيديولوجيا محكوم عليها بالفشل منذ البداية.

7- وحدة المنهج في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية:

إذا كان منهج العلوم الطبيعية عند بوبر – كما أسلفنا-. يتخذ دائما الشكل أو النموذج الاستنباطي الفرضي فإننا نتساءل هل هو منهج شامل لكل العلوم وبذلك تتحقق الوحدة المنهجية L'Unite methodologique، أم أن آلية الاستدلال الفرضي الاستنباطي ليست واحدة بين جميع العلوم العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية وبذلك تتحقق التعددية المنهجية؟

---

[1] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، مصدر سبق ذكره، ص139-140.

[2] روني بوقريس، العقلانية النقدية عند كارل بوبر، مرجع سبق ذكره، ص. 58-60.

انتقل كارل بوبر من ميدان العلوم الطبيعية إلى ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية حاملا معه المبادئ والقواعد التي بنى عليها نسقه الإبستيمولوجي والتي شكلت انطلاقته الفكرية الأولى، منها معيار إمكان التكذيب وما يرتبط به من مفاهيم، كالمنهج الفرضي الاستنباطي والتكذيب، وحاول تطبيقها في ميدان مغاير للأصل الذي طبقت فيه، إنه ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية. وأول ما قام به أثناء هذه النقلة المعرفية هو تصحيح الاعتقاد بوجود فوارق بين منهج العلوم الطبيعية ومنهج العلوم الاجتماعية، وشرح السبب الذي أدى إلى وجودها، وبعدها انتقل إلى الحديث عن أوجه التشابه بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية من أجل إبراز القاسم المشترك الموجود بينهما المتمثل بالجانب العقلاني.

والوحدة المنهجية عند بوبر تعني أن العلوم، سواء كانت طبيعية أو إنسانية واجتماعية، تستخدم جميعا منهجا واحدة. ويرى أن العلوم الإنسانية التي تدرس كل ما يتعلق بالإنسان من ظواهر نفسية اجتماعية، تاريخية، سياسية، اقتصادية، ولغوية تستطيع بناء نظريات تفسيرية تنبؤية كما هو الحال في العلوم الطبيعية، وذلك باستخدام النموذج الفرضي الاستنباطي الذي تستعمله العلوم الطبيعية، وهناك تتحقق الوحدة المنهجية. ولا ننسى أن القول بوحدة المنهج L'Unité methodologique يعد أهم مشروع نادت به الوضعية المنطقية قبل كارل بوبر، إذ حاولت وضع مشروع حول وحدة العلم، مشروع يطمح إلى وضع لغة واحدة في العلم لتميزه من غيره، وذلك بغرض رد العلم بمختلف مباحثه إلى لغة التحليل، كون قضايا العلم قابلة للتحليل المنطقي- وضم جميع العلوم في لغة واحدة هي لغة الفيزياء، وبهذا تتحقق الوحدة الشاملة لكل العلوم L'Unification de la science، وهو ما يعطي وحدة منهجية لكل موضوعات البحث العلمي، لأن المنهج حسب الوضعية المنطقية إما أن يكون منهجا علميا، فيستخدم في كل العلوم، وإما أن لا يكون منهجا علميا.

لكن مشروع الوضعية المنطقية المتمثل بوحدة المنهج آمن به كارل بوبر – على الرغم من أن المنهج العلمي عنده – كما أسلفنا – هو المنهج الفرضي الاستنباطي الذي يختلف عن المنهج الاستقرائي الوضعي المنطقي، حيث صرح قائلا: «سأقترح في هذا العدد مذهبا يقول بوحدة المنهج أي يقول بأن العلوم النظرية أو التي تهدف إلى تقرير العبارات العامة سواء كانت علوم طبيعية أو اجتماعية إنما تستخدم جميعا منهجا واحدا بعينه» [1]. والوحدة المنهجية تتضمن خصائص المنهج الفرضي الاستنباطي وهي – كما رأينا سلفا –: التفسير، التنبؤ والاختبار، باستخدام النموذج الاستنباطي، أو ما يسمى منهج المحاولة واستبعاد الخطأ، «العلوم الطبيعية

[1] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا: نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ص 138 وما بعدها.

مثلها مثل العلوم الاجتماعية تنطلق دائما من مشكلات أي من شيء ما يثير دهشتنا كما قال فلاسفة الإغريق، ولحل هذه المشكلات تستعمل العلوم أساسا منهج المحاولة والخطأ» [1].

إذا، منهج اختبار النظريات العلمية – عند بوبر – سواء كانت تنتمي إلى العلوم الطبيعية أو العلوم الإنسانية والاجتماعية يتم على مراحل:

المرحلة الأولى: تعد بمثابة المشكلة القديمة.

المرحلة الثانية: تمثل الحلول المؤقتة لهذه المشكلة.

المرحلة الثالثة: هي محاولة استبعاد هذه الحلول من خلال المناقشة النقدية.

المرحلة الرابعة: تمثل مشكلة جديدة وهي نتاج المناقشة النقدية.

إن العلم يبدأ من مشكلات لا من ملاحظات: «يولد العلم من مشكلات وينتهي إلى مشكلات»[2]، ويمكن اعتبار هذا الطرح بمنزلة نقد لنظرية الحس المشترك التي أسس عليها التجريبيون المناطقة نظرياتهم العلمية القائمة على الملاحظة الحسية التي تعد نقطة بدء توصلنا إلى الفرض، في حين أن أصل المسعى العلمي عند كارل بوبر يعود إلى مشكلات لا إلى الملاحظات، العلم يبدأ بمشكلة وينتهي عند مشكلة وفق منهج المحاولة والخطأ، وبعدها تأتي عملية إنشاء نظريات علمية تمثل فروض مؤقتة، ثم تأتي عملية إخضاع هذه الفروض، التي وضعت من دون تبرير، لأشد الاختبارات. والاختبار هنا يتمثل بعملية استبعاد الحلول المؤقتة الخاطئة، ومرحلة الاستبعاد هي محرك النظريات العلمية، فبواسطتها تتم ملاحظة التقدم والنمو، ذلك عندما يتم استبعاد الحلول المؤقتة باعتبارها خاطئة، فإن المشكلة القائمة تبقى من دون حل، وهذا ما يعطي الفرصة لمحاولات حلول جديدة وتبقى هذه الحلول لفترة معينة، ثم تأتي حلول جديدة أخرى مغايرة للحلول السابقة فتزيحها لأنها أقوى منها، وتحل محلها وهكذا دواليك. من هنا تتضح لنا صيرورة تقدم العلم. وينبغي أن نشير هنا إلى أن تقدم العلم حاصل ما دامت المشكلة الجديدة تختلف عن المشكلة القديمة، لأن الأمر لو كان على غير هذا الوضع لوقعنا في الدور.

الحاصل هو أن التفسير في العلوم الطبيعية والإنسانية – كما أكد بوبر– يتسم بسمة استنباطية وعليه فالمنهج الفرضي الاستنباطي هو المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على السواء، والتشابه الموجود بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية في نظر بوبر يتم بناء على عدة خطوات هي:

---

[1] Popper, La Connaissance objective: Une approche évolutionniste, p. 367.

[2] Karl R. Popper, Realism and the Aim of Science, edited by W. W. Bartley III (London: Hutchinson, 1983), pp. 217-277.

1- الانطلاق من مشكلة نظرية وليس من ملاحظة حسية .

2- وحدة المنهج الفرضي الاستنباطي.

3- المحاولة والخطأ التي تمثل آلية سير العلوم وتطورها.

4 - العقلانية النقدية.

كل باحث يبدأ من مشكلة نابعة من ظاهرة قد تكون طبيعية أو بيولوجية أو إنسانية، وبعد دراسة هذه المشكلة نستنبط منها عدة حلول. وهنا يأتي تطبيق خطوة المحاولة والخطأ، حيث توضع هذه الحلول لاختبارات نقدية.

فكل العلوم في نظر بوبر عليها إتباع الخطوات التالية:

م1 ← ح ح ← أ أ ← م2

بهذا تتحقق وحدة المنهج في هذه العلوم، ويكون بوبر قد قام بتعميم معياره ليشمل العلوم الاجتماعية والإنسانية، فالنظرية كما يراها بوبر سواء كانت طبيعية أو اجتماعية فرضية تخمينية قابلة للتكذيب، وهي التي تحقق تقدما معرفية وتشكل حافزا لاستبدال وجهات نظر بأخرى تمثال دلالة واضحة على علمية هذه النظرية وموضوعيتها حتى ولو كان مصدرها أسطورة ما، «أ يضم منهج العلوم الاجتماعية، مثل منهج العلوم الطبيعية، اختبار حلول تجريبية لتلك المشاكل التي تبدأ استقصاءاتنا. تقترح الحلول وتنتقد، فإذا لم يكن الحل المقترح مفتوحا للنقد الموضوعي استبعد على أنه غير علمي، ب فإذا كان الحل المقترح مفتوحا للنقد الموضوعي هنا نحاول تفنيده، فكل النقد يتضمن محاولات للتفنيد؛ ج إذا ما فند حل مقترح بسبب نقدنا، اقترحنا حلا آخر، د فإذا صمد أمام النقد قبلناه مؤقتا ونحن نقبله على أنه قبل أي شيء جدير بجدل ونقد تال، هـ وعلى هذا فإن المجتمع العلمي منهج محاولات تجريبية [...] كل مشاكلنا [...] إنه تطوير نقدي لمنهج التجربة والخطأ»[1]. وفي مقدور أي باحث في ميدان العلوم الاجتماعية أن يقترح حلا بصدد مشكلة اجتماعية ما وإذا كان هذا الحل غير قابل للنقد والاختبار يستبعد -لأن إمكان النقد يشير إلى خاصة علمية- أما إذا كان يقبل النقد فيوضع تحت اختبارات قاسية ونقد لكل معطياته وبالتالي من الممكن قبول هذا الحل في حال صموده ويكون قبوله مؤقتا.

[1] كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل: محاضرات ومقالات ثلاثين عاما، ترجمة أحمد مستجير(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، 1966)، ص 88.

ولقد رفض أنصار الاتجاه الطبيعي أمثال: دلتاي W, Dilthey وكروتشه B. Croce وغيرهما فكرة وحدة المنهج، أي إخضاع العلوم الاجتماعية والإنسانية لمنهج العلوم الطبيعية، على اعتبار أن المنهج مختلف في كليهما، و لعل دروبسن كان أول من أشار إلى هذه التعددية المنهجية في وقتنا الحاضر[1]. كما رأى دلتاي أيضا أنه من غير الممكن تطبيق منهج العلوم الطبيعية على علوم الإنسان، محاولا التمييز بينهما، على اعتبار أن العلوم الطبيعية تعالج وقائع مادية محسوسة، بينما تعالج العلوم الإنسانية معانى غير محسوسة أو غير مرئية... لمعرفة ما يختفي وراء ذلك من معان [2].

وبالتالي فالعلوم ليست على مستوى واحد، فهي تتعدد باختلاف موضوع البحث ومنهجه وأهدافه، ومن ثم فمحاولة توحيد كل العلوم بمنهج واحد محكوم عليها بالفشل، فلو أخذنا مثلا مشكلات العلوم الإنسانية فإننا نجدها أكثر تعقيدها من العلوم الطبيعية، ويبرز هذا التعقيد على عدة مستويات: فمثلا عندما نكون بصدد دراسة ظاهرة تاريخية فإن هناك عوامل نفسية واقتصادية واجتماعية تتدخل في حدوث هذه الظاهرة، فالظاهرة التاريخية وحتى النفسية أو الاجتماعية تتشابك فيها عوامل متعددة، إضافة إلى تأثير ظواهر أخرى كونية كانت أو فيزيائية أو كيميائية وبيولوجية وهو الأمر الذي يحتم عند ملاحظة الظاهرة، إذ تأخذ في الحسبان كل العوامل التي تدخل في تكوين الظاهرة الإنسانية. إضافة إلى أن المشكلات الاجتماعية مثل البطالة والفقر ونسبة الولادات مشكلات معقدة من الصعب إيجاد حلول ملائمة لها إذا ما قورنت بمختبرات العلم الطبيعي وما يسود فيها من أنظمة ومناهج دقيقة.

بيد أن كارل بوبر Popper يرى أن الاعتقاد في كون مشكلات العلوم الاجتماعية أكثر تعقيدا من العلوم الطبيعية اعتقاد خاطئ. ومصدر الخطأ «الأول هو أننا نميل إلى مقارنة الأشياء التي لا يجوز المقارنة بينها، فنقارن بين المواقف الاجتماعية العينية من ناحية والمواقف الفيزيقية التجريبية المعزولة عزلا صناعية من ناحية أخرى. والمصدر الآخر هو الاعتقاد القديم بأن وصف الموقف الاجتماعي يتطلب وصف الأحوال النفسية... ولكن هذا الاعتقاد ليس له ما يبرره» [3]. أما مسألة انعدام الموضوعية في العلوم الاجتماعية – كون الإنسان لا يمكن أن ينتج علما معرفيا بذاته لأنه هو الذات والموضوع في آن واحد، هو جزء من الظاهرة التي هي موضوع دراسته، وهذا التداخل يحول دون تحقيق الموضوعية الموجودة في العلوم الطبيعية التي تجعل موضوعها مستقلا

[1] عزمي إسلام، « مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية، حوليات كلية الآداب (جامعة الكويت)، السنة 4، العدد 16 (1983)، ص 22-28.

[2] علي عبد المعطي محمد، رؤية معاصرة في علم المناهج (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1984)، ص 340.

[3] بوبر، بؤس الإيديولوجيا: نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، مصدر سابق، ص 168- 169.

وخارجا عن الباحث، فإن لبوبر Popper رأيا آخر، فحتى العلوم الطبيعية – في نظره – تنعدم فيها الموضوعية حيث يقول: من الخطأ الفادح أن نعتقد أن موقف عالم الطبيعيات أكثر موضوعية من موقف عالم الاجتماع، فالعالم الطبيعي ليس سوى متحيز مثل كل شخص آخر، وما لم ينتم إلى القلة التي تنتج باستمرار أفكارا جديدة فإنه – للأسف – كثيرا ما يكون في غاية التحيز، فيفضل أفكاره الخاصة بطريقة مشايعة ومغرضة. لقد أسس بعض من أكبر الفيزيائيين المعاصرين مدارس وقفت تقاوم الأفكار الجديدة مقاومة شديدة حقا[1].

إضافة إلى هذا، يرى بوبر Popper أن العلوم الطبيعية ليست معصومة من ارتكاب الأخطاء، فتقدم العلم لا يتم إلا بتصحيح الأخطاء وتجاوزها، كما أن الأخطاء التي ترتكب في العلوم الطبيعية ليست أدنى من الأخطاء التي ترتكب في العلوم الاجتماعية، وخير دليل على ذلك أن الذي يدرس تاريخ الفيزياء سيكتشف على الفور أنه حتى الفيزيائيون العظماء ارتكبوا غلطات. منذ العام 1905 حتى عام 1915 عمل أينشتاين في مشكلة الجاذبية قبل أن يصل إلى النظرية التي يمكن أن تحل محل نظرية نيوتن، ومن تلك السنوات العشر أمضى زهاء الأعوام الثلاثة الأخيرة بجملتها في ما يمكن أن يوصف بأنه مسار خاطئ بالكلية[2].

إضافة إلى هذا، رفض أنصار الاتجاه اللاطبيعي فكرة تطبيق الوحدة المنهجية على العلوم الإنسانية على اعتبار أنها تبتعد من المنهج العلمي الذي يبدأ بالملاحظة ثم الفرضية وبعدها التجريب للوصول إلى القانون، فهذه الخطوات لا تتمشى مع متطلبات العلوم الإنسانية، فمثلا الملاحظة في المنهج العلمي هي ملاحظة الظواهر، أما في العلوم الإنسانية فهي غير مباشرة، وهنا تكمن الصعوبة، لأن الباحث يصطنع الوسائل التي تحل محل الملاحظة، فمثلا في علم النفس يوجه الباحث الاستمارة بهدف التعرف إلى الظاهرة موضوع الدراسة. ثم إن الملاحظة في العلوم الإنسانية لا تعبر عن حقيقة الظاهرة التي تتغير باستمرار، وهو ما يبعدها من المنهج العلمي. كما أن التجريب الذي يصبح هو الآخر جزءا من الظاهرة التي تكون موضوع له من خصائصه التكرار والإعادة لكن في العلوم الإنسانية يبدو أن الأمر غير ممكن؛ فالتجربة لا يمكن إعادتها. والنتيجة هي أن العلوم الإنسانية بعيدة كل البعد من تطبيق المنهج العلمي. لكن كارل بوبر يرفض هذه النظرة، لأنها قائمة على الاعتقاد بأن المنهج العلمي هو منهج استقرائي يبدأ بالملاحظة ثم الفرضية والتجربة وأخيرا اكتشاف القانون. وهذا ما جعل البعض يقول إن العلوم الإنسانية لا تتمشى مع متطلبات المنهج العلمي، في حين أن المنهج

[1] كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل: محاضرات ومقالات ثلاثين عاما، مصدر سابق، ص 94.

[2] كارل بوبر، أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية، تحرير مارك أ. نوترنو؛ ترجمة يمنى طريف الخولي عالم المعرفة؛ العدد 292 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2003)، ص 174.

العلمي هو منهج فرضي استنباطي، منهج المحاولة والخطأ، منهج التكذيب الذي يبدأ بمشكلة لا بملاحظة وينتهي بمشكلة يقول بوبر Popper: «إن سوء الفهم الرئيسى بشأن العلوم الطبيعية يكمن في الاعتقاد أن تلك العلوم تبدأ من الملاحظة وجمع المعطيات أو الوقائع أو القياسات، ومن ثم تسير قدما نحو ربطها أو التضايف بينها، وهكذا تصل تلك العلوم إلى التعميمات والنظريات» [1]. إذا سوء الفهم الناتج من الاعتقاد بالمنهج الاستقرائي كمنهج للعلوم الطبيعية هو الذي أدى إلى القول بصعوبة تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الإنسانية .

الحاصل أن بوبر Popper يؤمن بوجود تشابه بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ويرفض الفوارق التي وضعها أصحاب الاتجاه الطبيعي، إنه يؤمن بإخضاع العلوم الإنسانية للمنهج نفسه المستخدم في العلوم الطبيعية، والمنهج الذي يوحد البحث العلمي بأكمله هو المنهج الذي ينطلق من مشكلة وينتهي بمشكلة جديدة تمثل حافزا لاستئناف البحث وتحقيق التقدم " نستطيع أن نظفر بأفضل تفهم لمناهج العلوم الطبيعية، وبالمثل تماما لمناهج العلوم الاجتماعية، إذا سلمنا بأن العلم دائما يبدأ بمشكلات وينتهى بمشكلات، ويكمن التقدم العلمي – أساسا – في تطور المشكلات العلمية، ويمكن تقييم التقدم العلمي بوساطة الزيادة في رهافة هذه المشكلات وثرائها وخصوبتها وعمقها"[2].

لكن إذا كان بوبر Popper قد تحدث عن التشابه الموجود بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، فهل تحدث عن وجود اختلاف بينهما؟ في تصوره، إن وجد الاختلاف فهو اختلاف من حيث الدقة في تطبيق ما أسماه النموذج التقريبي القائم على مبدأ العقلانية، حيث يقول: «إننا نستطيع في العلوم الاجتماعية أن نستخدم منهجا يمكن تسميته بمنهج التركيب المنطقي أو العقلي... وأعني بذلك منهج تركيب النماذج بناء على افتراضنا المعقولية التامة في جانب كل الأفراد الذين يحتويهم موقف معين، ثم نقدر انحراف السلوك الفعلي لهؤلاء الأفراد عن سلوك النموذج، باعتبار هذا الأخير إحداثيا قيمة صفر» [3]. إذا، مبدأ العقلانية هو الذي يمثل صحة النموذج في العلوم الاجتماعية.

---

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية، المصدر السابق، ص 184.

[2] كارل بوبر، أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية ، المصدر السابق، ص 185.

[3] بوبر، بؤس الإيديولوجيا: نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، مصدر سابق، ص 170.

ثانيا:الأصول التاريخية للتاريخانية :

يعتبر مصطلح التاريخانية من المفاهيم القديمة من ناحية الممارسة فكريا، ولم يظهر كمصطلح إلا حديثا وتحول مع مرور الوقت إلى فلسفات ومذاهب فكرية تعبر عن وجهة نظر أصحابها و على حد تعبير "كارل أنتوني"[1]، وكمثال عن ظهور التاريخانية في ألمانيا نجد "كارل فرنار" 1879، الذي أكد أن الفكر البشري لا يعرف أي حقيقة إلا الحقيقة التاريخية لأنه وحده الكفيل بتشكيلها، أيضا ماركس، هيغل...الخ، و المدرسة النمساوية للاقتصاد "من أجل الحكم على أطروحات المدرسة الألمانية "، كذلك أرنست ترولتش" 1923-1865 و "كارل مانهايم" 1947-1893 و "فريدرش مانيكه" 1954-1862، أما في انجلترا نجد أعمال اللورد "أكتون " 1902-1834، وزميله روبرت "جورج كولنجوود" 1943-1889، وعن جهود الفرنسيين نجد مثلا "لويس التويسر" 1920-1918، وفي إيطاليا "كروتشه" وأيضا "جمبا تتشافيكو" لوصفه المؤسس الحقيقي للنزعة التاريخانية في أوروبا[2]، و هذه عينة فقط.

1- ضبط التاريخانية كمفهوم:

يرتبط هذا المصلح بتاريخية الفكر والمذاهب والنظريات الفلسفية، ويظهر في سياقات فلسفية مختلفة ومتعددة،[3] وتشترك التعريفات المتعلقة بهذا المصطلح في فترة أساسية وهي أساسية وهي أن أصحاب هذه النزعة بدون أن التاريخ هو الطبقة أو الوسيلة الوحيدة لدراسة تطورات المجتمعات وديناميتها، لأن التاريخ يتغلغل في جميع الأعمال وهي : <<وجهة نظر تلتزم عرض المفاهيم العلمية من حيث تطورها عبر التاريخ وهي جزء جوهري من المنهج الدياليكتبكي>>[4]، وأيضا <<يطلق هذا اللفظ على المذهب القائل أن اللغة والحق والأخلاق ناشئة عن إبداع جماعي لا شعوري، ولا إداري وإن هذه الأمور قد بلغت الآن نهايتها، وإنك لا تستطيع أن تبدل نتائجها و لا أن تفهمها على حقيقتها إلا بدراسة تاريخها>>[5].

لذا نستخلص من كل التعريفات أن هذا المصطلح يشترط حضور الدراسة التاريخية لفهم ومعرفة القوانين التي تخضع لها المجتمعات والمراحل التي على أساسها تتطور، فلا يمكن الحكم أو فهم أي فكرة في مجتمع ما إلا

---

[1] خديجة زنتيلي، جذو كروتشه و النزعة التاريخية المطلقة، ط1 (منشورات ضفاف، بيروت، 2010)، ص 63.

[2] خديجة زنتيلي، جذو كروتشه و النزعة التاريخية المطلقة، المرجع نفسه، ص 63-64-65-66.

[3] خديجة زنتيلي، جذو كروتشه و النزعة التاريخية المطلقة ، المرجع نفسه، ص 59.

[4] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 155.

[5] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص، ص 229-230.

بالرجوع إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، ويعرفها "ألفرد شرن" "Alfred Stren"[1] بأنها تلك التي تكون فيها الحقيقة والقيمة حصيلة الزمن والتاريخ، وعن عبد الله العروي يقول: <<هي كل .... كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ هو وحده العامل المؤثر في أحوال البشر بمعنى أنه وحده سبب وغاية الحوادث>>[2].

2- مبادئ الدراسة التاريخانية:

انطلاقا من مفهوم التاريخانية نلتمس أن المذهب التاريخاني يعتمد على مجموعة من القواعد والمبادئ لفهم مسار التاريخ، وقد اعتمد في ذلك على رؤية خاصة به حيث نجده قد رفض مجموعة من الخصائص المتعلقة بالعلم التجريبي على أساس وجود فروقات بين العلوم الطبيعية والاجتماعية، هذه الأخيرة مثلت تلك الاختلافات عائقا في تطبيق المنهج الفيزيقي عليها، حسب النظرة التاريخانية، ويمكن تلخيصها حسب "بوبر" كما يلي:

2-1- التعميم: ينتج التعميم في العلوم الطبيعية نتيجة عامل الإطراد ونفتقد ذلك في العلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى عدم تكرار الواقعة التاريخية.

2-2- التجربة: عدم إمكانية تطبيق فكرة عزل عامل عن باقي العوامل كما في الفيزياء، و إذا حاولنا تطبيقها في العلوم الاجتماعية يفقدها جوهرها.

2-3- الجدة: افتقار العلوم الطبيعية لعامل الجدة مقارنة بالعلوم الاجتماعية التي تسجد جدة جوهرية مع كل تكرار.

2-4- التعقيد: هناك تعقيد مزدوج متضمنة في العلوم الاجتماعية الأولى ناشئ عن استحالة العزل الصناعي، والثاني راجع إلى التشابك والتداخل بين العامل الاجتماعي والعوامل الأخرى مثل علم النفس، الحياة، الكيمياء...الخ.

2-5- عدم الدقة في التنبؤ: إن فكرة التقويم المضبوط المفصل للحوادث الاجتماعية فكرة متناقضة، والتنبؤات الاجتماعية العلمية الدقيقة المفصلة هي إذن مستحيلة[3].

---

[1] خديجة زنتيلي، جذو كروتشه و النزعة التاريخية المطلقة، المرجع السابق، ص 60

[2] خديجة زنتيلي، جذو كروتشه و النزعة التاريخية المطلقة المرجع نفسه، ص 60 نقلا عن: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم و الأصول، ج2، (بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997)، ص 349.

[3] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، مصدر سابق، ص 25.

2-6- الموضوعية و التقويم: إشكالية التداخل بين الذات والموضوع بحكم أن الإنسان هو الدارس وموضوع الدراسة.

2-7- النزعة الكلية: العلوم الاجتماعية لا تدرس بالطريقة الجزئية الموجودة في العلوم الطبيعية لأن العلوم الاجتماعية ذات طابع كلي[1].

2-8- الإدراك الحدسي: العلوم الاجتماعية ينبغي أن تفسر بالإدراك الحسي وليس التفسير العلمي المعتمد في العلوم الطبيعية.

2-9- المناهج الكمية: عدم إمكانية القياس الكمي في العلوم الاجتماعية.

2-10-المذهب الماهوي مقابل المذهب الاسمي: في إطار النزعة الكلية يدافع التاريخانوين عن المذهب الماهوي لأنه من أجل فهم الكل ينبغي فهم الماهيات المعبرة عنه. وعلى هذا الأساس رأى التاريخانوين ضرورة دراسة العلوم الاجتماعية، انطلاقا من الكشف على القوانين التي تخضع لها مسار التاريخ ويمكن ضبطه كالآتي:

- **التنبؤات البعيدة المدى و التنبؤات واسعة النطاق**: إن استنادهم على فكرة التنبؤ واسع المدى كان انطلاقا من الفلك النيوتوني التي تتكامل مع النزعة الكلية، والألفاظ الشاملة والماهيات.
- **الديناميكية الاجتماعية**: إن العلوم الاجتماعية تماثل العلوم الطبيعية في فكرة الحركية ولذلك سيستلزم دراسة الديناميكيات التي تعبر عن التغيرات والتطورات الحادثة في المجتمعات للوصول إلى نظرية علمية كلية، تسمح بالتنبؤ بأحداث المستقبل.
- **القوانين التاريخية**: هي نفسها القوانين الاجتماعية التي تكشف عن التغيرات بين المجتمعات باستطاعتها الربط بين الفترات المتعاقبة.
- **النبوءة التاريخية في مقابل الهندسة الاجتماعية**: إن القوانين التاريخية تمكننا بالتنبؤ بالأحداث البعيدة[2].
- **نظرية التطور التاريخي**: ضرورة الانطلاق من مسلمة أن علم التاريخ هو نفسه علم الاجتماع، وبهذا تصبح مهمة التاريخ الكشف عن الصيرورة والتغير والتطور من خلال قراءة الماضي واستنباط التنبؤات المستقبلية.

---

[1] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا ، المصدر نفسه، ص ص 28-31.

[2] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، المصدر السابق، ص ، ص 31-56.

- **تفسير التغيير الاجتماعي في مقابل تخطيطه:** دراسة التغير الاجتماعي في إطار ثابت، بحيث نجدها تقضي إلى نتيجة مفادها وضع مخططات لا يمكن تغييرها.

ثالثا: نقد التاريخانية عند كارل بوبر:

1- نقد بوبر للتاريخانية على المستوى المنهجي:

1-1- نقد الدعاوي المعارضة للمذهب الطبيعي:

للعلوم الاجتماعية وظيفة عملية قد تأخذ دراستها المنهجية أبعادا غير التي تخدم العلم بحق، كاستغلال التاريخانيين لهذه العلوم، وتحويلها لأداة في أيدي السياسيين، وهنا يقرر "بوبر" التصدي بالنقد الذي ينظر إلى المذهب التاريخاني كنهج عقيم يعجز عن إمدادنا يدعيه من نتائج.

- الاتجاه التكنولوجي في علم الاجتماع:

إن المشكلات العلمية في العلوم الاجتماعية يجب أن تدرس عبر الترقيع الجزئي من أجل التحقق لنتائج المشكلات العملية، وبهذا نصل أن هناك تشابه أساسي بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعي وذلك من ناحية تطبيقها للفروض والتحقق منها.

- الهندسة الجزئية في مقابل الهندسة الاجتماعية:

إن مهمة العالم الاجتماعي هي نفسا كالعالم الفيزيقي، بحيث يقوم بدراسة المشكلات الاجتماعية واقعيا، وهو ما سماه بالهندسة الجزئية في مقابل ذلك يرى أن الهندسة الاجتماعية -اليوتوبية- هي ذات طابع عام تهدف لدراسة مجتمع وفق خطة محددة[1].

- نقد النزعة الكلية:

يرفض وينتقد النزهة الكلية في المذهب التاريخاني لأنها قائمة على مجرد ميول وليست قضايا علمية.

- النظرية الكلية في التجارب الاجتماعية:

رفض "بوبر" قبول فكرة أن التجارب الاجتماعية لن تتصف بالواقعية إلا إذا كان لها طابع المحاولات اليوتوبية التي تهدف إلى تشكيل المجتمع كله من جديد لأن فيها إلغاء للوقائع الجزئية و فرض السيطرة.

[1] كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، المصدر السابق، ص ص 73-80

- **تغير الظروف الجزئية:**

تقوم حجة التاريخانيين جول رفض التجربة على وجود التغير في المجتمع، لكن "بوبر" يثبت أنه حتى في العلوم الطبيعية هناك عوامل التغير كمثال درجة غليان الماء تختلف باختلاف الموقع الجغرافي.

- **هل التعميمات قاصرة على الفترات:**

رفض "بوبر" لقانون التعميم سواء كان ذلك في العلوم الطبيعية أو الاجتماعية لوجود التغيرات.

1-2- نقد الدعاوي المؤيدة للمذهب الطبيعي:

- **هل للتطورات قانون؟ لقوانين و الاتجاهات:**

نفى "بوبر" أن للتطور قانون فاعتبر تطور المجتمع الإنساني عملية تطورية فريدة مبنية على فروض وهذه الأخيرة لا تسمح لنا بالتنبؤ خاصة فيما أسموه بالتنبؤات بعيدة المدى لأن نجاح التنبؤات البعيدة المدى في علم الفلك ذو طابع تكراري خاص بمجموعة ديناميكية موقوفة في حين أن التنبؤات التاريخية البعيدة المدى الخاصة بالأنساق الاجتماعية غير الموقوفة.

- **طريقة الرد –التفسير العلمي- التنبؤ و النبؤة:**

إن التنبؤ يقوم على قانون ودراسة علمية بينما تستند النبوءة على مجموعة من الميول والاتجاهات مثل اتجاه "ماركس" نحو تكديس وسائل الإنتاج، وخطأ منا أن نجعل منها قوانين، بالرغم من وجودها وفقط بالمخيلة نستطيع امتحان المكهنات في بحثنا عن شروط الاتجاه الحقة، وهنا يكمن فقر التاريخانيين، إنه عمّم في المخيلة.

رابعا: إسقاط بوبر انتقاداته التاريخانية على الأنبياء الثلاث أفلاطون – هيغل- ماركس:

بالنسبة لـ "بوبر" القضايا التي تدعو لها التاريخانية هو نوع من اللهو، و ذلك يرجع لاعتمادها على قضايا مسلم بها، لهذا نجده قد شبهها بعقيدة اليهود حول فكرة "شعب الله المختار"، فقانون التطور التاريخي وضع عن طريق إرادة الله السامية[1].

غير أن الاختلاف بينهما وبين التاريخانية هو أن هذه الأخيرة تتعامل مع قانون التطور بوصفه طبيعيا، في حين عقيدة الشعب المختار هي صور إيمانية روحانية "تتقاسم التاريخانية الإيمانية مع هذه الأشكال الأخرى

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج1، تر: السيد نفادي، ط1، (دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص 27.

من المذهب أن ثمة قوانين تاريخية نوعية يمكن أن تكتشف وعليها يمكن أن تتأسس التنبؤات المتعلقة بالجنس البشري"[1].

وعلى هذا الأساس سعى "بوبر" أولا لنقد التفسير الإيماني من خلال عقيدة الشعب المختار كمثال توضيحي.

إن عرقية الشعب المختار، تخل محل الشعب المختار المنتقى كأداة للمصير، والذي سيرث الأرض في النهاية، وهذا ما سنلتمسه بتاريخية ماركس التي استبدلها بالطبقة المختارة والتي ستكون أداة لخلق المجتمع للإطييقي.

قبل الغوص في انتقادات "بوبر" الموجهة للمذهب التاريخاني ينبغي بنا الحديث حول أهم الفلاسفة الذين ساهموا في تأسيس هذا المذهب و من بينهم هراقليطس، أفلاطون، أرسطو، وصولا للأشكال الأكثر حداثة للتاريخانية، لهذا ارتأينا أن نختار بعض النماذج التي من خلالها نحاول توسيع مضمون التاريخانية والتي اعتبرها "بوبر" من بين أهم النماذج التي أشار إليها وهي كالتالي: أفلاطون Platon ، هيجل Hegel، ماركس Marx.

1- أفلاطون:

ولد "أفلاطون Platon " أثناء الحرب وقد كان ينتمي لسلالة ملكية يفتخر بها، خاصة من جهة أمه، وقد وضع هذا الأمر في محاورته "شارميدس" و "نيماوس"[2]، و لهذا السبب نجد أن نسبه .... بدرجة كبيرة لاهتمامه بالمجتمع، و تلخيص خبرته الاجتماعية في تقديم قانون التطور التاريخي القانون الكلي.

كما أشرنا سابقا، تميز عصر "أفلاطون Platon " بالفساد، لهذا كان يؤمن بحدوث نقطة تحول كونية تعبر عن قانون عظيم من خلال قدراته الفكرية و إرادته الخلقية، و ذلك بوضع نهاية للانحلال السياسي[3].

وهذا الاعتقاد جاء على شكل أسطورة عن طريق تأسيسه لدولة خيالية، لا تتغير وهي كاملة وثابتة، والذي بدوره انحرف عن عقائد تاريخانية سابقة له، هيراقليطس Héraclite ، ونظرية التغير وإحلاله للفوضى محل النظام الكوني والذي كان ناقدا لبارمينديس Parménide.

وعلم الاجتماع عند أفلاطون Platon يتحكم فيه عاملين:

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 27.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه ، المصدر نفسه، ص 44.

[3] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه ، المصدر نفسه، ص 47.

- ارتباطه بدعاويه السياسية و الأخلاقية.
- معظم مسلماته وصفت بأنها لا تقبل الجدل[1].

لهذا نجد فلسفته في علم الاجتماع خاصة ترتكز على التأمل أو الميتافيزيقيا و اعتبر التغير أنه شرير. إن نظريته حول المثل كانت مطلب منهجي تسعى للعلاقنية وتعد مستحيلة في وسط الأشياء الحسية.

كما تظهر لنا عظمة أفلاطون Platon من خلال نظريته في البدايات الأولى للمجتمع ومحاولته إيجاز الفترات النمطية في تطور الحياة الاجتماعية الاقتصادية وهذه الأفكار بلورها أفلاطون في كتابه الجمهورية – القوانين– والذي حاول فيه إبراز سبب سقوط المجتمع الإنساني وكيفية تطور الحكومة، كما أعطى من الناحية السياسية تصنيفا منطقيا لأنماط الحكم من خلال سؤاله حول النموذج الأصلي للدولة؟ والجواب هو: التأمل في نمو الدول على اعتبارها تتغير اتجاه الخير أو اتجاه الشر؟.

يرى "أفلاطون" أن أساس الصراع منبعه الصراع الداخلي للشخصية وقام بتطبيق هذه الصراعات على شكل معالم أدت للانحلال السياسي:

- الدولة النيماركية أو التيموقراطية* .
- الدولة الأوليجاركية* .
- مولد الديمقراطية حكم الحرية عدم الخضوع للقانون.
- الحكم الاستبدادي[4].

هذه المحاولة أحياها "روسو، و عاد كونت ومل وهيجل وماركس إلى إحيائها بأسلوب جديد.

إن الدولة الأولى تتفكك بسبب طموحها وبتأسيس الدولة الثانية تنشأ الحروب بين الطبقتين الغنية والطبقات الفقيرة وتفسر هذه الحرب عن ولادة الديمقراطية المفعمة بالحيوية والانتقال من نظام الديمقراطي الاستبدادي يكون عن طريق قائد شعبي يعرف كيف يشتغل التنافر الطبقي القائم بين الغني والفقير في ظل الديمقراطية، وينجح في تشكيل جيش خاص يدين له بالولاء و الناس الذين هللوا له سرعان ما ينقلبون ضده

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه ، المصدر نفسه، ص 69.

* التيموقراطية: حكومة مبنية على أساسا لثورة و حب المجد.

* الأوليجاركية: حكم الأقلية (العائلات الغنية).

[4] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 77.

تحت اسم العبودية، لهذا يقومون بإشعال نيران الحرب، كي يجعلوا الناس يشعرون أنهم بحاجة إلى قائد عام، ومع الحكم الاستبدادي تصل الدولة لقمة الدناءة[1].

1-1- نقد بوبر لأفلاطون:

إن فلسفة "أفلاطون Platon " في السياسة عامة وفي حركية المجتمع نجدها استبدادية، وذلك من خلال وضعه لقوانين تسطر كيفية فهم وظائف كل طبقة وكل دولة القائمة والتي سبقتها والتي تليها، وبهذا نجده وضع قوانين كلية ثابتة لا يمكن الشك فيها.

لكن يبقى بوبر لإيضاح أكثر استبدادية –أفلاطون- في المجال السياسي ركز على فكرة السعادة بعدما أشار للأفكار الأخلاقية كالعدالة والحكمة والحق والجمال، والتي أراد من خلالها إثبات أن السعادة الحقة لا يمكن تحقيقها إلا بالعدل فالحاكم يجد السعادة في الحكم والمقاتل في القتال والعبد في العبودية، فهو يهدف لسعادة الجميع وهذه الفكرة بالذات كدليل على استبداديته فقط لأجل عدم العودة للحروب والطغيان وثنائه للحرية كان مقابل للطغيان، وحقيقة هذا الأخير في عصره كان شكل من أشكال الحكم يستند لدعم الجماهير، ولهم النظرة الاستبدادية عند أفلاطون أقر بوبر أن عليه تعديل نظرته حول الاستبدادية لفهم أكثر الحركات الاستبدادية قديما وحديثا.

فأفلاطون Platon وجد أن معاصريه يتعرضون لضغط عنيف بسبب الثورة الاجتماعية مع بداية الديمقراطية والنزعة الفردية لهذا أراد استعادة السعادة كمواطنية، لهذا أراد إيقاف التغير والعودة للقبلية، فالمجتمع الإغريقي، يعتبر الحضارة الأولى التي انتقلت من القبلية للنزعة الإنسانية.

والمجتمع القبلي الإغريقي يتكون من شعوب عدة عصابات يحكمها ملوك القبيلة أو أسرار أرستقراطية تشق الحروب بها بينها، وهذه المجتمعات تحكمها العادات الاجتماعية التي تستند لإدارة خارقة للطبيعة وهي لا تقبل النقد[2]، ولا تترك أصلا مكان للمسؤولية الشخصية وهذا ما نسميه بالمجتمع المغلق الذي يتميز بالوحدة العضوية تحكمه علاقات فيزيقية كتقييم العمل وتبادل السلع...الخ، التي تؤدي لصراع الطبقات لهذا ما يسمى بالنظرية العضوية للدولة مماثلته باطلة مقارنة بالمجتمع المفتوح بل هي تصلح فقط للمجتمع المغلق.

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 82.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 284.

لهذا فالمجتمع المفتوح قد يصبح مجتمع مجرد وسط هذه القواعد و القوانين، و نهاية القبلية ظهرت حينما بدأ نمو السكان يضغط على الطبقة الحاكمة و بهذا انهار المجتمع المغلق مع بداية التفكير الخاص بمصير الناس بطريقة عقلانية.

ومن أسباب انهيار المجتمع المغلق:

1-2- تطور الاتصالات البحرية والتجارية:

كان هذا العامل مكروها عند أحزاب أثينا الأوليجاركية[1]، فأثينا حينما كانت ديمقراطية بلا رحمة، ومن مظاهر كيفية فرض ضرائبها على المدن الصغيرة، لهذا حاول الأوليجاركيين العودة إلى الدولة الأيونية وأن يكونوا وطنيين وكبح كل تغير حاصل في أثينا تحت شعار "عد إلى دولة أجدادك"[2].

لكن يبقى أن رغم وجود الحنين للدولة الحديقة إلا انه حل محلها استغلال براني وتهكمي في وسط الوطنيين نفسهم قد اكتشافهم للعدمية.

وخلاصة القول نجد أن هذه الفترة قد أفرزت محافظين للنظام القديم ومتشككون للمرحلة الانتقالية والمؤيدون للديمقراطية حيث نجد في أقوالهم حكم مؤثرة وتؤثر في الشعب بطريقة عقلانية، وفي آن واحد نجد أن أقوالهم كانت ضد أفلاطون حيث أن فحواها كانوا يمجدون الحرية و م يجعلوا الفقر عيب، فقالوا "انه لا يلحق بأحد من العار إذا اعترف بفقره"[3].

"وعلى الرغم من أن القليل فقط قد ينشئ سياسة فنحن قادرون جميعا على أن نحكم عليها"[4].

كما نضيف إلى هؤلاء الفيلسوف العظيم "سقراط"، أي انتقد النظام الديمقراطي في قوله الأشياء ذات الشأن، وذلك في غدراكهم غير السليم لهذه الأشياء بافتقارهم للأمانة العقلية سياسة القوة.

لهذا شعر "أفلاطون" بأن البرنامج الأوليجاركي القديم لم يكن من الممكن إحياؤه من دون استناده إلى إيمان آخر إلى القدرة على الإقناع بإعادة تأكيد قيم النظام القبلي القديم بمواجهتها للإيمان بالمجتمع المفتوح[5]، وذلك باعتماده على العقيدة افيثاغورية –أرخيناس التارنتومي- حكيما فيثاغوريا، كما ركز على القول أن

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 291.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 300.

[3] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 305.

[4] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 305.

[5] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 318.

سقراط نفسه شجع على المشاركة في السياسة، بالتالي أكيد "سقراط" قد فكر في الفيثاغورية كحل للمشكلة المؤسساتية.

وفي نظر "بوبر" هذا هو التفسير الوحيد على إبقاء لـ "سقراط" المحدث الأساسي لمحاوراته رغم انحرافه عن تعاليمه، فهو ظل يحارب و يقاوم حرية الفكر التي مات من اجلها "سقراط" لكبح كل تغيير[1].

وخلاصة القول في نظر "بوبر" أن "أفلاطون Platon " حاول تأسيس مجتمع مغلق بقوانين صارمة و يعتريها نوعا من الذاتية بحجة بغض الطغيان وعلى هذا الأساس انتقد "كارل بوبر" "أفلاطون".

2- هيجل:

إن حديثنا على "هيجل Hegel " على ضوء "بوبر" لا يختلف عن حديثه عن "أفلاطونPlaton " من ناحية سحر فكره لدرجة اعتبر "هيجل Hegel " في عصره دين المفكرين ولاهوتهم "فالهيجلية تعرف كل شيء عن كل شيء"، خاصة وأنه قد نصب لإحياء أفكار أعداء المجتمع المفتوح،[2] أمثال "هيراقليطس وأفلاطون وأرسطو"، وذلك لتلبية طلب الحزب الرجعي لاستئناف سلطته في بروسيا، وذلك لحاجته لإيديولوجيا، لهذا أعادة "هيجل" إحياء واكتشاف أفكار حول العقل و الحرية من الناحية الكليانية، فتعلموا تقديس الدولة –الدولة كل شيء و الفرد لاشيء- لهذا يقول: <<الكلي يتحقق في الدولة، فالدولة هي الفكرة الإلهية كما توجد هذه الأرض...>>[3] ، ضرورة إنشاء دولة أخلاقية مطلقة وهي فكرة "أفلاطون نفسها" –محاربة المجتمع المفتوح- فهو كائن يحاول استعادة حكومة فريديريك وليان الثالث البروسية، لهذا نجد الفيلسوف "شوبنهاور" قد أصدر حكما هزليا على فلسفة هيجل الذي قال: "أن الدولة تسيء استخدام الفلسفة، فجعلتها أداة لخدمة مصالحها والأكاديميون جعلوها تجارة....>>، ففلسفة هيجل السياسية ارتبطت بمصالح الحكم البروسي التي استوظفه فالملك نفسه أصر على خضوع المعرفة تعليما ومتعلمين لمصلحة الدولة.[4]

لهذا نجد "بوبر" يستهزأ من أفكار "هيجل Hegel " حول التاريخ فيقول أن أفكار "هيجل" تبين كم كان ميسرا أن يصبح المهرج صانع تاريخ ولفهم أكثر فلسفة "هيجل" نحاول مقارنة النزعة التاريخانية بين "أفلاطون" و"هيجل".

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 323.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 60.

[3] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 61.

[4] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 66.

بالنسبة لأفلاطون،كما سبق و تطرقنا إليه، يرى أن اتجاه كل التطورات تفسر بالابتعاد عن الميثالية فهي حركة هبوط وانحدار لهذا تاريخ الدول هو تاريخ فساد وانحطاط بإصابة الطبقية الحاكمة، على العكس فهيجل يرى أن التطور يتجه نحو صورة مثالية، فالتطور هو التقدم بالتالي نزعته متفائلة مقارنة بأفلاطون تتحرك بذاتها وتدفع نفسها نحو سبب أخير علة غائية –عند أرسطو– وعند الفكرة المطلقة و بهذا القانون العام للتطور هو قانون التقدم[1].

وأعطى للدولة عقلا أو روحا ولدراستها يجب دراسته أولا تاريخها أو تاريخ روحها، ومن نتائج التاريخانية أن كل أمة تريد الظهور إلى الوجود المتعين فلابد أن تؤكد روحها بالصراع مع الأمم الأخرى لسيادة العالم والحرب لديه عادلة وفي تحليل "بوبر" لديالكتيك "هيجل Hegel " يجد أنه صرح أن فكرة التناقض هي فكرة يجد أنه صرح أن فكرة التناقض هي فكرة جوهرية عينية لكل العقلانية، فهو الطريق الوحيد لتطور العقلانية، من خلال ديناميكتيك ذات إيقاع ثلاثي فكرى نقيضها تركيب= المثلث الديناميكتيكي.

بالنسبة لـ "بوبر" ليتقدم أي علم عليه إلغاء أي تناقض وإلا فسوف ينهار، لكن بالنسبة لهيجل التناقضات ليست جائزة وواردة فحسب بل هي مرغوبة في وجودها، وعقيدة هيجل هذه تهدم أي حجة وأي تقدم علمي[2].

فالتناقضات حينما تكون مرغوبة لا داعي للتخلص منها بالتالي سيصل التقدم لغايته.

إنهاء للحجج العقلية و التقدم العلمي و العقلي لدى "بوبر" وهذه هي عين الدوجمائية الراسخة ففلسفته دليلا ضد أي نقد.

وإذا تحدثنا عن فلسفة الهوية لدى هيجل فهو يرى أن كل ما هو معقول واقعي، أي كل ما هو معقول لابد أن يتكيف مع الواقع فالحقيقة تتطور على نحو ما يتطور العقل لهذا التمس بوبر من ديناميكتيك هيجل أنه صمم لأجل إفساد أفكار 1789 الثورة الفرنسية كذلك يمكننا إضافة مثال حول حديثه عن حرية الفكر مطبقا المنهج الديناميكتيكي في قوله:

<<الدولة هي الفكر بوصفه مبدأها الجوهري و من ثمة لا تنشأ حرية الفكر والعلم إلا في الدولة، فالكنيسة أحرقت حيور دانو برونو و هي التي أرغمت غاليلوا على الوضوح [...] لذا لابد أن يلتمس العلم الحماية لنفسه من الدولة ما دام الهدف العلم هو معرفته الحقيقة الموضوعية>>.

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 69.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص ص 72-73.

ثم ينتقل لنقيض هذه الفكرة فيقول:

<<لكن معرفة من هذا القيل لا تتماشى بطبيعة الحال دائما مع معايير العلم، فهي تنحط إلى مجرد رأي وطبقا لهذه الآراء قد يرتفع العلم كذلك المطالبة المغرورة نفسها بالاستقلال عن الدولة [...] أي المطالبة بأن يكون حر في آرائه و قناعاته>>[1].

وفي حديثة حول الحرية يستعمل الحرية السياسية للمشاركة في الشؤون العامة للدولة، كتحديد الدستور الذي به تحدد القوانين و الحريات فيقول <<الكلية الحية الواقعية التي تصون الدولة هي الحكومة تجسيد إرادة شخص وذلك بقوله أن القرار الأخير [....] وأن التحديد الذاتي المطلق يشكل سلطة الملك بحد ذاتها>>[2].

لكن كيف لهيجل أن يطلب دستور البلد أنهم الله عليه بحكم ملكي مطلق.

تقديس الدولة واضح يقابله إفساد للوطنية.

إن فلسفة التاريخ لهيجل Hegel أعطت معطيات سلبت قدرة الفعل على الفرد الإنساني والإقرار بعدم قدرته كعنصر جزئي ضمن الكل في تغيير مجرى التاريخ وذلك خلال المصطلحات التالية: الروح، الكلي، المصير المشترك، الغاية التاريخية[3].

إن "هجيل" أحل الضرورة محل التفاؤل المستنير ففلسفة هيجل التاريخية مليئة بحيثيات لاهوتية ممارسات دينية والتي أولها أنها تجليات واعية للعقل وإحلال المطلق في التاريخ –حيلة لدمج العنصر الديني في المسار الإنساني [....] بين المتناهي واللامتناهي، وهذا ما دفع ببوبر على نقده لهدم فهمه لصيرورة الإنسان[4] لأنه لم ينزل للواقع، وفي هذا المستوى يكون هيجل أشبه باللاهوتيين منه إلى الفلاسفة في اعتماده على النصوص الدينية كالإنجيل بالتالي إن إحداث التسامي بين المتناهي واللامتناهي يهدد بسحق الإنسان وابتلاع كل خصوصياته داخل الجماعة– تأسيس فكرة متعالية في الواقع الإنساني– لهذا يقول "بوبر" المخطط الكلي يغفل الآنية>>[5].

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 77.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر نفسه، ص 81.

[3] بن معمر جميلة، معنى التاريخ عند كارل بوبر، مجلة الحوار الثقافي، عدد ربيع 2013، مستغانم، الجزائر، ص 81.

[4] بن معمر جميلة، معنى التاريخ عند كارل بوبر، المرجع السابق، ص 82.

[5] بن معمر جميلة، معنى التاريخ عند كارل بوبر، المرجع نفسه، ص 83.

لهذا حينما نتأمل المصطلحات التي اعتمد عليها "هيجل" نجدها كما أفتر شوبنهاور .... الذكاء بفلسفة محتالة[1]، فوفقا للعقائد الكليانية لهيجل يقدر:

أ- ليست الدولة بحد ذاتها هي الغاية الأعلى بل الدم والشعب والعرق الذي بهم تتكون الدولة الجبارة للحفاظ على العرق.

ب- النظرية المشتركة عند هي أن الدولة بجوهرها العيني وذلك بتباينها عن دول أخرى مستقلة.

ج- الدولة هي القانون الأخلاقي والتشريعي لا تخضع لأي معيار لا سيما الأخلاق المدنية، فمعيارها الوحيد هو النجاح التاريخي لأفعالها –قولة الدولة و توسعها-

د- الدولة معفاة من الأخرق فهي لا أخلاقية، لهذا فالحرس ليست شرا أخلاقيا بل محايدة أخلاقيا، فالحرب خيرة في حد ذاتها.

هـ- مناهضة نزعة المساواة، فالمجد لا يمكن لأي أحد اكتسابه لأناه ديانة الرجال العظام –النزعة العرقية التي تتبنى مبدأ القائد-.

و-وصف الإنسان على أنه حيوانا بطوليا أكثر منه وجودا عقليا لهذا أثر شوبنهوار على أن هيجل قد مارس تأثيرا يصيب بالغباوة، بل تأثيرا وبائيا على الفلسفة و كل أشكال الأدب الألماني[2].

كذلك نجد أن فلسفة هيجل Hegel حينما تتحدث عن الإنسان كذات نجدها ملغاة، أو اضمحلت ضمن الكل، لهذا الخطاب التاريخاني يؤدي إلى مزيد من التشخيص في الاستيلاء عليها لاستبقاء النفود داخل كلي كلياني[3].

إضافة إلى بوبر نجد أن بندتوكروتشه قام بانتقاد هيجل وذلك بدعوة مراجعة للتاريخ والفلسفة، فرفض فكرة أن التاريخ يتحرك نحو المعقول أو المطلق فيحقق الفكرة المطلقة وفي نظر كروتشه "أن تاريخ العالم هو تطور الوعي بالحرية حيث لحظاته المختلفة ودرجاته الخاصة"[4].

"أعتقد هيجل أنه أتم ختم الفلسفة وتوهم أ، التاريخ سينتهي مع الأزمة الجرمانية لكن حدثت الكثير من الأمور السياسية والأحداث التاريخية التي أثبتت عكس نبؤه".

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المرجع السابق، ص 105.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، المصدر السابق، ص 127.

[3] بن معمر جميلة، معنى التاريخ عند كارل بوبر، مرجع سابق، ص 84.

[4] خديجة زنتيلي، جذور كروتشه والنزعة التاريخية المطلقة، مرجع سابق، ص 100.

3- كارل ماركس:

عالم اقتصاد واجتماع وفيلسوف ألماني ومؤسس الشيوعية ولبتريف وتوفي بلندن درس الفلسفة وأعجب بفلسفة هيجل الجدل الهيجلي ولكنه تحول عنه متهما إياه بالمغالاة في المثالية والتصورية، دخل المعترك السياسي والاجتماعي، وكان داعيا للثورة وتغيير النظام حرر في بروكسل مع صديقه فريديريك أنجلز البيان الشيوعي وحاول أن ينظم الحزب الاشتراكي، ولكنه اضطر أن يلجأ إلى لندن ليواصل دعوته الثورية متخذا هذه العبارة شعارا :" أيها المعوزون في جميع البلدان اتحدوا" وتعبر الماركسية أكمل تعبير عن المذهب الاشتراكي وقد أراد ماركس أن يكون كتابه " رأس المال" عرضا لعلم الاقتصاد ولكن في الكتاب مذهبا فلسفيا يتألف من المادية التاريخية والجدلية على طريقة هيجل ومن الشيوعية الملحدة أو العلمية على حد تعبير الماركسيين والتي هي نتيجة لها.

يعتقد ماركس Marx أن الإنسان شيء في الطبيعة وكتلة ذات ثلاثة أبعاد من اللحم والدم والعظم تنطبق عليها قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية الأخرى وقد أنكر ماركس وجود روح لا مادية ووجود جواهر روحية من أي نوع وبالتالي فقد أنكر الله، واعتبر اللاهوت والميتافيزيقا أنسجة من الأكاذيب تحاول أن تغتصب مكان العلوم الطبيعية التي تستطيع وحدها أن تقدم حلولا لكافة مسائل الواقع ومن بينها القوانين التي تتحكم في تطور الأفراد والمجتمعات ومن هنا تكون المادة هي كل الموجود فالمادية الجدلية التاريخية تقوم وترتكز على هذه المادة ومن هنا جاء وصف مذهبه ب "المادية التاريخية".[1]

فعنده أن نمو الحياة الإنسانية فردية واجتماعية يتوقف كله على الظروف المادية والاقتصادية وأن درجة الحضارة تقاس بدرجة الثورة الزراعية والصناعية وأن تنوع الإنتاج في الحياة المادية شرط تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية على العموم،فليس وعي الناس هو الذي يعين وعيهم، والحياة الاقتصادية تحقق قانون الصيرورة والجدل التاريخي القائم في الصراع بين الطبقات والمنتهي حتما إلى المجتمع الخالي من الطبقات، الكامل الاشتراكية وتاريخ البشرية في نظر ماركس Marx لا يعدو أن يكون تاريخ الصراع بين الطبقات.

وفلسفته في التاريخ هي مصدر معتقداته الفلسفية جميعا، فالبشرية تسير في اتجاه واحد، وثمة طبقة تهزم طبقة أخرى، حتى لا تبقى هناك طبقات للهزيمة ويتحرر الإنسان من التشويه الذي فرضه عليهم الصراع الطبقي، فيستطيعون آخر الأمر أن يأخذوا على عاتقهم مهمة تنظيم حياتهم معا بطريقة عاقلة والإنسان العاقل

[1] الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي،د/كميل الحاج، مكتبة لبنان،ط 2000،ص ص 515،516.

هو ذلك الذي يفهم القوانين والعوامل التي تتحكم في مجتمعه ويفهم سير التاريخ وتقدم الإنسانية نحو مجتمع لا طبقي وهنا يحدد ماركس ما هو خير وما هو شر قائلا:" إن من يمنع تقدم الإنسانية في اتجاه المجتمع اللاطبقي يعتبر شريرا."

فإن القيم والمثل العليا يعتبرها ماركس مجرد أوهام للتبرير العقلي يستعملها المجتمع البرجوازي لتسويغ مصالحه على أساس عقلي فهي سلاح في يد الطبقة الحاكمة وجزء أساسي من البنى الفوقية وهاته البنى ترتكز على البنى الأساسية أي علم النظام الاقتصادي لجماعة إنسانية يعينها وهذا القبول يقودهم إلى وضعية "الإنسلاب ".[1]

فإذا بدت الماركسية اليوم وخصوصا أعمال ماركس وكأنها تجاوزتها الأزمنة، فلا بد من أن نعترف بأن الماركسية طبعت عصرا كاملا بطابعها وأثرت على أحداثه في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وهناك عدة دول في العالم وخصوصا الاتحاد السوفياتي سابقا كانت قد تبنت الماركسية كعقيدة وكنظام حكم، ويبقى كارل ماركس بالنسبة للكثيرين نبيا من أنبياء التاريخ.

حيث اعتبره " بوبر" شكلا من أشكال التاريخانية بصورة متطورة بحيث نلتمس فيه دافع إنساني بمحاولته تطبيق مناهج عقلانية على المشكلات المؤرقة في الحياة الاجتماعية حتى وإن لم تنجح على أرض الواقع، لكن يبقى أن العلم لا يتقدم إلا بالخطأ والتجربة لهذا يمكن أن تشهد على " ماركس" حسب "بوبر" بانفتاحه العقلاني وإحساسه بالواقع ورغبته في مساعدة المقهورين بالعمل وليس بالأقوال فقط، لهذا اهتم ماركس بالفلسفة الاجتماعية من الناحية العملية لكن هذه الأخيرة جعلت منه نبيا على حد قول بوبر والذي يقصد منه أآنه أخذ يتنبأ بنبوءات لمسيرة التاريخ وهذا ما جعل بوبر ينتقده ويدينه بأن ماركس مسؤول عن التأثير المدمر للمنهج التاريخاني في الفكر داخل صفوف من أرادوا رفع شأن المجتمع المفتوح وإعلاء قيمته.[2]

ويمكن حصر الفلسفة الاجتماعية لماركس Marx في أهم النقاط نذكرها:نظرية تاريخية خالصة تهدف للتنبؤ بالتطور المستقبلي للاقتصاد والسياسة والثورات.

عدم تقديمها للجوهر الأساسي لسياسة الحزب الشيوعي الروسي بعد صعوده للسلطة السياسية.

والبحوث الاقتصادية الواسعة التي قام بها " ماركس" لم تلتمس مشكلات هيكلة السياسة الاقتصادية وهذا اعتراف من "لينين" كمثال:" خذ من كل حسب قدرته وأعط لكل حسب حاجته." لهذا اتهم ماركس أن

[1] الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي،د/كميل الحاج، المرجع السابق، ص 518.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المصدر السابق،ص 133.

فلسفته تفتقر للمشروعية بسبب تدخل النبوءة بمجيء الاشتراكية لهذا حينما ينتقد الماركسيون يقولون إن الماركسية ليست عقيدة بقدر ما هي منهج وهذا الأخير ركز عليه" بوبر" بمعايرته معايرة منهجية علمية.[1]

إن فلسفة ماركس تهدف إلى تأكيد وظيفة العلم التنبؤية ويظهر ذلك في قوله في كتابه رأس المال:"حينما يكشف مجتمع القانون الطبيعي الذي يحدد حركته ...فلا يمكنه عندئذ تجاوز مراحل تطور الطبيعة و لكن بوسعه القيام بالكثير فيمكنه تقصير وقت آلام ولاته و التخفيف عنها".[2]

معنى هذا القول أن وجهة " ماركس Marx " خاصة بين النظرية الاشتراكية والممارسة نظرة تاريخية بحتة وهذه العلاقة تتجسد من خلال إصدار تحذيرات أثناء انحراف الممارسات العملية و تقديم المستورة للعمال.

وفيما يتعلق بالتاريخانية الاقتصادية، لقد نجح ماركس في إبراز أن الحاجة المتحكمة في الإنسان كانت الحصول على وسائل العيش بالتالي جوهر الماركسية يتمثل في الدوافع الاقتصادية ولاسيما المصالح الطبقية فهذه الأخيرة هي الحركة للتاريخ- المادية التاريخية- وهنا نلتمس أنه اعترف بوجود ظواهر سيكولوجية كالشجع والربح والمنفعة لكن لا يعتمد عليها في تفسير التاريخ بل يعتبرها تأثير فاسد على النظام الاجتماعي الذي تطور عبر التاريخ وليس سبب لتطوره، فالحروب والبطالة والجوع ما هي إلا آثار هذه الظواهر السيكولوجية.

في حين على حسب " بوبر" يجده يهتم بالجانب السوسيولوجي والمنهجي وفكرة المادية المتجسدة في فلسفته، يجدها بوبر ما هي إلا اعتراف واضح لثنائية الجسد و العقل في إطار علمي، ومن الناحية النظرية يجد " بوبر" أن " ماركس" اعتمد العقل صورة من المادة لذا يقول :المثل الأعلى ليس سوى المادي حين نقل وترجم داخل رأس الإنسان.[3]

رغم اعتراف ماركس Marx بأن العالم المادي أساسي لكنه لا يستبعد مملكة الضرورة لأنه مقابل ذلك فهو يعتز بالعالم الروحي للإنسان مملكة الحرية، وفي كتاباته" رأس المال" يلتمس " بوبر" أن "ماركس" ينفر بما هو مادي.

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المرجع السابق، ص 134.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المصدر نفسه،ص 138.

[3] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المرجع نفسه، ص 162.

وهنا نجزم أن ماركس Marx حسب " بوبر" أن التناول العلمي للمجتمع و التنبؤ التاريخي العلمي ممكنان فقد قدر ما يكون المجتمع محددا بماضيه."[1]

إن اهتمام ماركس بمسألة أسباب حدوث الإنتاج دون السؤال حول عملية التوزيع والاستهلاك لدى"بوبر" موقف تاريخي تكويني ساذج ففي عالم الأشياء التي يصيغها الإنسان يتساءل عن صنع هذا الشيء؟ ومم صنع؟ وليس من يستعمله ومن أجل ماذا صنعه؟

كما نجده ميز بين الواقع المادي والمظهر أي عالم الأفكار وهذه الأخيرة تختزل إلى الواقع الجوهري الكامن الشروط الاقتصادية أي إفراط النزعة الاقتصادية لكن الاعتماد على هذه العقيدة غير صحيحة في الواقع الملموس نظرا لوجود تفاعل بين الشروط الاقتصادية والأفكار ولهذا قدم "بوبر" مثال حول آلات اقتصادية وبقاء التقنية العلمية محفوظة في هذه الحالة لا يمر وقت طويل ويعاد بناؤها لكن إذا حدث العكس سيؤدي ذلك إلى اختفاء الآثار المادية للحضارة، إن هذا المثال يقودنا إلى أن "ماركس" قد استخف بقوة مملكة الحرية وفرصها في قهر مملكة الضرورة.[2]

رغم تقدير بوبر وإعجابه بصدق وإخلاص ماركس في نواياه الإنسانية في تحرير المستضعفين ومناهضته لكل أشكال الاستلابات التي يتعرضون لها جراء الاستغلال والهيمنة الرأسمالية وما تفرزه من أنماط إنتاج وتوزيع وتبادل وتشريع وثقافة، ورغم اعترافه بعبقريته في تحليل مؤسسات المجتمع الرأسمالي ونفاذه إلى عيوبه الرئيسية، وإدراكه لنتائجه السلبية على حياة غالبية الطبقة العمالية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية حتى لكنه رغم هذا لا يسايره ولا يقبل منه حلوله اليوتوبية، فلقد حظي ماركس في تقدير بوبر بمنزلتين منزلة الفيلسوف الاقتصادي والاجتماعي الحصيف الرأي، الدقيق التحليل فيما هو كائن أي فيما هو قائم من مؤسسات اقتصادية واجتماعية وثقافية وبنيتها وتركيبتها وطريقة أدائها أي ماركس الناقد المحلل لوضع اجتماعي ومؤسساتي واقتصادي وسياسي، كان ماثلا أمام عينيه يعترف له بوبر فيه بالأصالة وبالعمق وببعد النظر والاستنتاج الذكي لكنه عندما يبنى من نتائج تحليلاته هذه برنامجا يوتوبيا منحه صفة العلمية هنا يتحول عند بوبر إلى بنى مزيف، يجب أآن تؤخذ آراؤه مأخذ نقد لا يرحم، إن ماركس في منزلته الثانية عند بوبر وفي تقديره ليس إلا نبيا مزيفا

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المصدر السابق، ص 164.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المصدر نفسه، ص 170.

لأنه تقدم بنبوءة ليست صحيحة كثيرا، بل لأنه يشجع الاعتقاد أن " النبوءة التاريخية هي الطريق العلمي لمقاربة المشاكل الاجتماعية.[1]

ولقد كان ماركس Marx محقا عندما رأى أن العلم يمكنه القيام بتنبؤات فقط عندما يكون المستقبل بطريقة ما محددا مسبقا واستنتج هكذا انه من الضروري افتراض حتمية صارمة.ونعلم أن بوبر أنه لا يشاطره هذه النظرة الحتمية على العموم التي خصص بالفعل قسما كبيرا من أجزاء صميمته الثلاثة لتفنيدها كما رأينا وهو أكثر معارضة على الخصوص للتصور الحتمي للتاريخ، الذي كما عرف بذلك كان مقبولا في عصر ماركس على نطاق واسع، كجون ستوارت ميل مثلا الذي طور نسخة حتمية خاصة به مشيعة بنزعة سيكولوجية وتستبدل في تعاليم ماركس النبرة السيكولوجية لجون ستوارت مل أين نجد فيها عنصرا جديدا سماه المادية وفي هذه التعاليم وفي هذا العنصر أصبح الاقتصاد يحتل مفتاح الموقف وهكذا " فعلوم المجتمع يجب أن تتطابق مع التاريخ، تطور الظروف الاقتصادية للمجتمع التي يسميها ماركس في العادة " ظروف الإنتاج" ويسلم بوبر مع ماركس، أن ثمة بعض الصحة في فكرة أن التنظيم الاقتصادي للمجتمع هو أساس المؤسسات الاجتماعية وتطورها لكن هي كذلك فقط إذا سلم أن هناك تفاعلا متبادلا ما بين الظروف الاقتصادية والأفكار وليست تبعية في اتجاه واحد للأخيرة للأولى.

ولقد قلل ماركس Marx من سلطة الأفكار وأساء تقدير دورها، وهو الدور الذي تصبح فيه واضحة في الحادث المستلهم من تعاليمه، ألا وهو الثورة الروسية عندما نجح في تحويل البنية الاقتصادية لبلده الإقطاعي نجاح يدين في جزء منه للصدى العنيف للفكرة الجديدة طبعا الفكرة الاشتراكية والشيوعية.[2]

فالمادية الماركسية هي حسب وجهة نظر بوبر في أصل جذور سلسلة من الأخطاء القاتلة ومن بينها رفض الهندسة الاجتماعية التي يعتمدها بوبر في إصلاح المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يسميها social engineering بطريقة سليمة متدرجة خطوة خطوة عكس الطريقة الراديكالية الماركسية الثورية التي تأتي على كل شيء فهي ترفض أن تحدد الأفراد التنظيم الاجتماعي، بل ترى على العكس وعلى وجه الدقة أن الظروف الاقتصادية هي التي تحدد وجود الأفراد ووضعهم في المجتمع.

وعلى صلة وثيقة بهذا القول نجد المفهوم الذي يرى أن السياسة ضعيفة أمام الاقتصاد أو الواقع الاقتصادي، يقول بوبر أن أهم نتيجة في نظرية الدولة لماركس هي أن كل السياسات وكل المؤسسات السياسية

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المرجع السابق، ص 195.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المصدر نفسه،ص 199،200.

والقانونية وكل الصراعات السياسية لا يمكن أن تكون ذات أهمية أولية السياسة ضعيفة لا يمكنها أن تغاير بصفة حاسمة الواقع الاقتصادي.

بالنسبة لماركس Marx هي جزء فقط من الآلة التي من خلالها تصارع الطبقة الحاكمة من أجل المحافظة على سلطتها، ويتبع هذا أن: "من حيث المبدأ، فإن كل الحكومات وحتى الحكومات الديمقراطية هي ديكتاتورات تمارسها طبقة الحكام على المحكومين."[1]

ويرفض كارل بوبر قول ماركس أنه من المستحيل في نهاية الأمر تحسين المؤسسات الاجتماعية بطرق تشريعية قانونية.

ويرفض وجهة النظر الدوغمائية لسلطة الاقتصاد كسبب لكل الشرور ويدعوا إلى إعادة النظر في دور الصراع الطبقي في السياسة، ليس لأنه ليس مهما بل منعه لنا ذا الدلالة الحقيقية من استنتاج أن كل التاريخ هو تاريخ الصراع الطبقي، ويولح بوبر أن ما نحن بحاجة إليه عوضا عن التاريخانية الكلية هو الهندسة الاجتماعية الجزئية والدراسة الحذرة ستظهر أن أهداف ماركس ومنهجه قد اجتمعا في نبوءة مجتمع بدون طبقات ينتج من الصراع بين الطبقتين الأخيرتين في الميدان، طبقة البرجوازية التي تراقب و تتحكم في كل الإنتاج ووسائل الإنتاج وبين الطبقة الأكثر فقرا والمستلبة أو المتغربة طبقة البروليتاريا التي تأتي من خلال ثورة عندما تتجاوز حدود الاحتمال.

والمجتمع بدون طبقات سيقام إذا بعد فترة انتقالية وسيطة من مرحلة دكتاتورية بروليتارلية أي الاشتراكية، حكومة العمال في نبوءة ماركس مرحلة انتقالية تعد للشروط الموضوعية المادية والسياسية والقانونية لمجتمع بدون طبقات مجتمع شيوعي، يأخذ من سمات المشاعية البدائية روح التعاون والتجاوز والتساكن والملكية الجماعية لكل وسائل الإنتاج، ولكل الخيرات المادية الذي طوره ماركس وفق ضرورات التطور العلمي والتكنولوجي والاجتماعي والثقافي والسياسي كمجتمع مثالي ينعتق فيه الإنسان من كل أنواع الاستلات والاستغلال والهيمنة والسيطرة وتحقق فيه الحرية والعدل والمساواة للجميع وهذا ما شكل قاعدة البيان الشيوعي الشهير وأرضية السياسات والإيديولوجيات للدول الاشتراكية والأحزاب الشيوعية عبر العالم كما نعلم.[2]

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، المرجع السابق، ص 200.

[2] كارل بوبر، درس في القرن العشرين، تر زواوي بغورة ، لخضر مذبوح، ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر، دار العربية للعلوم ناشرون بيروت، 2008،ص 33.

وإخفاق نبوءة ماركس Marx أصبح بديهيا خلال الحرب العالمية الثانية، عندما كتب بوبر كتابه الضخم في الفلسفة السياسية، وأبرز أسباب هذا الإخفاق في عدم مطابقته للأساس الأمبريقي بدرجة أقل من فقر التاريخانية الذي تؤكد فيه الحجة نفسها.

ولقد كان بوبر قد استبق الاعتراض القائل أآنه حتى ولو أن النبوءة النهائية لم تحصل فإن بعضا من نظريات ماركس تطابق الاتجاهات في العالم الواقعي على سبيل المثال النظرية الدورية في التجارة التي تنتزع وتميل إلى التنبؤ بالأزمات الدورية و تتبنى إجراءات مضادة لتجنبها الإجراءات التي تنتزع لأضعاف نظام السوق لكن بوبر يرد أن النظرة الضيقة لماركس تستحق أن تظهر:" أن ليس منهجه التاريخاني هو الذي قاده إلى النجاح بل دائما مناهج تحليل المؤسسات"[1] وباختصار فإن بوبر في تقديره الايجابي أو ما أسميناه مرتبة التقدير الأولى يعترف وبقدر عبقرية ماركس Marx من خلال تحليله الرائع المثير للإعجاب لطريقة عمل وسير المؤسسات المعاصرة له لكنه لم يتمكن من كشف أي شيء عن طبيعتها الحقيقية من خلال الماهية التي هي في وجهة نظر التاتريخاني يفترض أنها ستحدد أي تطور في المستقبل.

وكما قلنا في السابق فإن بوبر لم يحلنا على حوادث أو وقائع أو شخصيات من الفترة المعاصرة له، عندما كان يكتب مؤلفه والآن فإن خطابه ينفذ أكثر فأكثر بعمق إلى العالم المعاصر ناشرا بين أسطر كتاباته مرارة واستنكار ديمقراطي مخلص والذي يطرد تصورا من نوع تصور جزيرة السعداء لأفلاطون أو شيوعية ماركس دون أن يتخلى عن حبه وتعلقه بالحرية والعدالة والمساواة، ليحذر من الوقوع في فخ اليوتوبيا التي تنطلق في تخطيطها المزعوم لتحقيقها، مبررة العنف والثورة والدم في سبيل الوصول إلى تحقيقها ولو بإلغاء دور الأفراد وحرية الأفراد وسلبهم حقوقهم المادية والمعنوية في إطار ما يسمى العدالة التوزيعية، ولقد كان هو نفسه عضوا لفترة في الحزب الشيوعي النمساوي، لكنه أما اكتشف من الداخل عيوب الشيوعية تخلى عنها وهذا كما قال في أواخر حياته لا يعني أنه انحرف إلى الرأسمالية أو الليبرالية، لأنه كما قال لو أن الشيوعية لا تؤدي إلى العنف نظريا و عمليا كما شهدت على ذلك التجربة الستالينية لبقي حبا في الحرية والعدالة والمساواة إلى الآن شيوعيا.

يقول بوبر: "لقد بقيت اشتراكيا خلال سنوات عديدة من بعد حتى بعد رفضي للماركسية فلو كانت عملية وصل الاشتراكية بالحرية عملية قابلة للتحقيق لكنت وبقيت اشتراكيا حتى اليوم، لأن ليس هناك أفضل من عيش حياة متواضعة بسيطة وحرة في مجتمع مساواتي وكنت بحاجة إلى وقت قبل أن أدرك أن هذا ليس إلا

[1] كارل بوبر، درس في القرن العشرين، المصدر السابق، ص 33.

حلما جميلا فالحرية أهم من المساواة وأن محاولة تأسيس وإقامة المساواة تعرض الحرية للخطر، وأنه بالتضحية بالحرية فإننا لن نجعل العدالة تسود بين الذين استبعدانهم".[1]

ولقد كان بوبر يخشى أن تمزق الحضارة الغربية ما بين التوتاليتارية العنصرية والقومية اللتان تتغذيان كلتيهما من اليوتوبيا ومن النبوءات مثل النبوءات التاريخية سواء في التوتاليتارية اليمينية أو التوتاليتارية اليسارية، وأن اليسار لا يخفق فقط بصفة فعالة في محاربة الميولات الرجعية عندما تظهر لأول مرة فإنها تشجعها حتى في بعض الحالات حريا وراء اعتقادها الزائف، إنها كمحفز لحسم النزاع.[2]

وباكتشافه لأسباب نتائج الكارثة يحدد المسؤولية ليس فقط في إتباع القومية الألمانية المقيتة بل أيضا في الذين بواسطة إيمانهم الضعيف بالديمقراطية يقعون بين أيدي الجماعات الفاشية التي تهدف لتحطيمها.

ويصور بوبر الخيارات التي تمت ما بين الحربين في أوربا التي أرجعها إلى آراء ماركس التي ترى أن النظام الرأسمالي نظام فاسد غير ممكن إصلاحه يجب تعويضه بمجتمع بدون طبقات، إن الاختيار القوي بين الرأسمالية الجامحة والشيوعية، يبدو أنه اختيار فند عمليا بواسطة الوقائع والأحداث التي تؤيد نظرية "العلاج السياسي" التي تعني إنشاء مؤسسات قادرة على التدخل لحماية الناس الضعفاء من تعسف السلطة الاقتصادية، ولقد أسدى ماركس خدمة جليلة للنظام الرأسمالي الذي انطلق في تصحيح عيوبه وتقوية أركانه من العيوب التي أهداها له، فأصبحت صناديق التأمين والضمان الاجتماعي والتأمين على البطالة تساعد على حماية المستأجرين وتسير بنجاعة وفائدة لصالحهم، حيث أصبحت ظروفهم الاجتماعية أفضل بكثير من ظروف أحسن الدول الاشتراكية كالاتحاد السوفياتي سابقا.[3]

3-1- تقييم النبوؤة:

إن نبوءة ماركس Marx التاريخانية يقيمها بوبر بالفشل وذلك لكونها أحادية فحتى لو بدى ماركس تاريخي، لا ندري إن سيبقى كذلك غدا، فالتقليل من تدخل الدولة في المجال الاقتصادي والسياسي أثناء تطور الاشتراكية كان خاطئا، والمشكل الحقيقي هو "مشكلة التكنولوجيا الاجتماعية والهندسية الاجتماعية

[1] كارل بوبر، درس في القرن العشرين المصدر السابق، ص 33.
[2] كارل بوبر ، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2،المصدر السابق،ص 35.
[3] كارل بوبر ، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، المصدر نفسه، ص 35.

التدريجية"[1] كما أن فطرق تقليص ساعات العمل ستحفز المخترعين في اختراع آلات تساهم في ذلك وهنا ستخلق موجة جديدة من البطالة –أزمة اقتصادية– إن نبوءات ماركس تفتقر إلى خيال سياسي[2].

يمكن أن نحوصل كل ما سبق ذكره من أن هذه التاريخانية تقوم على أساس قوانين كلية لا تعتبر الحادث الفردي محرك للتاريخ، إنها أنساق تأسر العقول الفردية وتوجه الأفراد كالطوفان بدل أن يدفعها الأفراد"[3].

عدم تصور التاريخ كمجال مفتوح أمام الإبداع البشري.

خامسا: عقم التاريخانية كمنهج في العلوم الاجتماعية:

رأى بوبر التاريخانية في هذا الإطار، وربطها بما لها من أثر في الحياة اليومية، أي في جانبها العملي، ومن ثم لمس نتائجها الكارثية في المجتمعات، وانطلق في ذلك من أيامه متتبعا جذورها الفكرية وكيفية تطورها، وعلى ذلك الأساس فحص كلا منها على حدا، من حيث قابليتها للاختبار، ودعامتها الاستنتاجية أو الاستقرائية، فأتى على الماركسية بنقد حاد ليثبت التاريخ فيما بعد أنها قد كذبت مرات ومرات وبالتالي فهي لا علمية، كما تعرضت نظرية توينبي لنقد كبير. وسنعرض في هذا الفصل بالتفصيل كيف انتهى بوبر إلى تصنيف هؤلاء وغيرهم بالتاريخانيين، والتاريخانية على أنها منهج عقيم في العلوم الاجتماعية كما في السياسة، وبأن نتائجها في الشعوب هي غالبا كوارث جماعية سواء من ناحية توجيه اعتقادات العامة، أو ما أدت إليه من كوارث بشرية ومادية عبر التاريخ، ولبوبر شواهد كثيرة في ذلك صراحة وضمنا. وبالتالي إذا صح ذلك النقد الشامل لهذا الاتجاه فإن أي فرض أو نبوءة تتناسب مع النموذج التاريخاني يمكن أن تعرف على أنها لا علمية من بداياتها دون فحص تفاصيل مزاعمها.[4]

وتكمن فرضية بوبر الأساسية في أنه لا يمكن أن يكون هناك تنبؤ بالتاريخ الإنساني، لا علميا ولا بأي وسيلة عقلانية أخرى، وبشكل أكثر خصوصية عارض بوبر ما سماه بمذهب التاريخانية، بل إن المحتوى الأساسي لكتابية في مناهج العلوم الاجتماعية هو نقد شامل لهذا المذهب، وما ارتبط به من مذهب الكلية المنهجية methodological holism،[5] ويستدرك بوبر أن هذا النقد أو الدحض لا ينفي طبعا كل إمكانيات التنبؤ الاجتماعي، بل هو يبعث على اختبار هذه النظريات الاجتماعية، كأن نتوقع حدوث

---

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداءه، ج 2، المصدر السابق، ص 280.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداءه، ج 2، المصدر نفسه، ص 285.

[3] بن معمر جميلة، معنى التاريخ عند بوبر، المرجع السابق، ص 84.

[4] Gregory Currie and Alan Musgrave, Popper and the human sciences, p.133.

[5] Colin Simkin, Popper's views on natural and social science, E.J. Brill, The Netherlands :1993. p.109.

تطورات معينة وفقا لشروط معينة ونختبرها، وإنما ينفي نقده فقط ما يمكن أن يؤثر على حريتنا العلمية وتقدمها. [1] وقد تبنى الكثير هذا المذهب في تلك الأثناء، وعلى أساس أنها منهج في العلوم الاجتماعية رأى بوبر أنها كانت مشتركة بين طرفين أو صنفين، أولئك الذين ابتغوا تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على الظاهرة الاجتماعية من جهة، ومن جهة أخرى أولئك الذين أنكروا أو عارضوا قابلية تطبيق تلك المناهج على المجتمع، وفي كلا الطرفين يعتقد بوبر أن هناك سوء فهم كبير لمناهج العلوم الطبيعية، وطبيعة عملية نمو المعرفة العلمية عموما، مما أثر سلبا على تقدم العلوم الاجتماعية . [2]

أما رؤى أن الظاهرة الاجتماعية لا يمكن تحليلها ودراستها بمناهج البحث الفيزيائية، أي أن العلوم الاجتماعية تحتاج إلى منهج مميز فقد سماها بوبر التاريخانية المعارضة للمذهب الطبيعي the anti-naturalistic doctrines of historicism"، حيث تتضمن في جانبها السلبي إنكار إمكانية ونجوع القوانين الكلية universal laws والتجارب المصطنعة controlled experiments ، والتفسير الكمي والتنبؤ الدقيق، أو حتى التحليل الموضوعي. أما في جانبها الإيجابي فهناك تصريحات بأن التعقيد في الظاهرة الاجتماعية وأهمية الجدة novelty في التصور الاجتماعي يجعل من الضروري تبني مقاربة منهجية كلية holism باعتبار المجتمع أكبر بكثير من مجرد مجموع أفراده، كما قالوا بأهمية القياس التماثلي analogy بين البني الاجتماعية والظاهرة البيولوجية بدلا من الظاهرة الفيزيائية، وهناك تصريحات أبعد من ذلك مثل أن التحليل الاجتماعي يجب أن يهدف بدرجة معينة إلى التفسير العلي causal explanation عند الفهم الحدسي لغايات ومعاني الأحداث الاجتماعية وأصولها ونتائجها وأهميتها بالنسبة الحياة الاجتماعية. [3]

ومن جهة ثانية "التاريخانية المؤيدة للمذهب الطبيعي " the pro-naturalistic doctrines of historicism"، والتي كانت متأثرة جدا بالنجاحات المذهلة لفيزياء نيوتن، خصوصا في تنبؤاتها الدقيقة بالظاهرة الفلكية، مما زاد الحماسة للتيمن بذلك في التنبؤ في الظاهرة الاجتماعية، بالرغم من أن هؤلاء يعرفون الصعوبات لإقامة تنبؤات مضبوطة بسبب التعقيد في الظاهرة الاجتماعية واستحالة التجريب ومحدودية القياس بالنسبة للتصورات الاجتماعية، هذه الصعوبات أعاقت التنبؤات الدقيقة مما جعل العلوم الاجتماعية في رأي هؤلاء يجب أن تهدف إلى تنبؤات واسعة النطاق وطويلة المدى، ومع الغموض الذي يعتري هذا النوع من النبوات إلا أنه كان تعويضيا كونه يحمل عمقا في المعنى وسعة في المجال برأيهم. وقد كانت القاعدة الملاحظاتية

---

[1] Karl Popper, The Poverty of Historicism, p.vii.
[2] Karl Popper, The Poverty of Historicism, p. 02 لتفصيل أكثر يمكن مراجعة: Colin Simkin, Popper's views on natural and social science, E.J. Brill, The Netherlands,1993. P. 109.
[3] Colin Simkin, Popper's views on natural and social science, p.109.

لهذا النوع من التنبؤات في العلوم الاجتماعية هو التسجيلات التاريخية، وأصبحت بذلك العلوم الاجتماعية تاريخا نظريا شبيها إلى حد ما بالديناميكيات الفيزيائية، ورأى هؤلاء أنه مثلها أن التنبؤات الفيزيائية تقوم على قوانين الفيزياء كذلك التنبؤات التاريخية، يجب أن تقوم على قوانين التاريخ، والتي بدورها تنطبق على كل التاريخ الإنساني بأكمله – أي قوانين كلية– تحدد الانتقالات والتحولات من حقبة زمنية إلى أخرى. [1] على أن كلا المذهبين في التاريخانية المفيد والمعارض يفترض تاريخية العلوم الاجتماعية. [2]

وبغرض تسهيل فهم موضوع كتاب عقم المذهب التاريخي الذي هو بشكل أولي في منهج البحث في العلوم الاجتماعية، يرى lan Charles Jarvie* 1937 أن صعوبة فهم فلسفة بوبر من خلال هذا الكتاب هي جزئيا بسبب بنيته، ولذلك يقترح شرحا يوضح أن هذا العمل مكون أساسا من أربعة أجزاء، يحتوي الجزء الأول منها اعتراضات على امتداد مناهج العلوم الطبيعية إلى العلوم الاجتماعية، أما الجزء الثاني فيتضمن التناظرات المتشابهات بين مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، ثم الجزأين الثالث والرابع يبدو كما أنهما نقد على التوالي للجزأين الأول والثاني. [3]

لكن التوافق أو التوازي المنشود بين عناصر هذه الأجزاء لم يكن تماما على الوجه الواضح المتوازن في النص[4]، فكل من الأقسام العشرة في الجزء الأول تقدم حججا حول: لماذا لا يمكن للعلوم الاجتماعية أن تتقدم بنفس طريقة العلوم الطبيعية"، وهنا من المفروض أن يكون هناك بوبر عشرة أقسام بشكل موازي في الجزء الثالث الخاص بالنقد التقييم هذه الآراء، لكن بدلا من ذلك هناك فقط ثمانية أقسام في الجزء الثالث أنظر الجدول أسفله، ثلاثة مرتبة كما يلي : القسمين 19، 20 يشيران إلى: المشكلات العملية، المقاربة التكنولوجية ويوضحان وجهة نظر بوبر حول مهمة العلوم الاجتماعية، ثم هناك قسمين حول النزعة اليوتوبية يتناولان في الأغلب نقاط أثيرت في الجزء الثاني أي مواضيع الأقسام 15، 16، 17 في حين من المفروض أن

---

[1] Colin Simkin, Popper's views on natural and social science, p.109.

[2] Malachi Hacohen, The Formative Years, p.355.

* lan Charles Janvie (1937–) فيلسوف كان تكوينه بإنجلترا، أقام طويلا بكندا، درس بمدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية تحت إشراف بوبر، حيث يتضح تأثير هذا الأخير واضحا في فلسفته، لدية عضوية في الجمعية الملكية بكندا Royal Society of Canada، كما أنه مدير التحرير المجلة "فلسفة العلوم الاجتماعية" يهتم في دراسته بفلسفة العلوم الاجتماعية وصناعة الأفلام، وهو أستاذ بجامعة بورك في تورنتو York University Toronto

[3] I.C. Jarvie, "Popper on the Difference between the Natural and the Social Sciences", in pursuit of truth: Essays on the Philosophy of Karl Popper on the Occasion of His Birthday 80", Humanities Press Inc, USA: 1982. p.83,84.

[4] Bruce Caldwell "Popper and Hayek Who Influenced Whom?", Karl Popper: A Centenary Assessment Volume I Life and Times, and Values in a World of Facts, p.115.

يتناول تقييما لمواضيع موازية من الجزء الأول. أما الأقسام 23، 24 فتنتقد النزعة المنهجية الكلية بما أنها ذكرت في القسم السابع من الجزء الأول، ثم القسم 25 جاء ينتقد القسم 2 والقسم 26 ينتقد القسم 01 من الجزء الأول. أما الأقسام حول المواضيع: الجدة، التعقيد، عدم الدقة لم تعط أقساما موازية لتقييمها ونقدها، وبالمثل كانت بنية كل من الجزأين الثاني والرابع ويمكن ملاحظة ذلك انطلاقا جليا من الجدول التالي:[1]

يقول lan Charles Jarvie أن بوبر لم يكن ناقدا لكل ما عرضه في تحليله لحجج التاريخانيين، ولأنه حاول أن يفصل عرضه التحليلي عن التقييم، فأصبح يختلط على القارئ في بعض الأحيان أن يميز بينهما أو عن أية حجة هو يعترض، مثل عند تأييده للكلية المنهجية لكن ينكرها في خصوصيتها للعلوم الاجتماعية أو غيابها من العلوم الطبيعية مع إعطاء القارئ انطباعا أنه، ضد الكلية المنهجية .[2]

ومن ناحية أخرى فإن بوبر حين طرح آراءه حول منهج العلوم الاجتماعية في الأقسام 19، 20، 21، 29، 31، 32 كانت مبعثرة ومتفرقة بين أقسام النقد، ومنه كان التناسق البنيوي للمواضيع الكتاب متعذرا، وهذا ما يشوش على القارئ التمييز بين النقد والتحليل ونسبتهما إلى المواضيع التي أراد بوبر مناقشتها.[3]

ومن هذا المنطلق كان لابد من فرز تحليل كل فئة ثم نقدها ثم آراء بوبر الخاصة حول مناهج البحث في العلوم الاجتماعية وهذا ما نعمل عليه، حيث سنتطرق هنا لتحليل بوبر ونقده المذاهب التاريخانية بنوعيها، ونؤجل آراءه الخاصة في فصل مستقل بعد تحليل أفكاره السياسية والاجتماعية من خلال كتابه "المجتمع المتفتح وأعداؤه" في فصل مستقل أيضا.

يتساءل Jarvie عن إمكانية إعادة بناء "عقم المذهب التاريخاني" على طريقة تنظيم كتاب "منطق البحث العلمي"، ويطرح سؤاله قائلا: ما هي المشكلة التي يتناولها هذا العمل؟ واقتراحي هنا هو: ما هي مناهج البحث في العلوم الاجتماعية؟ وكيف تختلف مناهج العلوم الاجتماعية عن مناهج العلوم الطبيعية؟ وكيف لأجوبة هذه الأسئلة أن تكون ذات علاقة بالمشكلات الاجتماعية الراهنة؟ بما في ذلك الحرب وإعادة التعمير بعد الحرب؟ واهتماما بموضوع هذا السؤال الأخير ينتعش جل الكتاب حيوية لمناقشته، ولو أن ذلك يتجلى بين السطور وفي الحواشي أكثر من ظاهر النص، وحسب "الكلمة التاريخية historical note" فإنه قد كتب من وسط إلى أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، ويعتبر مناقشة هائلة حول الطرق والأساليب لتحسين حالة مجتمع متدهور بسبب العداء بين مجموعة قوى تجسد فلسفات اجتماع- سياسية مثل

[1] C. Jarvie, "Popper on the Difference between the Natural and the Social Sciences", pp.84,85.
[2] Ibid, p.86.
[3] Ibid, p. 86.

الاشتراكية، الفاشية والديمقراطية الاجتماعية...، أي أنه قد أتي في عمله هذا لتقويض قواعد التاريخانية الباعثة للعقائد والأنظمة الشمولية الاستبدادية، ولتمييز سياستهم الاجتماعية هذه من الفلسفات الاجتماعية الجزئية التدريجية ومناهج الديمقراطية اللبرالية، فكانت أشد حججه قوة في ذلك هو مطالبته مع كانط بضبط أحلامنا وآمالنا باعتبارها المهمة الحسية المتمثلة في تحسين وترقية الظروف لنشر الإنسانية. وهناك حركة مشابهة في نزعته اللامعصومية fallibilism حيث في مؤلفه المنطق البحث العلمي أدت به هذه النزعة إلى تأكيد قيمة اختبار النظريات بالتجريب حتى نضمن أن تأملاتنا – النظرية– لم تفقد كل صلة لها بالواقع، ويبدو أنه يعتقد أيضا أن فقدان التأمل لذلك في العلوم الاجتماعية يستحق توبيخا أكثر، لأجل استعجالية مشكلات العلوم الاجتماعية في حلها، وما يمكن أن يلحق من خراب بالبشرية عندما تكون الأفكار المعلولة هي الأكثر وفرة واستهلاكا، لذلك فإن عملية الاختبار والتطبيق أي التنظير الأهداف عملية واقعية هو معيار يمكنه تقييم وتثمين واختبار أفكارنا وآمالنا. [1]

وكان بوبر قد حلل التاريخانية كمذهب بشكل كلي في جميع اتجاهاته ثم أتى لينتقدها جملة واحدة، ولذلك ذهب الكثير إلى فهم أن بوبر لم يكن موازنا في طرحه بالنسبة لعناصر التاريخانية التي نسبها لكل من مذهبيها المؤيد للمنهج الطبيعي والمعارض، ولذلك فقد حلل الاتجاهين معا من ناحية منهجيته في كتبه، ثم أتى لينتقدهما معا، وفي نهاية التحليل الثاني أدرج عنوانا النتائج هذا التحليل، وبالتالي فقد كان يقصد تحليل التاريخانية ككل، ولذلك يرى البعض أن خطته في الطرح غير متوازنة وأنه يخلط ويقفز في بعض الأحيان من عنصر إلى آخر، ولكن هو لم يكن يقصد الفصل التام بين المؤيد والمعارض في التاريخانية، وإنما التاريخانية ككل بمذاهبها أورد لها تحليلا ثم نقدا، ولو كان يقصد الفصل بينها لكان نقد كل تحليل يتبعه مباشرة، ولا أظن أن بوبر يفوته مثل هذه الأشياء المنهجية وهو أستاذ المناهج والمنطق.

ينتهي بوبر في خلاصة تحليله هذا إلى تأكيد أنه قد عرض وحلل المذهب التاريخاني بشكل مفصل متوخيا الموضوعية في طرحه ليكون نقده في ما بعد كذلك موضوعيا، وقد أكد بوبر على أنه ليس هناك ما يسيء إلى المذهب خلال التحليل، وإنما كان عرضا يهدف إلى كل ما يتعلق بالنزعة العلمية في هذا المذهب، من حيث هو مذهب منهجي في العلوم الاجتماعية يبالغ كثيرا في النزعة العلمية في بعض النواحي، وقد كان هذا هو أهم اعتراض موضوعي لبوبر. [2]

---

[1] Ibid, p.86.

[2] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخاني، مصدر سابق، ص ص 68-71.

إن بوبر هو العدو اللدود للانغلاق والجمود وهو ما يسفر اعتراضاته على الماركسية والتحليل النفسي الفرويدي وعلم النفس الفرد الأدلري فضلا عن انتقاداته اللاذعة للنزعات التوتاليتارية التي شرحها وفصلها في مؤلفه بؤس التاريخانية والتي تعكس في مجملها أنماط الدوغماتية المتصلبة التي هي صورة مفضية إلى الذاتية ومطابقة لها بما جعله يدعو إلى تجاوز مثل هذه النزعات الداعية في عمومها إلى تسكين الأشياء في مؤلفه "المجتمع المفتوح وأعداؤه" لأن بوبر ببساطة هو الصديق الحميم والمتعشق الولهان للانفتاح سر التطور والديناميكية الخلاقة وهو ما يعلل تفضيله للنسبية و تمسكه بها وبغيرها من نظريات العلم الطبيعي التي تحالي وتساير منهجه ومعياره للتميز المتأثر بالداروينية – لما تنطوي عليه مثل هذه النظريات من جرأة وحب مخاطرة باعتبارها تقبل الاختبار ثم تقبل التكذيب وهو ما يعني تواضعها واعترافها باحتمالية الخطأ ومن ثم استعدادها وتهيؤها في أية لحظة لان تغادر الساحة لتتركها لنظريات منافسة تبرهن في لحظة لاحقة أنها الأكفأ الأقدر والأنجح اختبارا وتنبؤ بشكل تتعاقب فيه النظريات على مسرح النشاط والبحث العلمين بما يسمح بتجدد العلم والنتيجة ضمان التقدم والنمو الفعلين وهكذا يكون بوبر قد أسهم بقوة في المشروع الابستيمولوجي للقرن العشرين بما أثرى فلسفة العلم وزاد من حرارة النقاش و عمق دائرة الجدل بما ترتب عن كل هذا ظهور مقاربات وإبداع رؤى جديدة بغض النظر عن اقترابها و ربما تقاطعها حين و لو في بعض مواطنها مع المقاربة البوبرية.[1]

يقوم بوبر في هذا القسم بنقد وجهات النظر التي تخالف آراءه فيما يخص علم التاريخ حيث ينقد تلك التي تدعي أنها قادرة على بناء نظريات تاريخية ذات قيمة علمية وأنها قادرة على معرفة مسار التاريخ فإن حلولها تتجسد في التخطيط الشامل مبادئها ومفاهيمها جاهزة وذات منظور ثابت وجامد وهذا ما يعارضه بوبر ويخالف علم التاريخ الذي عمل على صياغته وجعله قريبا من العلم الطبيعي.

ينقد بوبر هذه النظريات والتي دعاها بالتاريخانية وهي نظريات زائفة لا يمكن تطبيق معيار قابلية التكذيب على مبادئها أو نتائجها وما يؤلفها هو المذهب التاريخي الذي يقوم بوبر بالبرهنة على كذبه وذلك من خلال ما يلي:

- يتأثر التاريخ الإنساني في سيره تأثيرا قويا بنمو المعرفة الإنسانية
- لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية.
- لا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الإنساني.
- لا يمكن أن تقوم نظرية علمية في التطور التاريخي تصلح أن تكون أساسا للتنبؤ التاريخي.

[1] يمنى طريف الخولي ، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق ص 415.

فقد أخطأ المذهب التاريخي في تصوره للغاية الأساسية التي يتوسل إليها بمناهجه وببيان ذلك يتداعى المذهب التاريخي.[1]وقد حاول إبراز ما لهذه المشكلة من أهمية في دراستين في الدراسة المتأخرة منهما وأعنى به المجتمع المفتوح وأعداؤه عمد إلى انتقاء بعض الوقائع من تاريخ المذهب التاريخي للتمثيل على ما لهذا المذهب من تأثير عنيد وخبيث في فلسفة المجتمع والسياسة من هيرقليدس وأفلاطون إلى هيغل وماركس.

ففي الدراسة الأولى "عقم المذهب التاريخي التي تظهر الآن لأول مرة في شكل كتاب حاول إظهار دلالة المذهب التاريخي باعتباره بناءا عقليا يستحوذ على الاهتمام حول تحليل منطقة وكثيرا ما يكون دقيقا قويا خادعا. كما حاول التدليل على أنه يعاني من نقص متأصل فيه ولا سبيل إلى إصلاحه.[2]

يرى بوبر أنه تماما مثل أفلاطون لم يدرك كل من هيغل وماركس أن السؤال في النظرية السياسية لم يكن من يجب أن تحكم ؟ بل كيف يمكن ترويض السلطة الحاكمة بحيث تبقى خاضعة ومستجيبة للنقد العقلاني الذي يساعد على تحقيق التوازن بسهولة لتحسين تقدم الأوضاع السياسية لمجتمع ما، فعلى الرغم من الاختلاف النظري في تفسير تقدم التاريخ إلا أن هناك نقاط مركزية تتشارك فيها أيديولوجيات الأنظمة الشمولية الحديثة وقد طرحت هذه الأقانيم في فلسفة أفلاطون وهي أولا: النظرية التاريخانية ، الحتمية التاريخية فكل من هيغل وماركس آمنوا بوجود حتمية تاريخية – وهي عقيدة تؤمن أنه يوجد سبب موجه لكل الأحداث في الطبيعة والمجتمع البشري وإرادة الإنسان حيث رأى هيغل ذلك بالفكرة المطلقة بينما فسرها ماركس بالمادية التاريخانية، ثانيا: الإيمان بوجود خواص أبدية ثابتة ثالثا بطريقة أو بأخرى أفضى ذلك إلى المجتمع المنغلق ومنع النقد والبحث والعلني المفتوح بهدف الدفاع عن الشيء الجيد رابعا: حكم طبيقية معينة يكون وجودها أعلى من سائر الطبقات من أجل أن تهتم بكل مصالح المجتمع أو الدولة بفضل نوعيتها أو حكمتها المتفوقة على الآخرين فهل حقا كانت القيادات في الدول الاشتراكية و الأحزاب الشيوعية هي الطبقة المؤهلة فكريا وعقليا وأخلاقيا للقيادة حتى تبيح لنفسها الكذب لما فيه مصلحة المجتمع والجماهير.[3]

[1] كارل بوبر ، عقم المذهب التاريخي ، المصدر السابق، ص 6،5

[2] كارل بوبر ، عقم المذهب التاريخي ، المصدر نفسه ، ص 8.

[3] نبيل عودة مراجعة فكرية في ضوء النقد للماركسية 408، 2012.

الفصل الثالث

التاريخ عند كارل بوبر

أولا: علمية التاريخ في ضوء مدرسة النقد التاريخي

ثانيا: معنى التاريخ عند بوبر

ثالثا: معيار التكذيب وعلم التاريخ

رابعا: التاريخ كنموذج للوحدة المنهجية عند بوبر

خامسا: علم التاريخ وعلاقته بالتاريخانية عند بوبر

سادسا: حضور بوبر في الفكر العربي الحديث والمعاصر

أولا: علمية التاريخ في ضوء مدرسة النقد التاريخي:

1- تعريف التاريخ ضبط المفهوم:

التاريخ: histoire مشتقة من اللفظ اليوناني historia [1] والتي تفيد الرؤية، أو النظر أو المعنى، وقد تعنى البحث.

لغة: "مأخوذة من الفعل أرخ يؤرخ تأريخا، تعريف الوقت والتواريخ، مثل: أرخ الكتاب ليوم كذا، وقيل أن التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محظ وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب وقيل أن التاريخ مأخوذ منه كأنه شيء، وقيل التاريخ مأخوذ منه لأنه حديث". [2]

اصطلاحا: التاريخ هو معرفة ماضي الإنسانية ومسار حياتها الراهن وأهم شيء أو المسألة الأساسية التي تطرح بصدد التاريخ فيما إذا كان من شأنه أن يتخذ صفة العلم؟ .[3]

يعرف التاريخ في اللغة كرمز ومفهوم للوقت، تاريخ الشيء وقته وغايته، والتاريخ أيضا علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية[4]، و حسب ... فإنه فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعين، والتوقيت، وموضوعه الإنسان والزمان[5].

وقد يعني أمجاد قوم بالقول فلان تاريخ قومه، وقد يعني سير الرجال البيوغرافيا ومن ذلك تأثير الطبري وابن الأثير والطبري.

وفي اللغة اليونانية معناه التعلم و المشاهدة بمعنى كل ما يتعلق بالإنسان منذ أن يبدأ بترك أثاره على الأرض[6]. هذه جملة من التعريفات العامة المتفق عليها حو مفهوم التاريخ.

وإذا كان مفهوم التاريخ على العموم يتعلق بكل ما هو ماضي وتراث الإنسان، فإن النقد التاريخي هو دراسة هذا الإرث، دراسة علمية من خلال أعمال ملكة العقل النقدية[7]العمليات الذهنية كالتحليل والتركيب والاستنتاج والاستقصاء، والتحقيق...الخ، حيث تصبح وظيفة المؤرخ أثناء الدراسات التاريخية مساءلة

---

[1]. dictionnaire encyclopédique, la rousse, édition française in, licencié d'auteur et usage des manques pour le canda, 1980, p372 4

[2] ابن منظور، المرجع السابق ، ص 75

[3] ديديه جوليا : قاموس الفلسفة، تر فرانسوا أيوب وآخرون، مكتبة أنطوان، بيروت، ط1، 1992، ص 115 .

[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج3، د.ط، دار الكتاب، بيروت، 1982. ص، ص 227، 228.

[5] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط5، (دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007)، ص 153.

[6] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 153-154.

[7] اندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ج1، ص.ص 237-238.

واستنطاق الشواهد والأدلة التاريخية، من أجل التأكد من الواقعة التاريخية، وإثبات مصداقية تلك الأدلة ومشروعيتها لأن الماضي جزء هام جدا من سلسلة الحياة البشرية مهما تجزأت هذه الأحداث، ولا تكون مائلة أمامنا إلا بالنقد التاريخي الصارم وحسب "هيغل" فإن: "....الدراسة النقدية تبحث وتستنبط حقيقة الوقائع التاريخية، وكذلك اكتشاف الجانب العقلي فيها، كما تهدف أيضا إلى التفرقة بين ما هو كائن، وبين ما ينبغي أن يكون، أو في احتماله أو إمكانة أن يكون ولم يكن"[1].

إذن إن النقد التاريخي يأتي من تطور الوعي التاريخي الذي بفضله أدرك الباحثون أن الوظيفة التاريخية للعقل هي وظيفة نقدية[2] تخضع لجميع التقاليد للفحص الدقيق عبر منهجية علمية واضحة.

نصل من هذا إلى أنه هناك ضرورة ملحة تفرض نفسها على الباحث كمبدأ أنه ليس هناك معرفة تاريخية مقبولة إلا بعد بحث وتمحيص[3].

إن النقد التاريخي أسلوب ومنهج معروف منذ القدم مثل محاولات "هكتابوس Hectapus " الملطي اليوناني في نقد الروايات التاريخية 6.ق.م وغيره من جاء بعده لكن محاولاتهم ظلت دون طلب عملية هذه القراءات[4].

وتأتي الحضارة الإسلامية كعامل أساسي لظهور النقد التاريخي وفق خطوات وقواعد منهجية، قامت أساسا على الاعتناء بالسيرة النبوية والأحاديث المنقولة عن النبي ص، واحترام أهمية مصداقية هذه الروايات.

لكن الحضور الفعلي كان مع "عبد الرحمن ابن خلدون"، حيث كانت رؤيته للتاريخ والنقد التاريخي أوسع وأهم من سابقيه وترك أثرا كبيرا في هذه المسألة، لذلك يعتبر أهم نموذج ومصدر يمثل النقد التاريخي، وعلى هذا الأساس سنتطرق إلى الفكر التقدي التاريخي لديه في المبحث الآتي بغية رصد واحد من أهم جذور النقد التاريخي العلمي.

المفاهيم العلمية من حيث تطورها عبر التاريخ وهي جزء جوهري من المنهج الدياليكتيكية[5] وأيضا يطلق هذا اللفظ على المذهب القائل أن اللغة والحق والأخلاق ناشئة عن إبداع جماعي لا شعوري، ولا إرادي وإن

---

[1] رشيد قوقام، فلسفة التاريخ عند هيغل، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2014، ص، ص 112-113.

[2] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص، ص 154-155.

[3] إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، د.ط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1983، ص 180.

[4] أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص ، ص 05-06.

[5] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 155.

هـذه الأمـور قـد بلغـت الآن نهايتهـا، وإنـك لا تسـتطيع أن تبـدل نتائجهـا ولا أن تفهمهـا علـى حقيقتهـا إلا بدراسة تاريخها ".[1]

لـذا نسـتخلص مـن كـل التعريفـات أن هـذا المصـطلح يشـترط حضـور الدراسـة التاريخيـة لفهـم ومعرفـة القـوانين الـتي تخضـع لهـا المجتمعـات والمراحـل الـتي علـى أساسـها تتطـور، فـلا يمكـن الحكـم أو فهـم أي فكـرة في مجتمع ما إلا بالرجوع إلى الوسط التاريخي الذي ظهرت فيه، ويعرفها ألفرد سترن Alfred stren"[2] بأنها تلك التي تكون فيها الحقيقة والقيمة حصيلة الزمن ،والتاريخ، وعن عبد الله العروي يقول : "هي كل فلسفة كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ هو وحده العامل المؤثر في أحوال البشر بمعنى أنه وحده سبب وغاية الحوادث" [3].

إذا كان العلم عند بوبر بوصفه مجموعة النظريات Théories هو مجال المعرفة الحقة، لا نسأل عن صدقها بل نسأل عن معيار تكذيبها أو رفضها الذي يمنحها صفة العلمية، فما هو مفهوم أو معنى التاريخ عنده؟.

2- نظرية التطور التاريخي:

يرى بوبر أن ما قدمه من اعتبارات هي ما أدى به إلى اختيار اسم التاريخانية historicism لهذا المذهب، وبأنه يقوم على فكرة أن التاريخ هو أساس علم الاجتماع، وليس التاريخ بمفهومه التقليدي الذي هو مجرد سجل للوقائع التاريخية الماضية، بل إنه تاريخ يجمع ماضي الأحداث ويتنبأ بالمستقبل، فهو دراسة القوى المؤثرة والأكثر من ذلك دراسة قوانين التطور الاجتماعية، وعليه فيمكن وصفه بالنظرية التاريخية أو التاريخ النظري بما أن القوانين الاجتماعية الكلية الصالحة أو الصحيحة بهذا الاعتبار هي قوانين تاريخية، وبذلك فعالم الاجتماع بحسب التاريخاني يجب أن يحاول الوقوف على الاتجاهات الكلية التي تتغير على أساسها البنية الاجتماعية، وفهم أسباب هذه العملية وكيفية عمل القوى المسؤولة على هذا التغير، كما يجب أن يحاول صياغة فرضيات لهذه الاتجاهات العامة التي تؤطر التطور الاجتماعي، كي يتمكن الإنسان من تعديل أوضاعه لمواجهة التغيرات الوشيكة، التي مصدرها النبوؤات القائمة على هذه القوانين. [4]

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، المرجع السابق، ص، ص 229-230.

[2] خديجة زنتيلي، بندتو كروتشه، المرجع السابق، ص 60 نقلا عن: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، ج2، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997، ص 349.

[3] خديجة زنتيلي، بندتو كروتشه، المرجع نفسه، ص 60

[4] Karl Popper, The Poverty of Historicism, p.45.

ثم ليوضح بوبر تصور التاريخانية المؤيدة لمنهج العلوم الاجتماعية وعلى الأرجح هو يقصد المذهب التاريخاني عموما، لأنه لا يصرح بشكل واصح أي نوع هو يحلل حججه ويكتب "التاريخانية" دون اي توجه لاحق- لعلم الاجتماع رسم تمييزا بين نوعين من التكهن أو التنبؤ؛ فبمعارضة منهج التاريخاني يمكننا تصور منهج يهدف إلى علم اجتماع تكنولوجي، تقني عملي، ومثل هذه المنهجية ستؤدي إلى دراسة القوانين العامة للحياة الاجتماعية بهدف إيجاد كل تلك الحقائق الضرورية كأساس لأي عمل يسعى لإصلاح المؤسسات الاجتماعية، وليس هناك أي شك في وجود تلك الحقائق فنحن ندرك أن عدة نماذج طوباوية غير صالحة للممارسة ببساطة لأنها لا تعتبر هذه الحقائق كافية، أما منهجنا التكنولوجي فهو يزود بطرق لتفادي تلك البناءات الخيالية التي لا يمكن تحقيقها واقعيا، وستخدمه التجربة التاريخية كمجرد مصدر للمعلومة فقط، ولكن هو بدل أن يحاول إيجاد قوانين للتطور الاجتماعي فإنه يسعى إلى قوانين تفرض حدودا لبناء المؤسسات – والكيانات الاجتماعية- .[1]

يطرح بوبر بعدها افتراضات نقدية على لسان التاريخاني الذي يرفض الهندسة والتكنولوجيا الاجتماعية والتخطيط العقلاني، ويشكك في إمكانيتها ونفعيتها، أي أنه بفرض أن هذا المهندس الاجتماعي قد صمم تخطيطا لبناء اجتماعي جديد، مدعما بتصور سوسيولوجي معين، من المفترض أن يكون عمليا وواقعيا بالمعنى الذي لا يتعارض مع المعلوم من وقائع وقوانين الحياة الاجتماعية، ومع هذا فإن التاريخاني يقول أن هذا لا يستحق الأخذ بالجدية التامة، فسيظل حلما طوباويا، لأنه لم يأخذ بعين الاعتبار قوانين التطور التاريخي، فالثورات العلمية لا تحدث بالمخططات العقلانية، ولكن بالقوى الاجتماعية مثل تضارب الاهتمامات والمصالح، والتاريخ يظهر أن الحقيقة الاجتماعية مختلفة عن ذلك، فمسار التطور التاريخي لم يكن أبدا مشكلا بتركيبات وبناءات نظرية، ومهما كانت ممتازة فهي قد تمارس تأثيرا ما مع غيرها من العوامل والفواعل الأقل أو حتى لا عقلانية. كما أن النتائج الواقعية ستكون دوما مختلفة عن البناء العقلاني، وهو في الحقيقة نتاج مجموعة القوى المتنافسة، ومهما كانت الهندسة الاجتماعية تفتخر بطابعها العلمي الواقعي فهي مجرد حلم طوباوي في نظر التاريخاني.[2]

ثم يستمر بوبر في الفقرات الموالية تحت نفس العنوان النظرية التطور التاريخية" بسرد مزاعم التاريخانية- في رأيه- التي ينتقد بها الهندسة الاجتماعية والتخطيط العقلاني، بأنها لا تأخذ في الحسبان أيضا موضوع الجدة في

[1] Karl Popper, The Poverty of Historicism, p.46.
[2] Karl Popper, The Poverty of Historicism, pp.46,47.

التغير الاجتماعية، ولا تعتمد القوانين التاريخية للتغير الاجتماعي في بنائها النظري، وبالتالي فإن كان ذلك ذو فائدة فإنه يساعدنا فقط على كشف القوى الاجتماعية المحركة خلال الفترات التاريخية المختلفة . [1]

3– العلوم النظرية والعلوم التاريخية :

يدافع بوبر بشكل مباشر وصريح عن الرأي القائل أن التاريخ ليس علما نظريا يسعى إلى القوانين الكلية وإنما هو معني بالحوادث الجزئية العينية التي هي ما يحدد طبيعة عمله في البحث فنحن عندما نلاحظ هؤلاء الذين يزعمون الاهتمام بالقضايا العامة أو القوانين نجد أنهم خلال البحث يسلمون بالكثير من الفروض أو النماذج على أنها قوانين ثم يسعون إلى اكتشاف القضايا الخاصة وتأويلها وهو كذلك فنحن إذا لم نتخذ موقفا نقديا تجاه النظريات أو الفروض، فسنحصل في تأييدنا لها دوما على ما نريد وسنصرف النظر على كل ما يهدد النظريات التي نفضلها فلا تقع عليه أبصارنا ويسهل الظفر ببينات هائلة على صدقها لاسيما عندما يفعل التأويل فعله. [2]

أي أن بوبر يؤكد هنا على أن الهدف من المشاهدات هو مجرد خطوة شخصية للحصول على الفروض لا أكثر وليس الهدف هو الاستقراء والتعميم على أساس قانون كلي أي أن التمعن ملاحظة في الحوادث التاريخية هو خطوة تفضي بنا إلى ما يمكن أن نتخذه كفرض لتكذيبه بالحوادث الجزئية تماما مثل أن نحصل على فروضنا عن طريق الحدس أو عن طريق مشكلة ا نا فنفترض تفسيرات لها إلا أن هذا لا يهم العلم وما يهم هو كيف يتم تنقيح هذه الفروض التفسيرية أو التأويلات واستبعاد الخطأ فيها وبالتالي فهذا المنهج التفسيري الاستنباطي يمكن انته على كل العلوم التاريخية كعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة. [3]

وللتوضيح أكثر يمكننا ملاحظة كيف أن المؤرخ السياسي عندما يأتي لتحليل حادث في التاريخ يفترض نظرية ولتكن مثلا النظرية الاجتماعية في السلطة فإنه يستخدم هذه النظرية ذاتها في أغلب الأحيان دون شعور لتفسير الحوادث الجزئية في حين أن الكيميائي وهو الأكثر عملية لا ينطلق في تحليله لأي مركب جديد بافتراض أي قانون كلي وإنما بإعمال الفكر والملاحظة ثم الفروض الشخصية حسب المعطيات القبلية والتي هي تاريخ لذلك العلم وبعدها يشرع في التجريب بمراعاة التناسق المنطقي في ذلك السياق العلمي فهو عكس

---

[1] Ibid, pp.48,49.

[2] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 172،173.

[3] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، المصدر نفسه، ص 163،164.

التاريخي تماما حتى وإن كان الأحرى أن يكون هذا هو منهج التحليل الجزئي والاستنباط في التاريخ أكثر منه في أي علم آخر. [1]

يرى بوبر أن علم التاريخ يتميز بالاهتمام بالوقائع الجزئية المفردة المعينة لا بالقوانين والقضايا العامة إنما ذاك من شأن علم الاجتماع والنظرية الاقتصادية والنظرية السياسية أما التاريخ فهو يمثل دراسة الحوادث التاريخية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية كما هي مفردة في الواقع وتقديم نفس العلوم النظرية السيارة بتقديم تفسيرات علية مباشرة لا تقديم قوانين تحكمها أو حتى تفسرها وإلا لما كانت العلوم النظرية السابقة الذكر والتي تملك الخصوصية في مهمة اكتشاف القوانين الكلية واختبارها بتقديم تفسيرات علية أما في التاريخ فالتفسير العلي للسؤال عن كيف ولماذا هو الغاية النهائية. [2]

أما ذلك التوجه التطوري والتاريخاني لكثير من فلاسفة التاريخ و علماء الاجتماع والمؤرخين الذي يهدف إلى جعل التاريخ علما نظريا يبحث في القوانين الكلية وفي أصول الأشياء ليتنبأ بمستقبلها و يتجاوز تفسير الأحداث الواقعية الجزئية كما هي[3] فهذا تحوير لموضوع التاريخ وخصوصيته وطبيعة الدراسة فيه وهو في غير موضعه كما يعد ذلك بوبر من خلال تحليله في مقدمة الكتاب بالإثبات منطقيا على استحالة التنبؤ بالتاريخ البشري على أساس قوانين كلية.

فنحن إذا كنا معنيين بتفسير الحوادث الجزئية الفردية النموذجية تفسيرا عليا – تاريخيا – فيمكن تطبيق المنهج الاستنباطي لأن هناك ما يستدعي الوصف كالحوادث العرضية التي لا تتصل فيما بينها اتصالا عليا فتكون مهمة التاريخ هي الكشف عن خيوط الاتصال العلي ووصف الطريقة التي تشابكت بها هذه الخيوط. [4]

4– التأويل التاريخي:

يرى بوبر أن التاريخانية في إطار نقدها الطريقة كتابة التاريخ التقليدية على أنه تاريخ البطولات الفردية والقادة وحدهم ومحاولة لتقديم البديل كان ذلك البديل عقيما أيضا وقد ذكر بوبر محاولة تولستوي نقد ما سماه التاريخ المكتوب على أساس مبدأ القيادة حيث تم تجاهل الأحداث والأفراد والجهود والقرارات المصيرية في التاريخ التي كانت حاسمة في التاريخ وإرجاع كل التاريخ القائد ومثال بطولى واحد لاسيما عندما يتعلق الأمر

---

[1] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 172،173.

[2] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، نفس المصدر، ص 172-175.

[3] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، نفس المصدر، ص 174.

[4] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، نفس المصدر، ص 176.

بتأويل التاريخ السياسي مثل نابليون وغيره من البطوليين ويرى بوبر أن تولستوي قد نجح في تبيان المساهمة الجزئية لهؤلاء القادة بأنها لا تعدى إلى أن تكون كل ما تحرك في التاريخ بل هو مجرد تأويل التاريخ السياسي. [1]

وعلى هذا فالتاريخانيون لا يريدون النوع من التأويل المجحف في حق من كان لهم الدور الفعلي في كتابة التاريخ واختزال هذا الأخير في البطولات الخيالية وبالتالي هم يعتقدون بوجود بديل جعله هؤلاء ملخصا في روح العصر أو روح الأمة أو غيرها من التأويلات وهنا لا يتعاطف بوبر البتة مع هذه الأرواح ولا تلك النماذج المثالية للبطولات السياسية ولا التمثلات المادية الجدلية. [2]

وفي المقابل يرى بوبر أن التاريخ في طبيعته لمعالجة موضوعه أي الوقائع التاريخية لابد أن يستند إلى وجهة نظر، لأنه لا جدوى من تعقب العلل والأسباب في الماضي البعيد لأن وراء كل معلول عددا هائلا من العلل الجزئية المختلفة وبالتالي فاختيارنا لوجهة نظر معينة بطريقة انتقائية بعد أن نتصورها بمثابة فرض ثم تختبر كل البينات المتصلة بشكل موضوعي دقيق لكن هذه البينات مهما بلغ عددها فلا يمكن أن تثبت وجهات النظر هذه وبالتالي فإذا كان يستحيل التعبير عنها في صورة فرض قابل للاختبار فنحن نطلق عليها عبارة "التأويل التاريخي"[3].

لكن التاريخانيين يفهمون هذه التأويلات على أنها نظريات وهذه من الأخطاء الكبرى فيمكن مثلا تأويل التاريخ على أنه صراع الطبقات أو صراع الأجناس من أجل السيادة أو تاريخ صراع الأفكار الدينية أو تاريخ صراع المجتمع المتفتح ضد المنغلق أو تاريخ التطور العلمي والصناعي فكل هذه من حيث هي تأويلات تزيد وتنقص من ناحية الأهمية ولا اعتراض عليها لكن التاريخانيين يرون أنها نظريات فكل يقرر أن التاريخ الكلي يسير وفق وجهة نظره التأويلية ورأوا في الوقائع والأحداث تأييدا وبرهانا على صدقها لاسيما صياغتها اللغوية كانت بالأصل على طريقة القانون الكلى ولا يرون في كثرتها دليلا على قصورها المنهجي والمنطقي ونزوعها إلى الذاتية والأحكام المسبقة بدل الموضوعية، وإنما هي ضرورة ابستيمولوجية تقتضي خصوبة وجهة نظر دون الأخرى ولكنها تبقى مجرد تأويلات تبتعد وتقترب عن وصف الواقع بموضوعية. [4]

---

[1] Karl Popper, The Poverty of Historicism, p.148.

[2] Ibid, p. 149.

[3] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مصدر سابق ص 180.

[4] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، المصدر نفسه، ص 181.

5– النظرية النظمية* في التقدم The Institutional Theory of progress:

يؤكد بوبر على أن نظريته في العلوم الاجتماعية بعيدة كل البعد عن قوانين علم النفس أو ما يشير إليه كل من ميل وكونت بقوانين الطبيعة البشرية ويرجعان قوانينهما في التقدم إلى نزعة الأفراد إلى الكمال أكثر فأكثر، ويتبعه في ذلك ميل برد قانونه التقدمي law of progress إلى ما سماه بتقدمية العقل البشري progressiveness of the human mind الذي تحركه الرغبة في زيادة الرخاء المادي كأول قوة دافعة وحسب كل من كونت وميل فإن الطابع المطلق غير المشروط لهذه الاتجاهات يمكننا من استنباط المراحل الأولى للتاريخ دون الحاجة إلى الشروط الابتدائية ولا الملاحظة ولا المعطيات . [1]

إن هذا الاستنباط العكسي يقوم على أساس واحد هو الأساس السيكولوجي ويجعل منه المحرك الجوهري في التغير التاريخي وبالتالي الاجتماعي ولذلك يقول بوبر أن " المنهج الذي يفسر كل ما قد يحدث لا يفسر أي شيء"[2] أي أنه بحسب طرح ميل فإن كل الأحداث من قيام الحضارات وسقوطها مرده إلى القوانين الطبيعة البشرية الملخصة في علم النفس.

يتساءل بوبر عن ما يجب توفره من شروط لتحقيق التقدم العلمي، ويرى أن العامل السيكولوجي لا يشكل أية أساس في هذه الناحية بل هي نظرة تحمل نوعا من السذاجة، وخلال طرحه لهذه النظرية النظمية يقصد تضافر جميع المؤسسات الاجتماعية التي تؤدي وتشكل فاعلا في التقدم وخاصة العلمي منه وتكون هذه النظمية institutional تحليل تلك الشروط الضرورية للتقدم ومثل هذه المؤسسات الاجتماعية الفاعلة في التقدم العلمي في اللغة، الكتابة، والمنظمات من هياكل مادية وأخرى معنوية، ويرى بذلك بوبر أن التقدم العلمي ليس نتاجا لجهود معزولة ولكن هو التنافس الحر للفكر، أي تنافس الفروض نحو الاختبارات الحاسمة والذي تمثيلا شخصيا في الوسط الاجتماعي، ومنه فلذلك يجب أن تنظم هذه المؤسسات وتحمى بالقانون لنضمن سير التقدم وعمل تلك العوامل السابقة الذكر مثل أن التقدم يتأثر كثيرا بالمؤسسات السياسية لاسيما وأنها تحفظ حرية الفكر كما يتأثر بالديمقراطية كمؤسسة سياسية. [3]

---

* – النظمية: هي ترجمة لمصطلح Institutional. ويقصد به هنا المؤسسة الاجتماعية. وكانت هذه ترجمة محمد صبره خلال ترجمته لكتاب بوبر "عقم المذهب التاريخاني"، ص181.

[1] Karl Popper, The Poverty of Historicism, pp.152.153.
[2] Ibid, p.154
[3] Ibid, pp.154,155.

بل إن محاولة كونت وميل رد العلوم الاجتماعية إلى علم النفس تحكم على نفسها بالفشل مبدئيا لأن العامل الإنساني هو الأكثر تمردا على أي قانون والأكثر لزوجة وإبداعية في الحياة الاجتماعية عالم مليء بالمفاجآت يغير سلوكه في أي لحظة تحت أي ظرف لا يمكن توقعه ولا التنبؤ به وبالتالي فأية قوانين يمكن أن نرد إليها علم الاجتماع ككل؟

يرى بوبر أن هؤلاء وغيرهم من التاريخانيين الذين يؤمنون بقوانين في الطبيعة البشرية أو قوانين تاريخية لا مفر منها إنما يعطلون تقدم الإنسان الفعلي بتعطيل المؤسسات الاجتماعية التي تؤمن بالتقدم العلمي وحرية تنافس الفكر التي يقوم عليها العلم والموضوعية فإذا أردنا أن ينمو العقل ونحفظ العقلانية الإنسانية فلا يجب التدخل في تنوع الآراء والفكر إلا بالمعايير العلمية والنقد والحجة و يبدو أن بوبر بهذا الطرح مخلصا لمبرهنته التي طرحها في مقدمة كتابه عقم المذهب التاريخاني حول إمكانية وجود أي نوع من القوانين التطورية– التاريخية التي تمكن من التنبؤ بمسار التاريخ حيث برهن على ذلك بأن مسار التاريخ مرتبط مباشرة بتقدم معارفنا وبما أنه يمكن التنبؤ بما يمكن أن نعرف غدا فلا يمكن أن تتنبأ بمسار التاريخ في المستقبل، وبالتالي فهو هنا يرى أن أي محاولة للتحكم في التقدم أو التطور على أساس نزعة تطورية فهو ضرب من العملية الانتحارية كونه يتدخل في عملية التقدم العلمي التي تسير وفق انتخاب لا يحكمه قانون. [1]

ثانيا: معنى التاريخ عند بوبر:

يتحدد مفهوم التاريخ عند بوبر، في الكيفية التي خولها للمؤرخ وهي إتباع طريقة علمية méthode scientifique أثناء تفسيره لفترة تاريخية معينة طريقة يمكن من خلالها تمييز صدق الفروض التاريخية hypotheses historiques وتكذيبها دون التأثر بالمعاني السائدة بين الناس التاريخ والمتضمنة في الكتب والمقررات المدرسية يقول: "معنى التاريخ الذي يتحدث عنه معظم الناس لا وجود له إطلاقا، وهذا يشكل واحدا من الأسباب على الأقل التي تدفعني للقول بأن التاريخ لا معنى له"[2] ، أي لا معنى لذلك التاريخ، الذي ينشر مضمونه بين الناس، مكتفيا بنقل الوقائع والمعارك وقصص الثورات، فهذا تزوير للتاريخ وتشويه للماضي.

ما يعزز هذا الرأي هو التقارب المنهجي بين التاريخ والعلم الطبيعي عندما ينطلق المؤرخ من فرض نظري متعلق بمشكلة تاريخية يمكن اختبار هذا الفرض إما أن يكون صادقا vrai أو كاذبا faux فيستبعد لوجود وجهة نظرا أفضل منه يقول: الشروط الأولية المفترضة غالبا ما يمكن اختبارها بصدق ومن ثمر مقارنتها بالنظريات العلمية[3] théorie scientifique".

---

[1] Ibid, p.159.

[2] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، تر: بهاء درويش منشأ المعارف الإسكندرية، د.ط، 1994، ص 192.

[3] Karl Popper, The Poverty of Historicism, p.45.

يجب التنويه أولا إلى مجموعة الأفكار والرؤى المتعلقة بالتاريخ المستخلصة من أعمال بوبر لا تمثل فلسفة في التاريخ، وإنما هي عبارة عن تصورات واقتراحات، ناتجة من الخطة الابستيمية التي وجهها بوبر ركائز التاريخانية والرفض الذي أعلنه لكل ما هو مغلق ودعواه نحو فترة التفتح في المجتمع، ولم يكتب بوبر بكونه ابستيمولوجي فقط، بل سعى لنقل اهتماماته بمشكلات العلم إلى مجالات مشكلات المجتمع والسياسة فقاده اهتمامه بمشكلة تطور ونمو المعرفة العلمية إلى نوع من النقد المزدوج للابستيمولوجيا التقليدية لمناهج العلوم الاجتماعية والسياسية، وانتهى إلى أنه لا يمكننا أن نصل إلى تقدم العلم ولا المؤسسات الاجتماعية ضمن الأنساق المغلقة التي تتبنى نموذجا فيزيقيا ميكانيكيا استقرائيا مغلقا، والاعتقاد بصحة هذا المنهج في العلوم ليس سوى ضربا من الأساطير[1]، وفي هذا يقول بوبر: "أولا وقبل كل شيء، حين نقول أننا بدأنا من مشكلة ننتهي إلى مشكلة أخرى، فإننا نعني درسا بالغ الأهمية: درسا مفاده أنه كلما تنمو معارفنا ندرك أكثر ضآلة ما نعرفه الصدق هذا الدرس السقراطي في العلوم الطبيعية مثلما يصدق في التاريخ: أن نظفر بالتعليم هو أن ... ... على كثافة جهلنا"[2]، وبسلاح النقد فقط نستمر في الكشف عن أخطائنا التي لا تنتهي.

وانطلاقا من هذا نجده يدعوا إلى تطبيق وحدة في المنهج بين العلوم كلها، دعوة نحو الخروج من دائرة الانغلاق إلى مواكبة الصيرورة والتطور، عبر التنفيذ والدحض، المحاولة والخطأ، منهجه هذا الذي اعتبره مفتاحا للمنهج العلمي، ويعبر عنه بالصياغة التالية

م1 ← ن د ← ف ف ← م2

ويشرح بوبر هذه الصيغة كالتالي: "هب أننا بدأنا من مشكلة ما م1، وقد تكون مشكلة عملية أو شكله نظرية أو مشكلة تاريخية، ثم نعمل على صياغة حل مبدئي المشكلة: حل حدسي افتراضي أو فرضي – نظرية مبدئية ف د– حينئذ تخضع المناقشات نقدية، ف ف، في ضوء البنية إن كانت متاحة أو كنتيجة لهذا تنشأ مشكلات جديدة "م2"[3].

هذا هو الأساس الذي يبني عليه بوبر المعرفة لكن ما الذي يجعله قادرا على تطبيقه في العلوم التاريخية؟

ينطلق بوبر من فترة تشابه التاريخ مع العلوم الطبيعية في مسألة وجود وجهة النظر الشخصية لدى الباحث والمؤرخ والعالم، تمثل مجموعة الاهتمامات وانشغالات الباحث وأفكاره المسبقة وهي التي توجه نحو

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار، تر: يمنى طريف الخولي، د.ط، عالم المعرفة، الكويت، 2003، ص 173.

[2] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر نفسه، ص 174.

[3] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر نفسه، ص 173.

اختيار الوقائع التي تخص نظريته، وفي هذا "تذهب إحدى مدارس النظرية العلمية إلى أن، العلم يتحرك دائما في دائرة وأننا لا نفعل دائما أكثر من هز أذيالنا"[1].

لكن "بوبر" يتجاوز هذا بفترة أنه لا يمكن أن نختار من الوقائع ما يؤيد النظرية فقط أو يكررها.

إذن فتوجهاتنا العلمية والدراسات تقوم أساسا على مسألتي الاختيار النابعة من وجهة النظر، تدفعنا نحو البحث عن الفروض للاقتراب من الصدق مع العلم أنه لا يوجد فرض يحتمل صدقا نهائيا، المعرفة نسبية ويوجد عدد لا نهائي من الكلمات في هذا الملأ اللانهائي[2].

هذه العلمية في الوصف العلمي تصدق بصفة خاصة على الوصف التاريخي بنسيجه اللانهائي كما يقول "شوبنهاور".

لكن مع هذا هناك تعقيد أكثر في التاريخ من ناحية الدور الذي تلعبه "وجدة النظر"، ففي العلوم الطبيعية يكون البحث عن الفروض أكثر بساطة بسبب وجود ارتباط بين النظريات و وحدة علمية تساعد على التنبؤ بمعنى أن التغيرات في القضايا العلمية تستند إلى القضايا العامة التنبؤات زائد الأمور الهامشية — الملاحظات المعطاة من الحادثة أو الواقعة المدروسة–[3].

ففي العلوم النظرية أو العلوم المهمة الفيزياء، الكيمياء، علم الاجتماع، تهتم بالقوانين أو الفروض العامة، نتأكد من صدفها باستخدام منهج استبعاد الفروض الخاطئة ومنه اهتمامنا بالحوادث الخاصة كالتجارب التي يتم وصفها عن طريق التنبؤ يكون كوسيلة من اختبار القوانين العامة وجود الوحدة المعرفية[4].

لكن الأمر يختلف في العلوم التاريخية، لأن التاريخ يتميز عن باقي العلوم بدراسة الحوادث الخاصة وتفسيراتها العلمية[5].

لذا نجد أن القوانين التاريخية – التي يستخدما التفسير التاريخي– لا تزودنا بوجهة نظر للتاريخ، ولكن بمعنى صيف جدا يمكن أن يكون هناك وجهة نظرا فقط إذا قصرنا فهمنا للتاريخ علما انه تاريخ "شيء ما" قبل تاريخ سياسة القوة، تاريخ العلاقات الاقتصادية....الخ[6].

---

[1] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، مصدر سابق، ص 182-183-184.

[2] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر نفسه، ص 185.

[3] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر نفسه، ص 187.

[4] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر نفسه، ص ، ص 187-188.

[5] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر نفسه، ص 188.

[6] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر نفسه، ص 189.

هذا يبرر لنا الاختلاف بين النظريات العلمية و النظريات التاريخية —اشتباه النظريات– التام لأن الوقائع في التاريخ غالبا ما تكون محددة جدا لا تسمح بتكرارها، كما تم جمعها وفقا لوجهة نظر محددة من قبل، تابعة لمصادر تاريخية لواقعة معينة تتفق مع نظرية محددة من قبل لذا يصعب إيجاد أو اختبار هذه النظرية أو غيرها، يطلق عليها "التفسيرات التاريخية" أو "مفاهيم التاريخ"[1].

وهذه المفاهيم تعدد في غاية الأهمية لأنها تعدنا بوجهة نظرا لكن لا تستطيع أن نبرهن على صدق "مفهوم التاريخ" أو التحقق من صدقه بسبب وجود "الدور" وغالبا ما يجد المؤرخ مفهوما للتاريخ يتفق مع الوقائع بنفس الجودة التي يتفق معها مفهومه الخاص – ومعناه استبعادنا عن تغيرات المصادر و الدراسات التوضيحية– التي ينتج عنها رؤية واحدية وتغيرات واحدية لتاريخ نضعه في دائرة الانغلاق.

هذه الفترة توضح أول شرط يضعه بوبر لكتابة التاريخ هو إعادة الاعتبار لخصوصية كل جيل، من جهة مشاكله وصعوباته الخاصة وضرورة إعطاءه الحق في تأطير تفاسيره[2]، يقول بوبر: "هذه الفترة على درجة عالية من الأهمية ذلك أنه ما دام لكل جيل صعوباته ومشاكله الخاصة به ومن ثم اهتماماته الخاصة له ووجهة نظره التاريخية الخاصة فإنه ينتج عن ذلك أن لكل جيل الحق في تأمل التاريخ بطريقته الخاصة وأن يعطيه تفسيرا جديدا مكملا لتفسير الأجيال السابقة، ومن ثم فنحن ندرس التاريخ لأنه يشكل أهمية لنا ولأننا نريد أن نتعلم منه شيئا لمشاكلنا الخاصة"[3].

إذن نصل إلى أن اعتبار التاريخ علم نظري مرفوض لدى بوبر وكل القوانين المطروحة سابقا من قبل التاريخانيين ما هي إلا مجموعة تأويلات، هذه التي يفترض أنها تخدم كل مرحلة بخصوصيتها فلكل جيل تأويلاته الخاصة به، يقول بوبر: "لا يوجد قانون يخدم التاريخ إن المؤرخ يمكن فقط أن يعطي وجهة نظر لدى دراسته للتاريخ [...] حيث لا توجد نظريات متوحدة فالقوانين التي نستعملها ليس لها طابع مواضيع مشتركة إذن فالقدرة على تنظيم المادة التاريخية موضوع الدراسة معدوم"[4].

---

[1] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر السابق، ص ، ص 190-191.

[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ج2، مصدر سابق، ص 383.

[3] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، مصدر سابق، ص 194.

[4] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، مصدر سابق، ص 359.

وإخراج التاريخ من دائرة العلوم النظرية عند بوبر لا يعني أبدا إلغاءا لأهمية أخطاء السابقين لنخضع الحاضر كدراسة نقدية لتلك الأخطاء والتأمل في مستقبل أحسن وأكثر إصلاحا وهذا يكون فقط بالمساءلة العقلانية* ، وليس بالنضرة الحقية القائمة على التصورات التاريخانية.

وعلى هذا يكون جواب بوبر عن معنى التاريخ هو: "... لا وجود "لتاريخ" بالمعنى الذي يتحدث عنه معظم الناس". و يقصد به بوبر التاريخ الذي تعلمناه في المدارس باسم تاريخ العالم أو تاريخ البشرية والذي يصب كله في تاريخ القوى السياسية[2].

يقول بوبر: "أن نتحدث عن تاريخ البشرية يعني أن نتحدث عن تاريخ المصريين والبابليين وأهل بروسيا والإمبراطورية الرومانية وتاريخ المقدونيين وهكذا فصل إلى العصر الحاضر لا وجود في الحقيقة التاريخ البشرية، هناك عدد غير محدود من التواريخ تمس كلها جميعها جوانب ممكنة من الحياة الإنسانية"[3].

وإذا كان التاريخ العام الذي تعلمناه هو تاريخ القوة السياسية لماذا حدث اختيار السلطة ولم يختر تاريخ الدين أو الشعر؟ سؤال طرحه بوبر ويجيب عنه انطلاقا من أن الإنسان بطبعه يقدس السلطة وهي وليدة الخوف، لهذه السلطة السياسية جوهر التاريخ لأنهم يقومون بتقديس رغبات الأباطرة والجنرالات والطغاة، زيّف التاريخ بسببهم من قبل المؤرخين، كنشر أفكار في المجتمع خدمة لأغراض ومصالح سياسية إضافة إلى هذا يحلل فكرة ظهور الله في التاريخ وإن الله يكشف عن نفسه في التاريخ ... هذه الفكرة كل المآسي والحروب التي حدثت وهذا كفر صريح بالنسبة لبوبر[4].

بالتالي ما استنبطه بوبر من المسيحية هو أن كل تفسير لاهوتي للتاريخ يجسد النجاح هو تجليا لإرادة الله، لكن هذا هو خط الدفاع الأخطر لأن هنا يكشف عن الناجح الدنيوي هو لصالح الكنيسة، وهذا يعبر عن عدم الإيمان فالمسيحيون الأوائل لم يكن لديهم حماس دنيوي من هذا النوع فهم كانوا يؤمنون أن الضمير هو الذي يحكم القوة و ليس العكس"[5].

ويجد بوبر أن "ماكموراي" قد أبرز الرؤية الحقيقية للمسيحية ورسالتها كانت من أجل الودعاء وهي رسالة النزعة التاريخانية، وهنا يترجم الماركسية فيقول ماكموراي: "كن حكيما وضع في قلبك ما أخبر كبه

* كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، مصدر سابق، ، ص 383.

[2] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، مصدر سابق، ص 196.

[3] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر نفسه، ص 197.

[4] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، مصدر سابق، ص 387.

[5] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، المصدر نفسه، ص 389.

مؤسس المسيحية لأنه كان طيبا نفيسا كبيرا للطبيعة البشرية ونبيا كبيرا للتاريخ، عرف بمرور الوقت أين يؤكل الودعاء لأنه طبقا للقوانين الثابتة للطبيعة البشرية، ذلك هو أضمن طريق للنجاح"[1]، يستلزم هذا التبرير نجاح الودعاء ويقوم بترجمة لغة النبوءة الدينية –تأليه النجاح– وهذا يعني أن الودعاء سيكونون إلى جانب الفائز وهذا سيؤدي بالضرورة إلى العناء الآخر وعدم الاعتراف بوجود علاقات شخصية معقولة "نستبد أو أخضع"[2].

وعليه فإن بوبر يرى في استغلال الديانة المسيحية للتبريرات الذاتية من أكبر المغالطات التاريخية، ففي النهاية المسيحية الحقة –ذات البوادر الأولى– تعلم الأخلاق التي تحارب تقديم القوة على الضمير وتبشر بالتعاون والمساعدات بين الأفراد[3].

وعلى هذا الأساس يرى بوبر إننا يجب علينا تغيير طريقة وفهمنا للتاريخ حيث يقول: "إننا نستطيع عند قراءة التاريخ وكتابته إن نمنحه معنى من الممكن أن نعني لأنفسنا مهمة ليس فقط كأفراد وإنما أيضا كمواطنين، وعلى وجه الخصوص كمواطنين بالعالم يرون في تراجيديا التاريخ الحمقاء أمر لا يحتمل ويرون بها دعوة أن نبذل بكل ما نستطيع كي نجعل لتاريخ المستقبل معنى قد نتعلم نحن مع كانط"، درسا من إرهاب الثورة الفرنسية، درسا يصعب أن يتكرر كثيرا، إن التعصب إثم دائم، إنه يتعارض مع مجامع التعددية إن أخطار التعصب وواجبنا نحو معارضته تحت كل الظروف، هما دراسات من أهم الدروس التي يمكن إن نتعلمها من التاريخ من التاريخ"[4].

من هذا الكلام نصل إلى أن بوبر ينادي بفتح الأعين نحو قيمة الحرية، نحو المساواة والعدالة وإلغاء العنصرية والتفتح على الآخر بتقبل تعدد الآراء.

وتقديس الإنسانية ويدعوا إلى المنهج الإصلاحي القائم على فترة الديمقراطية التي تعني إمكانية أي شعب تغيير نظام ما بدون إراقة الدماء، أي تحويل الصراع بين الأفراد من الحروب إلى صراع في الأفكار من أجل تحقيق السلم والتقدم يقول بوبر: "التقدم يعني أن نتحرك اتجاه هدف محدد هدف بمثل بالنسبة لنا جوهرا

[1] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، مصدر سابق ، ص 391.
[2] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، المصدر نفسه، ص 393.
[3] كارل بوبر، المجتمع المفتوح و أعداؤه، ج2، المصدر نفسه، ص 395.
[4] كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل، مصدر سابق، ص 179.

إنسانيا، لا يمكن للتاريخ أن يفعل هذا نحن فقط –بنو البشر– يمكننا فعل هذا، في دفاعنا وتدعيمنا للمؤسسات الديمقراطية التي تقدم عليها الحرية و يقوم عليها التقدم"[1].

وتحققت شروط التقدم في: "اللغة مؤسسة اجتماعية يستحيل تصور التقدم العلمي بدونها الكتابة مؤسسة اجتماعية، وكذلك المنظمات الخاصة بالطباعة والنسر وسائر المؤسسات التي ينفذها المنهج العلمي أدوات له وللمنهج العلمي نفسه جانب اجتماعي والتقدم العلمي ناتج عن حرية التنافس الفكري"[2].

بهذه الرؤية يعطي بوبر للتاريخ معنى آخر، يقول: "....فبدلا من التصرف كأنبياء يجب علينا أن نصبح خالقي أقدارنا، يجب أن تتعلم أداء واجباتنا بأفضل ما يمكن، كما يجب أن نتعلم إدراك أخطائنا وحق تخلينا عن فكرة أن التاريخ قوة هو الحكم هو القاضي ولم يعد السؤال –ماذا كان التاريخ يبرر أفعالنا– يشتغل بالنا، قد ننجح عندئذ يوما ما في ترويض القوى التاريخية وقد نتمكن في النهاية بهذه الطريقة من تبرير تاريخ العالم، فالتاريخ في أشد الحاجة إلى مثل هذا التبرير"[3].

ثالثا: معيار التكذيب وعلم التاريخ:

لقد حاول بوبر أن يؤسس منهج علمي للتاريخ لا يختلف كثيرا عن منهج العلوم الطبيعية، مؤمنا بأن العلم لا يتقدم ولا يتطور إلا من خلال تصحيحه الدائم للأخطاء، فإذا كان فيكو المعرفة عنده تقوم على مذهبه في الحقيقة يكون فيها الحق والفعل مترادفان، أي أن التاريخ يتألف من أعمال التي تصلح أن تكون موضوعا للمعرفة البشرية ليس فيها مجال للشك، تبلغ مرتبة اليقين مادام الإنسان شارك في صنعها بنفسه.

بحيث صاغ أوهاما للمؤرخ على شاكلة أوهام بيكون، لتثبيت اليقين وبلوغ العلمية ما يبرر انعكاس منهج علم الاستقرائي على دراسة التاريخ[4]، نجد أن بوبر المعرفة . عنده تقوم على منهجه العقلاني النقدي، كبديل للاستقراء وفي مقابل منهج التحقق معتبرا الحقيقة "هي المقياس أو المعيار، الذي يمكن أن نخطأ فيه".[5]

---

[1] كارل بوبر، الحرية و المسؤولية، تر: زواوي، الحوار الفتوى، مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، العدد –4–، نوفمبر 2002، ص 145.

[2] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، مصدر سابق، ص 157.

[3] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، مصدر سابق، ص، ص 209-210.

[4] عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ، ص 35.

[5] لخضر مذبوح: فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر ، ص 285

فالتاريخ إذا عند بوبر لا يخرج عن نطاق منطق الكشف العلمي الذي يتساءل عن نمو المعرفة وليس عن اليقين في المعرفة، بحيث يرتبط هذا النمو بمعيار أسماه بوبر معيار القابلية للتكذيب، هذا ما يجعلنا نتساءل عن الكيفية التي يمكن أن تجعل مثل هذا المعيار صالحة لدراسة التاريخ، دراسة علمية وموضوعية؟

يعتبر علم التاريخ فرعا من فروع العلوم الإنسانية وكعلم للحوادث البشرية الماضية، تقوم أمام اعتباره علما بالمعنى الضيق لهذه الكلمة عدة صعوبات منها :

– تعذر ملاحظة الحادثة التاريخية من حيث هي حادثة ماضية ثم وقوعها، فبالرغم من أن الحادثة التاريخية تفلت من الملاحظة المباشرة، حيث تترك آثار ووثائق يستطيع بها المؤرخ أن يبنيها من جديد، إلا أن بوبر يرفض ذلك يقول: "والمنهج المزعوم للمؤرخ المحترف، يبدأ من الوثائق فهو توجيه، لا يمكن تفنيده، إنه مستحيل منطقيا، أنت لا تستطيع أن تبدأ بالملاحظة"[1].

– استحالة إجراء التجارب على الماضي مما يتعذر معه الوصول إلى القوانين، فيصعب على المؤرخ أن يفسر الحادثة التاريخية تفسيرا علميا يقول بوبر: "من النادر أن تتوافر لنا معطيات جديدة تساعدنا على إجراء التجارب محددة، مثلما أن يحدث في الفيزياء "[2].

– انعدام الموضوعية في تفسير الحوادث التاريخية لأنها حوادث ماضية لا يمكن تكرارها يقول: "إن الوقائع في التاريخ التي في متناول أيدينا، غالبا ما تكون محددة جدا، ولا تسمح بتكرارها، أو إحداثها مرة أخرى كما تم جمعها وفقا لوجهة نظر محددة من قبل ومدام لا يوجد في متناول أيدينا، وقائع آخر فلا يمكننا تفنيد هذه النظرية، أو نظرية غيرها. [3]

هذه بعض الصعوبات التي تقوم عقبة كأداء أمام اعتبار التاريخ علما كبقية العلوم الدقيقة، غير أن هذا لا يعني أن هذه الصعوبات غير قابلة للتذليل بل هي محايثة لخصائص وطبيعة المنهج العلمي عند بوبر، بحيث يمكن إدراك حقيقة التقارب المنهجي بين العلم الطبيعي والتاريخ في قوله : "العلم يماثل التاريخ أكثر بكثير، مما يتصور المؤرخون إذ تُثير مشكلات جديدة، ولكي نحل هذه المشكلات نبتدع حدوس افتراضية، أي نظريات

[1] كارل بوبر أسطورة الإطار، تر يمنى طريف الخولي، الكويت، مجلة عالم المعرفة، عدد 292، 2003، ص176.
[2] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، المصدر السابق، ص 191.
[3] كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، المصدر السابق، ص 180.

مبدئية، نخضعها للمناقشة النقدية، المتجهة صوب استبعاد الخطأ، ويمكن تمثيل العملية بأسرها عن طريق تخطيط مبسط، يمكن أن أسميه تخطيطا رباعيا: م1ن دق فم2[1].

يبدو أن بوبر ما يقرره في المنهج بالنسبة للعلم الطبيعة هو نفس ما يقرره في علم التاريخ، فالمشكل هو نقطة البدء في مسيرة نظرية العلم عنده والبحث يبدأ أو يتصل بها دوما، وهذا الاعتبار موجه للعلماء كما هو موجه للمؤرخين، فالملاحظة "التي تعني توجيه الحواس والانتباه إلى ظاهرة، أو عدة ظواهر طبيعية بهدف الكشف عن خصائصها وصفاتها، كما يقوم علماء الفلك بهدف الوصول إلى قوانين حركة الكواكب". [2]

أو ملاحظة المؤرخين للوثائق أو الشواهد التاريخية التي يجب أن يبدأ بها البحث يرفضه بوبر يقول: "عليك أن تعرف أولا، ماذا سوف تلاحظ أي أنك يجب أن تبدأ من مشكلة، علاوة على ذلك لا يوجد شيء قبيل ملاحظة غير مؤولة، كل الملاحظات مؤولة في ضوء نظريات والمثل يصدق تماما على الوثائق "[3].

إن الشواهد التاريخية كثيرة كالأخبار التي روتها الأجيال السالفة، أو المباني، والأدوات، والأسلحة وقطع النقد، والسجلات المختلفة، تجعل المؤرخ يدخل في تفاصيل لا سبيل للخروج منها بنتيجة موضوعية، لذا كان تحديد المشكل مهم لتفادي المتاهات والتفاصيل، لأنه يُحدد نوعية الوثائق التي يجب أن نلاحظها ونحن بصدد معالجة الحادثة التاريخية يقول: "هل تذكرة سفري بالقطار إلى لندن وثيقة تاريخية؟ أجل وكلا، إذا كنت متهما في جريمة قتل يُمكن أن تفيد التذكرة لتأييد الدفع بغيابي عن مسرح الجريمة وبالتالي تغدوا وثيقة مهمة ومع هذا لا ينبغي لي أن أنصح مؤرخا بأن يبدأ عمله بجمع تذاكر السكك الحديدية".[4]

إن النظريات العلمية قابلة للاختبار لا تحقيق ولا تبرير لكن للتكذيب كمعيار لموضوعيتها، في قول بوبر Popper: "إننا نجد النظريات العلمية ليست أبدا مما يقبل التبرير أو التحقق تماما وإنما هي مما يقبل الاختبار"[5]، وهذا القول ينعكس تماما على دور المؤرخ، إذ يبدأ بوضع حلول بعد وضع المشكل النظري، الذي وجه ملاحظته للوثيقة المتعلقة بالحادثة التاريخية، ثم يقوم باختبار هذه الحلول ويستبعد الضعيف منها، لأن الحلول القابلة للاختبار تكون أكثر قابلية للتكذيب.

---

[1] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 170، ص 171

[2] زيدان محمود فهمي: الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، 45.

[3] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 176.

[4] كارل بوبر، أسطورة الإطار، المصدر نفسه، ص 176

[5] كارل بوبر ، منطق الكشف العلمي، المصدر السابق، ص 81.

هكذا يخطو بوبر خطوة جريئة في إرساء دعائم منهج علم التاريخ أي منهج لا يخرج عن مبدأ العقلانية النقدية، لأنه وفق هذا المبدأ وفقط يُمكن للمؤرخ البحث في مضمونه وموضوعية وقائعه بعيدا عن التفسيرات المبطنة بالخلفيات والإيديولوجيات Ideologie ، وقريبا من منهج الفرضي الاستنباطي.

إن تبرير بوبر Popperبعقم المذهب التاريخي أو نقده للتاريخانية دليل كاف على ضرورة النقد بالنسبة للمؤرخ وأهمية الاشتغال بالابستيمولوجيا دون التمسك بالمعاني الدوغمائية، والتي هي للبعة من وجهات نظر كالتي تقول بالروح المطلق عند هيغل أو الاقتصاد عند ماركس .. الخ .

لعل الدور الذي يجب على المؤرخ أن يلعبه كالدور الذي يلعبه عالم الطبيعة، وهو تطبيق معيار التكذيب والنظر للتاريخ على انه يمثل مسار النمو المعرفي للإنسان وتطوره بحيث يختار من هذا المسار مشكلة أثيرت بين علماء أو أدباء ....

ثم يقوم بتحليل المشكل واقتراح الحلول لها يقول:" لقد زعمت أن قصة تنامي المعرفة الإنسانية يمكن أن يقول عنها المرء إنها خطة نستطيع استكشافها في التاريخ. وبينما تكون هذه الخطة أو هذه الخطط، نظرا إلى اختلاف أنماط المعرفة شيئا معطى كنتيجة لاختيارات أسلافنا فمن الواضح جدا أننا نملك أن نفعل بها ما نشاء نستطيع أن نتبناها ونعززها، أو أن نصرف بالا عنها إنني إذا زعمت بضرورة التعهد، بتلك الخطة لأنها تبدو لي جديرة بالاختيار، وبأن نجعلها خطتنا، بمعية الدافع نحو التحرر بواسطة المعرفة".[1]

يبدو أن يوبر Popper لم يبخل نفسه من البحث في العلوم الإنسانية بل كان وفيا لمنهجه وهذا الوفاء، جعل بوبر يهتم بنقد التاريخانية ويعمل في نفس الوقت بتقديم خطوات مقترحة للمؤرخ تجعل من التاريخ علما يقبل تكذيب تتلخص فيما يلي:

-حتى يستطيع المؤرخ، تفادي المتاهات والخروج بالحلول موضوعية، لابد أن ينطلق من تحديد المشكل التاريخي.

- تحديد المشكل التاريخي يُحدد نوعية الوثائق التاريخية رغم تعددها، والمرتبط هي الأخرى بنوعية الحادثة التاريخية.

- يقدم المؤرخ حلول قادرة على الاختبارات النقدية، وهذه الحلول مناسبة لأفراد مجتمعة اجتماعية سياسية، معرفية.

[1] كارل بوبر أسطورة الإطار، المصدر السابق، ص 81.

– يجب على المؤرخ عدم الاقتناع بالنظريات التاريخانية بل استخلاص الفوائد المعرفية، من المشكلات التي واجهها السابقون والتي تعد بمثابة الجهد المعرفي أو بمعنى آخر الجهود الإنسانية المبذولة في الماضي، لتطوير المعارف بشكل عام.

لعل أهم شيء قد تمت ملاحظاته هو أن التأسيس الابستيمولوجي عند صاحبه كارل بوبر، يقوم على معيار القابلية للتكذيب كعملية إجرائية تبرر فاعلية العقل الناقد للنظريات الدوغمائية وفي نفس الوقت تتويجا لعمل المؤرخ، لهذا نقد بوبر التاريخانية لأنها تمثيل نظريات زائفة لا تخضع لمثل هذا المعيار كما حذر المؤرخ من إتباعها، إلا أن هناك بعض الرؤى الفلسفية المعاصرة تعد سبيلا لنا في تقييم الموقف الابستيمولوجي عند بوبر من التاريخ.

قد لا يجد الباحث مؤلفا أو نصوصا أثناء عملية البحث تشير إلى نقد غادامير Gadamer –2002 1900 لبوبر Popper ولكن الهاجس الرئيسي الذي لازمنا، هو تلك المساءلة النظرية وهي مساءلة حركها قلقنا الفلسفي من طبيعة الهرمونطيقا المعاصرة Hermeneutique Contemporaine في هذا الشخص، بحيث " لا مناص فيها من موقعية الفهم التاريخية كأساس أنطولوجي"[1] هذا ما يجعلنا نتسائل فيما إذا كان بمقدور أو الكيفية التي منحت بها الهرمونطيقا المعاصرة البعد الأنطولوجي للتاريخ، بدلا عن البحث في الأسس الابستمولوجية التي تمنح التاريخ المشروعية كعلم ؟ وهل استطاعت فعلا الهرمونطيقا المعاصرة أن تكشف عن البديهية الأساسية للتاريخ على نحو سليم؟.

يبدوا أن التجربة الفلسفية عند بوبر Popper قد حصرت التاريخ، بحيث جعلت مهمة المؤرخ تنطوي تحت لواء العلم بل أسلوبه في رأينا يعد تضيقا لمهمة الفلسفة بأكملها مقارنة بالهرمونطيقا المعاصرة التي أصبح يفهم فيها دور المؤرخ كفعل من أفعال الوجود ذاته، فواحد كغادامير ينطلق من الإشكال الفلسفي الذي عاش من أجله هيدغر هو كيف يمكن للإنسان أن يكون على وعي بمهمة الفلسفة؟ وما دامت الفلسفة ليست شيئا خارجا عن الإنسان "والفهم هو أساس لها"[2] . فإن المهمة الحقيقة للفلسفة فهم الوجود الإنساني

---

[1] إيان ماكلين: التأويل والقراءة، تر خالد حامد، مجلة الأفق، العدد 20، 2002، ص 16

[2] نصر حامد أبو زيد : إشكالية القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2001، ص 30
كلمة ألمانية معناها الوجود الحاضر أو الوجود المقابل للاوجود، ويعرفه (هيدغر) على أنه كينونة الموجود الإنساني، او كيفية وجوده، ولما كان العالم في تبدل مستمر، كانت هذه الكينونة الإنسانية غير مستقرة على حال، ماهية الإنسان وجوده، وحقيقة نزوعية إلى ما يريد أن يكون فهو إذن يحدد ذاته بذاته، ويجاوز بفضله حدود الواقع وينفتح على العالم جميل صليبا : المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 556

Dasein وغادامير بخلاف دلتاي يستند على الأنطولوجيا الهيدغرية القائلة؟ بضرورة أن تقف النزعة التاريخية Historicisme والسلطة الزمنية Temporalities في مركز مشروع فلسفي. [1]

لقد لاحظنا سابقا، أن نقد بوبر للتاريخانية يتفق مع مقاربته الموضوعية بين المعرفة العلمية، والتي تتألف بغير ذات عارفة والنزعة الذاتية Subjectivité التي تدعي التنبؤ بحركة التاريخ كالكانطية، ولاسيما الهلغيلية التي منحت الكوجيتو الديكارتي – أنا أفكر – بإطلاق بحيث عملت على أرخنت الذات أو منحتها بعدها التاريخي، وتنبأت بدولة الفكر أو الحرية أي عندما تعني الذات ذاتها.

إن هذا النقد يخدم الغرض الابستيمولوجي وهو تحديد منهج علم التاريخ، إلا أن بوبر أفرغ كلمة "تاريخانية" من معناها المحدد، وأطلقها على كل رأي في التاريخ في حين نجد أن غادامير أعاد النظر في التاريخانية بما هي مبدأ الفهم والتي لا تعني بتانا تحديد معينا لحد العقل ولزعمه بإمكانه إدراك الحقيقة . [2]

إذا لا يبقى مجال للحديث عن نقد بوبر للتنبؤ الهيغيلي بعد أن أخذ غادامير من هيغل أن الحقيقة توجد داخل اللغة، وبعد أن عمل سابقه هيدغر على الاستذكار Retrospection، أو استرجاع فكرة المطلق الهيغلي واعتبارها ميتافيزيقا تمثل فترة ضرورة من تاريخ الوجود.

فالتاريخ الذي نعيشه كإشكالية والذي يجب أن نبحث فيه لا علاقة له بمنهجية نقدية في المعرفة بل بالفهم الذي يمثل الوعي التاريخي والذي يفسر التاريخ نفسه من خلال اللغة كأفق للوجود أي التاريخ عند غادامير وفق الفلسفة هيدغرية، مرتبط ب "هرمونطيقاالدازاين، تحلل الوجود". [3]

رابعا: التاريخ كنموذج للوحدة المنهجية:

بعدما حدد بوبر نقاط التشابه بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وضع الخطوات المنهجية والمعرفية التي تجعل من التاريخ علما لتمييزه وفصله عن النظريات التاريخانية الزائفة التي لا تقبل تطبيق منهج التكذيب على فروضها، لأنها –في نظر بوبر– تنطلق من مبادئ غير واقعية وتدعي تفسير كل أحداث ومراحل التاريخ. والتاريخ عند بوبر يمثل التقاء العلوم الطبيعية مع العلوم الاجتماعية في وحدة المنهج. ولقد ميز بين مفهوم التاريخ ومفهوم التاريخانية فحدد الأول بكونه نسقا من المعارف البشرية والمشكلات التي أثيرت من خلال تطوره؛ فالتاريخ لا يعلمنا طريقة التنبؤ بالمستقبل بل كل ما يمكننا فعله هو الإعجاب بالأحداث الكثيرة

---

[1] إيان ماكلين، التأويل والقراءة، المرجع السابق، ص 17.

[2] جان غراندان، المنعرج الهرمنوطيقي للفينومينولوجيا، تر عمر مهيبل، دار العربية للعلوم الناشرون الجزائر، ط1، 2007، ص126.

[3] جان غراندان، المنعرج الهرمنوطيقي للفينومينولوجيا، المصدر السابق، ص 75.

التي مرت عبر الزمن، وأيضا الأشخاص الرائعين الذين استطاعوا ترك بصماتهم، كما نتعلم منه ما يجب أن نخاف منه دون الغوص في إشكالية معنى التاريخ[1]. أما الثاني مفهوم التاريخانية، فقد عرفه قائلا: «طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية تفترض أن التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية كما تفترض إمكان الوصول إلى هذه الغاية بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الأنماط أو الإيقاعات التي يسير التطور التاريخ وفقا لها» [2]، بل يعتبرها ببساطة فكرة غبية لأنها محاولة لاستكشاف تاريخ المستقبل في حين أن خاصة التاريخ أنه يضعنا دائما أمام ثورة غير منتظرة وغير متوقعة ثورة الالكترونات[3]، وقد تحامل بوبر بكامل ثقله على التاريخانية الإنسانية، بسبب أن التاريخ الإنساني يتأثر في صيرورته بنمو المعرفة الإنسانية، كما لا يمكننا عقليا أو عمليا أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية ولا بمستقبل سير التاريخ الإنساني، إضافة إلى هذا تحدث بوبر عن أعداء المجتمع المفتوح الذين وصفهم بدعاة الشمولية، حيث لم يتوان في انتقادهم في كتابه المجتمع المفتوح وأعداؤه، فابتداء من اليونان وعند هوميروس لا يعد التاريخ سوى نتاج للإدارة الإلهية. [4]

يفهم من هذا، أن التاريخ لم ولن يسير بمقتضى خطة إلهية بل بفضل القدرات التي يملكها الإنسان الجسدية والذهنية والتأملية، لأنه هو من صنع تلك الخطة التاريخية المتفاوتة في تقدمها والمتنوعة في مشاكلها، لقد شرح بوبر Popper الطريقة التي على المؤرخ السير وفقها حيث تساعده على الفهم والتحليل، يقول: «إن الجوهري، في ما أزعمه، ليس إعادة المعايشة بل تحليل الموقف محاولة المؤرخ تحليل الموقف ووصفه لا تعدو أن تكون حدسه الافتراضي التاريخي، نظريته التاريخية، والمشكلة المحورية التي يحاول المؤرخ حلها هي السؤال « ماذا كانت العناصر المهمة أو الفعالة في الموقف ؟» وعلى قدر ما يحل هذه المشكلة يكون تفهمه للموقف التاريخي أو شطر من التاريخ يحاول استيعابه. إن ما يحاول أن يفعله المؤرخ أن يطرح حججا موضوعية تؤيد تحليله للموقف يفسح المجال أمام المناقشة النقدية لحلولنا المبدئية لمحاولاتنا إعادة بناء الموقف، وعند هذا الحد نجده منهاجا شديد الاقتراب من المنهج الفعلي للعلوم الطبيعية » [5]، نفهم من خلال هذا القول، أن بوبر يحاول

---

[1] كارل بوبر، درس القرن العشرين، ترجمة الزواوي بغورة ولخضر مذبوح بيروت: الدار العربية للعلوم – ناشرون الجزائر: منشورات الاختلاف، 2008، ص 74.

[2] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا: نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، مصدر سابق، ص 15.

[3] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا: نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، المصدر نفسه، ص 73.

[4] كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة السيد نفادي بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1998، مصدر سابق، ص21.

[5] كارل بوبر، أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية، مصدر سابق، ص 178.

جعل المؤرخ موضوعي يقبل أي نقد أو تكذيب حيث يكون تحليله للحادثة التاريخية تحمل إمكان تكذيبها، وهذه هي سمة العلمية عنده. فالمؤرخ الذي يلتزم بمنهج التحليل النقدي ويطبق الحدس العقلي في افتراضاته يتأهل إلى مرتبة العالم.

خامسا: علم التاريخ وعلاقته بالتاريخانية عند بوبر:

بالنسبة للتاريخ فإن الوقائع التي في متناولنا محدودة ولا يمكن أن تتكرر ولا أن تسخرها لإرادتنا، وقد تم جمعها لتطابق وجهة نظر مسبقة تسمى المصادر أو مصادر التاريخ التي تسجل تلك الوقائع كما تظهر ذات أهمية بما يكفي للتسجيل وبذلك تكون المصادر ككل تتضمن فقط الوقائع التي تتناسب مع النظرية المسبقة وبما أنه لا وقائع أخرى متاحة فلن يكون بالإمكان اختبار تلك النظرية أو أية نظرية لاحقة [1].

يرى بوبر أن الدارسين لعلم التاريخ ومناهجه يكون اهتمامهم بالحوادث الخاصة والمتفردة وليس هناك ما يسمى القوانين التاريخية الكلية أو العامة universal historical laws ويرى من وجهة نظره الخاصة أنه لا يمكن أن توجد أو أن يكون هناك قوانين تاريخية، فالتعميم ينتمي إلى خط آخر من العلم يختلف تماما عن علم التاريخ، والذي يهتم بالحوادث الخاصة وتفسيراتها العلية أي السببية. ويرى أن التاريخ بدوره لا يخضع في تفسير حوادثه إلى تلك القوانين السوسيولوجية أو السيكولوجية التي هي في الأصل تأويلات للأحداث ولكن هو يخضع لما يسميه بوبر منطق المواقف انطلاقا من جمع المعطيات ثم تحليلها على أساس مبدأ العقلانية وما يتطلبه الموقف باعتبار المعطيات. [2]

ولذلك يرى بوبر أن تلك القوانين الكلية التاريخية التي يستعملها أولئك التاريخانيون للتفسير التاريخي لا تعطي أي مبدأ ولا وجهة نظر عقلانية في التاريخ وأغلبها هو نتاج أفكار وتأويلات مسبقة بحيث تشبه القوانين الكلية مثل قانون صراع الطبقات وهذا ما يجعل هذه النظريات التاريخية شبه علمية، فلا هي على أساس مبدأ العقلانية أو منطق المواقف، ولا هي تجريبية قابلة للتكذيب، ومثل هذه النظريات غير القابلة للاختبار لنا كل الحق في اتهامها بالالتواء وبإمكانية تأويلها في كل مرة بعكس النظريات العلمية والأولى أن تسمى تأويلات عامة وليس نظريات[3]. وإنما هي وجهات نظر لا يمكن تفاديها، وكما رأينا أنه نادرا ما يتم تحصيل نظريات في التاريخ بحيث تكون علمية الطابع، ولذلك لا يمكن الاعتقاد بأن تلك التأويلات العامة هي محققة أي التحقيق بمفهوم التعزيز – بتوافقها في كل مرة مع تسجيلاتنا للأحداث، ويجب أن نكون على وعي

[1] Karl Popper, The Open Society and Its Enemies, p.470.
[2] Karl Popper, The Open Society and Its Enemies, p.470.
[3] Ibid, p.471.

دوما بإمكانية دورانها وتفسير تلك الأحداث على أساس التأويل لأنه سيكون دوما هناك تأويلات أخرى توافق نفس التسجيل، وهو ما يحدث تقريبا في كل من التحليلات النفسية والاجتماعية والتاريخية بحيث يميل هؤلاء التأويل الأحداث لتناسب نظرياتهم وليس بتغيير النظريات لتناسب الأحداث.[1]

وإن هذا الاعتبار على قدر من الأهمية لأنه طالما أن كل جيل له خصائصه وتكوينه الثقافي وبالتالي اهتماماته هي ما يحدد وجهات النظر فيه، ومنه فكل جيل أو مجتمع له الحق في النظر وإعادة تأويل التاريخ بحسب خصوصياته التي هي مختلفة تماما عن سابقه وعن أي مجتمع آخر. ولكن هذا لا يعطي للتاريخانيين الحق في أن يكون لهم تأويل خاص لأن تأويلاتهم مغلقة دوغمائية من نوع آخر ثابت، لا تقبل النقد والتطوير فهي اعتقادية نافية لحرية اختيار الأشخاص لأفعالهم وتدخلهم في تتابع الوقائع في التاريخ على الوضع الذي هي عليه، لأن التاريخاني يعتقد أن التاريخ أو تاريخ الإنسانية بقوانينه هو ما يحدد من نحن، يحدد مشكلاتنا، مستقبلنا وآرائنا، ولذلك فالتاريخانية بعيدة في ادعائها كشف القوانين وجوهر المصير الإنساني، أو الطريق المقدر للبشرية أن تسلكه، وبذلك اكتشاف معنى التاريخ وغاياته. [2]

ينتقل بوبر بعدها ليتساءل عن إمكانية أن يكون للتاريخ معنى، ويجيب بشكل مباشر: " ليس للتاريخ أي معنى"، ثم ينطلق في سرد الأسباب التي جعلته يتبنى هذا الرأي، ويرى بداية أن معنى التاريخ الذي يستعمله العابرة لا يمكن أن يوجد، لأنهم يستعملونه بالمعنى الذي تقول عن كتاب، بما أنه حول تاريخ أوروبا، وليس بالمعنى الذي تقول أن ذلك هو تاريخ أوروبا ، فهم يتعلمونه في المدارس والجامعات ويقرؤون حوله ويعتادون فهمه على أنه أكثر أو أقل تسلسل معين من الوقائع والأحداث، ثم يعتقدون أن مجموعة الأحداث هذه تمثل تاريخ البشرية، ولكن عالم الوقائع ثري بشكل لا نهائي وهناك يجب أن تختار وتحدد حسب اهتماماتنا، وتخصص أي تاريخ نجمع ونبني لتكتب، وبالتالي فليس كل من هذه التواريخ هو تاريخ للبشرية ولا هي كذلك مجتمعة مع بعضها، وإن الأشخاص يتحدثون عن تاريخ البشرية وليس هو إلا ما تعلموه في المدارس والجامعات من تاريخ القوة السياسية[3]. لكن تأويلات التاريخانيين تحاول استخراج وجهات النظر الحتمية لاتجاهات التطور التاريخي، لأنهم ينوون اكتشاف معنى التاريخ، ويرى بوبر أنه ليس للتاريخ أي معنى، وليس هناك تاريخ فعلي

[1] Ibid, pp.471,472.
[2] Karl Popper, The Open Society and its Enemies, pp.472,474.
[3] Ibid,pp. 474 475.

ملموس للبشرية، بل هناك فقط عدد لا معين من التواريخ–التأريخات– لشتى مظاهر الحياة الإنسانية ولكل منها نكتب تاريخا مختلفا. [1]

ومن ذلك فإن بوبر Popper يرى أنه ليس كل ما نستطيع فعله هو الاكتفاء بالنظر بعز لتاريخ القوة السياسية، ولكن ما دمنا قادرين على قراءته وتأويله من منطلق محاولة تقديم حلول لمشكلات القوة السياسية الراهنة، فيمكننا تأويل تاريخ القوة السياسية من وجهة نظر كفاحنا لأجل المجتمع المتفتح، لأجل حكم العقل، لأجل العدالة والحرية والمساواة، ولأجل قمع الجرائم الدولية، فمع أنه ليس للتاريخ في حد ذاته غايات أو معان إلا أنه يمكن أن تفرض نحن غاياتنا ومعان من اختيارنا عليه. [2]

فليست الطبيعة ولا التاريخ هي ما يتلو على المجتمع البشري ما يجب أن يفعله، وليس هناك أسرار ولا أقدار في التاريخ على الإنسان أن ينتظرها ولا يسعه تغييرها، فما التاريخ عند بوبر إلا ما نكتبه نحن بأيدينا، أي ما هو إلا سجل لمجموعات من الأحداث المعينة التي وقع عليها الاختيار، وما هي إلا ما صنعه ويصنعه الإنسان في هذه الحياة، وبالتالي فهذا التاريخ هو سجل النماذج وخبرات اجتماعية قد تفيدنا في حل مشاكلنا الاجتماعية السياسية بطرق أكثر عقلانية باعتبار تحليل الموقف في كل مرة. واننا نحن من يضفي معان على الطبيعة وعلى التاريخ.

فالتاريخانية في أصلها قد ولدت من يأسنا بالإيمان بالعقلانية والمسؤولية في أفعالنا، وبالتالي قد نقلنا آمالنا في ذلك إلى الإيمان بعلوم التنجيم، وأسرار التاريخ البشري وقوانين الطبيعة الإنسانية، في حين ليس هناك للتاريخ معنى أو غاية، وإننا نحن أفراد بني الإنسان من نختار غايات ممكنة، ولأجلنا نحن كبشر، مثل أن يكون ذلك بتحديد وتقوية مؤسساتنا الديمقراطية التي ترتكز عليها حياتنا وتقدم حضارتنا، ونحن نبلي حسنا إذا أصبحنا أكثرا وعيا بحقيقة أن التقدم متوقف علينا نحن، متوقف على جهودنا، على مدى وضوح تصورات غاياتنا، وأهدافنا وواقعية اختيارها[3].

فبدل الوقوف وتمثيل أدوار النبوة والعلم بالتاريخ المستقبلي، الأحرى أن نهب للمساهمة بأفكارنا الواقعية في صنع مصائرنا ونتعلم كيفية أداء الأشياء على أحسن وجه والتعلم من أخطائنا، عندها ربما يمكن يوما ما أن نجعل القوة السياسية تحت مراقبتنا للتحكم في زمام أمورها[4].

---

[1] Herbert Keuth, The philosophy of Karl Popper, p.241,242.
[2] Karl Popper, The Open Society and its Enemies, pp.483.
[3] Ibid, pp.484.
[4] ibid, pp.485.

وبالنسبة لبوبر Popper إن ما يعتبر نظرية في التاريخ هو في الحقيقة مجرد وجهة نظر، أو فرض غير قابل للاختبار، أين يكون من الأصح تسميته تأويلا تاريخيا، وما يتم تقديمه في علم التاريخ على أنه قانون للتطور هو في الحقيقة مجرد اتجاه أو نزعة، وليس لهذه الأخيرة طابع الكلية أو خصائص القانون وهي بذلك لا تفسر أي شيء وإنما يتم تأويل الأحداث لتوافقها . وبما أن تلك النزعات أو الاتجاهات تعمل على حقبة تاريخية معينة ومحدودة بحدود تلك الفترة فإن ذلك يخالف أحد أكثر مسلمات المنهج العلمي وهي مطلقية مجال صحة القانون. وحتى وإن وجدت قوانين بهذا الطابع في التاريخ فهي مجرد عبارات عامة بشكل عادي جدا تدخل ضمن مدركات الحس العام المشترك، وهذا ليس من اهتمامات العلم أصلا، ومنه فليس هناك أو لا يمكن أن يكون هناك قوانين للتطور بحيث تتجاوز حقبة معينة لأنه في كل منها سلسلة من الأحداث هي عرضة لتراكيب جديدة من القوانين وهكذا[1].

يرى بوبر Popper أنه ليس من الممكن إنشاء نظرية تاريخية عامة بالتعميم من ملاحظات فردية لكن النزعة المنهجية الكلية holism غير ممكنة في التاريخ كما في العلوم الاجتماعية، فمن ناحية المبدأ لا يمكن احتواء كل مظاهره أو جوانب ذلك الكل الاجتماعي social whole . [2]

كما أنه حتى وإن استطعنا تسليط الضوء على بعض قوانين التطور فإنه من غير الممكن اختبار الفرضيات المطابقة لأن التحليل الكمي للمعطيات صعب جدا أو متعذر في الدراسات التاريخية والأكثر من ذلك يتعذر أيضا تأسيس الشروط الكافية الضرورية لحدوث واقعة تاريخية معينة[3]. وفي كل الأحوال إن أي نظرية التطور التاريخي تزعم أن بإمكانها إجراء تنبؤات علمية فذلك غير ممكن لأنه من غير المنطقي التنبؤ بتطور المعرفة العلمية وهي التي لها الأثر البالغ في التاريخ الإنساني، وهو ما يجعل التاريخ النظري غير ممكن. [4]

عندما أثار بوبر Popper النقاش حول سؤاله هل للتاريخ معنى، ثم أجاب أن التاريخ ليس له أي معنى، ثم طور إجابته بقوله، بما أن التاريخ ليس له أي غايات في حد ذاته فلنفرض غاياتنا نحن عليه ولنضفي معانينا نحن فيه، وهنا لا يمكن فهم أهمية هذه الملاحظات البوبرية بمعزل عن نقد بوبر وموقفه ضد التاريخانية،

---

[1] Nikolai S. Rozov, "An Apologia for Theoretical History: In Memory of Sir Karl Raimund Popper", History and Theory, Volume 36, Issue 3, October 1997. pp :انظر أيضا ,338-342.Popper Karl, The Poverty of Historicism.
.144,145pp أيضا -,Burleigh Taylor Wilkins, Has History Any Meaning? A Critique of Popper's Philosophy of History, Cornell University, England: 1978. p.23.

[2] Nikolai S. Rozov, "An Apologia for Theoretical History : In Memory of Sir Karl Raimund Popper", p.342.

[3] ibid, p.343.

[4] Popper Karl, The Poverty of Historicism, pp.ix,x. انظر أيضا :ibid, p.345.

ومع أن بوبر Popper واقعي في نظريته للمعرفة وليس كانطي، إلا انه اتخذ موقفا كانطيا بشكل جوهري في هذا الصدد، ويمكن تلخيص الشبه بينهما فيما قاله بوبر عن معنى التاريخ وما قاله كانط حول الغايات النهائية للتاريخ. يعتقد كانط أن هذه الفكرة أو التصور فكرة الغايات النهائية للتاريخ – ليست أساسية أو جوهرية في طبيعة الحقيقة التاريخية ولكنها بالرغم من هذا على قدر من الأهمية كفكرة تنظيمية والذي يعكس جانبا أخلاقيا في سير التطور التاريخي والذي قد يكون له قيمة حدسية مساعدة على الكشف كمبدأ تنظيمي لتحقيقاتنا حول الأحداث الماضية وهذا هو تحديدا موقف بوبر بالنسبة لمعنى التاريخ، فكذلك ينكر مثل كانط أن التاريخ الكلي تاريخ البشرية – ممكن المعرفة، أو الوجود في حدود خبرة وتجربة الإنسان باصطلاح كانط. [1]

التاريخانية لا تستطيع إخبارنا حول اتجاه سيرنا في التاريخ، ولا يمكنها أيضا أن تزعم إيجاد معنى للتاريخ لأنه حسب بوبر Popper البحث التاريخي هو بالضرورة محدود لاعتبارات معينة تقتضيها طبيعة الظاهرة التاريخية. [2] ويرى بوبر أن التاريخانيين لا يفهمون أن التأويل التاريخي انتقائي – محدد زمنيا بحادثة أو مجموعة من الحوادث المعينة– كما أن التاريخانيين فشلوا في فهم أنه لا يمكن أن يكون هناك تاريخ لما مضى كما حدث بالفعل، ويمكن فقط أن تكون هناك تأويلات تاريخية ولا واحد منها نهائي، ولكل جيل الحق في تأطير خاصته من التأويل، كما أن التاريخانيين لا يعترفون بأننا نحن من يختار وينظم ويبني وقائع التاريخ لأن التاريخاني يعتقد – بروح– التاريخ في حد ذاته، أو تاريخ البشر العام بقوانينه يحدد ذواتنا، مشكلاتنا، وحتى وجهات النظر، ويمكن تلخيص أفكار بوبر السابقة في أربعة نقاط: [3]

1– لا يمكن أن يكون هناك تأريخ للماضي كما حدث بالفعل، لكن فقط تأويلات تاريخية للماضي.

2– كل التأويلات التاريخية انتقائية، محدودة ومعينة.

3– ليس هناك تأويل تاريخي نهائي، وعملية التأويل عملية متواصلة، وتختلف القراءات النفس الحدث أو الموضوع الواحد.

4– لأن 1، 2، 3 فإن دعوى التاريخاني أنه اكتشف القوانين المتأصلة في التاريخ خاطئة.

وبما أن كتاب المجتمع المتفتح لبوبر ينتقد فلسفة سياسية تاريخية اجتماعية ذات تأثير بالغ لاسيما أيام نشره، والتي تمثلت في التاريخانية؛ فهذا الكتاب بدوره خلال هذا النقد يقدم نوعا من المقدمة النقدية لفلسفة المجتمع والسياسية، وكان عنوان آخر فصل منه "هل للتاريخ أي معنى؟"، ولكي يعطي بوبر إجابة كانت

---

[1] Burleigh Taylor Wilkins, op.cit. pp.20,21.
[2] ibid, p.22.
[3] Ibid, pp.102,103.

الأقسام من I، II ، III ، مقدمة مختصرة لمنهجه في البحث العلمي، وناقش أيضا التفسير، التنبؤ واختبار الفروض، وكان التركيز حول خصائص العلوم التاريخية بأنها تهتم بالأحداث الخاصة وتفسيرها، في حين تهتم العلوم التعميمية الطبيعية باختبار الفروض الكلية والتنبؤ بالأحداث الخاصة. وكانت فكرته المحورية في ذلك أنه ليس هناك تاريخ للماضي كما جرت الأحداث بالفعل، ومع أنه يمكن تأكيد بعض الوقائع إلا أن أي وصف أو تقرير هو بالضرورة انتقائي وبهذا المعنى يحتوي تأويلا ضمنيا، وبالإضافة هناك تأويلات صريحة بصيغة محاولات للتفسير، فنحن عند طرح الأسئلة نختار بعض الوقائع في التاريخ وبإعطاء تفسيرات نحن نركبها ونرتبها، ولذلك لا يمكن للوصف التاريخي أن يكون موضوعيا بمعنى أن يكون مستقلا عن أي وجهة نظر، ويمكن أن يكون صحيحا بمعنى مطابقته للواقع. [1]

رأينا كيف يحدد بوبر Popper العلاقة بين التاريخ والتاريخانية التي يدعو إلى تحليلها ونقدها، بأنها خطر على العلم عامة وعلى العلوم الاجتماعية خاصة، بل على المجتمع البشري من حيث أنها تمثل اعتقادا راسخا عند الكثيرين، وتنتشر في الأوساط العلمية والعامة، وهي بهذا المعنى لا تفترض التنبؤ والقوانين في الظاهرة الاجتماعية وأن غايتها إيجاد الطريق المقدر للبشرية أن تمشي فيه فقط، بل تفترض أيضا كما يشير بوبر وجود معنى للتاريخ أو مفتاح له، مما يتيح للنظريات الدورية للحضارات على طريقة فيكو أو توينبي أو ماركس أن تتمكن من دراسة تطور الجنس البشري وأن تتنبأ بمستقبله، ومن ثم تبرر تلك التدخلات في شؤون البشر بما يتفق وتلك التنبؤات ويستغل علم الاجتماع عندها لخدمة القوة السياسية. [2]

وحسب بوبر Popperفإن هؤلاء المفكرين باختلافهم كل من ماركس، سبنسر، ميل، شبنجلر، توينبى، مانهايم، من ممثلي التاريخانية كما أطر هو مفهومها . [3]

وعلى هذا الأساس يوضح بوبر Popper في نصوص أخرى إمكانية إتباع المؤرخ طريقة علمية أثناء تفسيره لفترة تاريخية معينة جزئية، طريقة يمكن من خلالها تمييز صدق الفروض التاريخية أو كذبها، وذلك عندما ينطلق المؤرخ من فرض نظري متعلق بمشكلة تاريخية ما، حيث يحاول وضع وجهة نظر اجتهادية بصدد مشكلة معرفية، حدثت في فترة سابقة، يقول بوبر: "لا يعني هذا بالطبع أن سائر التفسيرات أو المفاهيم التاريخية

---

[1] Herbert Keuth, The philosophy of Karl Popper, p.241.

[2] فؤاد محمود ناصيف خير بيك، من الابستيمولوجيا إلى المجتمع: التاريخانية والمجتمع المفتوح عند بوبر، ط1، دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 2002، ص 119.

[3] Jerzy Szacki, On the so called Historicism in the social sciences, Polish Essays in the Methodology of the Social Sciences, p.199

تتساوى في قيمتها، هناك أولا وبشكل دائم تفسيرات لا تتفق مع الكتابات المعترف بها، وهناك ثانية تفسيرات تتطلب بشكل أكبر أو أقل فروضة مساعدة مقبولة لكي تسلم من تكذيبها عن طريق الكتابات، وهناك ثالث تفسيرات لا يمكنها الربط بين مجموعة من الوقائع في سلسلة واحدة وهي الوقائع التي يمكن التفسير آخر أن يربط بينها ويفسرها، وعلى ذلك فمن الممكن تحقيق تقدم كبير في ميدان التفسيرات التاريخية. أضف إلى هذا أن كل أشكال الوقوف بين وجهات النظر العامة وبين الفروض التاريخية المعينة الفردية والتي تلعب فيها الشروط الأولية المفترضة وليس القوانين العامة دورة في تفسير الحوادث التاريخية. هنا غالبا ما يمكن اختبارها بصدق ومن ثم مقارنتها بالنظريات العلمية." [1]

ورغم أن بوبر Popper لا يصرح بأن هذه الفروض التاريخية الفردية، فروض علمية قابلة للتكذيب، إلا أن قبوله بإمكانية اختبارها يعني إما أن تكون صادقة وسائدة في مرحلة ما أو كاذبة فتستبعد لوجود وجهة نظر أفضل منها.

وهكذا ينتهي بوبر في بناء وجهة نظره فيما يخص علم التاريخ إلى أن في مقدور المؤرخ تحديد خطة للتاريخ تختلف اختلافا جذرية عن الخطط التي تتصورها الإيديولوجيات المغلقة ذات الرؤى الشاملة، فعلى المؤرخ أن يبتعد عن وجهة النظر التي تقول بأن التاريخ البشري تحكمه خطة غيبية أو اقتصادية أو حتى قوانين دورية تاريخية، لأنها بعيدة عن الموضوعية، ولا تقارب واقع التاريخ، فهي تفسره وتعلل حوادثه وفقا لمفاهيمها الخاصة ولمصالحها، ولذا يجب على المؤرخ أن لا يتأثر بهذه الإيديولوجيات وأن ينظر الخطة التاريخ على أنها تمثل مسار نمو المعرفة البشرية وتطورها.

وإن تنامي المعرفة وتطورها هو ما يمثل خطة التاريخ، فقد واجه السابقون مشكلات فكرية وحياتية وفنية كثيرة، وحاولوا أن يقترحوا لكل مشكلة حلا يناسبها، فاستندوا إلى حلول واستبعدوا أخرى، وتخلصوا من مشكلات ونشأت مشكلات جديدة، فالإنسان من خلال جهده المعرفي هو من صنع وساهم في بلورة تاريخ العلم والفن وتاريخه العام والخطة التي سار فيها، وبالتالي فإن خطة التاريخ تتجسد من خلال الجهود الإنسانية المبذولة في الماضي لتطوير المعارف بشكل عام، وكنتيجة لما سبق يمكن إدراك محاولة بوبر الساعية لتكريس

[1] ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، د.ط، منشورات الهيئة السورية للكتاب، دمشق، وزارة الثقافة، 2010، ص ص282،283 .

معياره ليس في فلسفة العلوم الطبيعية فحسب، بل في المعرفة ككل، من خلال معالجته الابستيمولوجية للتاريخ والنظر إليه على أنه علم يقوم على أسس المنهج الفرضي الاستنباطي ومبدأ التكذيب.[1]

سادسا: حضور بوبر في الفكر العربي الحديث والمعاصر:

بعد أن استكملنا عرض وتحليل مفهوم فكرة التفتح وكذا ابستمولوجية العلوم الاجتماعية في فلسفة كارل بوبر كما قدمتها أعماله وكما تصورها هو ونقده للاتجاهات المعاصرة له التي رأى في مناهجها دعوة للانغلاق الذي يشكل عائقا يحول دون نمو وتطور المعرفة العلمية تأتي في هذا الجزء إلى استعراض الاستقبال الذي حظيت به هذه الفلسفة التكذيبية المفتوحة في العالم، وتبيان مختلف القراءات والتقديرات حولها، سواء بأوربا أو بأمريكا أو العالم العربي. وسنركز هنا على العالم العربي:

ما إن ظهرت الطبعة الأولى الألمانية لكتابه logic der forsching سنة 1934، حتى تلقفها وتلقاها القراء بحماس وفضول شديدين للتعرف أكثر على النظريات الثورية التي حواها حول نظرية العلم ومنهجه والتي هز يقينات كثيرة حول منهج العلم وهدف العلم باختصار لقد أحدث هذا الكتاب صدى عائلا تجاوز حدود مدينة – فيينا – وصل حتى إلى انجلترا وبريطانيا... يقول بوبر " لقد كان لكتابي منطق الكشف العلمي نجاحا مدهشا تجاوز حدود فينا، فلقد كان موضوع تقارير دقيقة في عدد هام جدا من اللغات مما كان عليه خمس وعشرين سنة من بعد صدوره في طبعته الانجليزية The logic of scientific discovery وبدأ الحظ بعدها يبتسم "لبوبر"، بعد المعاناة التي عاشها فكره قبل نشره لأول كتاب له يعرفه الجمهور الواسع، ويخرج إلى الوجود أفكارا وتصورات تعود في نشأتها في الحقيقة إلى سنة 1919، وعندها أدرك عبء الدين الذي يدين به لهربرت "فايجل" الذي نبهه إلى قيمة أفكاره الثورية ودفعه إلى طرحها في كتاب مهما كانت الصعوبة، وإلا لو بقي محتفظا بها لنفسه وناشرا لها في إطار ضيق من المختصين فإنها تتبخر مع مرور الوقت، تموت وتضمحل، وبقي بوبر يذكر دائما بجميل " هربرت "فايجل ولا يتوقف عن الثناء وشكره وعرفانه له بالجميل ومن هنا بدأت ملامح الفلسفة الابستيمولوجية البوبرية تخطو خطواتها خارج الأطر الدوغمائية العلمية والفلسفية المعلقة.

إن أعظم وأكبر المعجبين بفلسفة بوبر والمستحسنين لها، لم يكونوا فلاسفة ولا اجتماعيين، فحظوته كانت لدى علماء بارزين في العلوم الطبيعية من بيولوجيين ك: "جون اكسلس"، و" جاك "مونود ومن فيزيائين

[1] ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب، المرجع السابق، ص 289.

،ك: "شرود نغر " و " أينشتاين" كما أن ألد خصومه كانوا فلاسفة واجتماعيين ما عدا برتراند راسل الذي حيا فيه الديمقراطي الأصيل والفيلسوف المبدع.

وبوبر Popper يعتبره مثالا للفيلسوف العظيم، خاصة فيما يتعلق باللغة والمفاهيم يقول عنه: "إنني آخر بقايا التنوير أي أنني عقلاني أو من بالحقيقة وأمن بالعقل البشري وحين أقول أنني آخر بقايا التنوير أقصد أن رجل التنوير يتحدث بأبسط ما يستطيع من استخدام اللغة حديثا يتسم بالوضوح والبساطة والقوة مثل أستاذنا العظيم برتراند راسل، لأن الهدف من بساطة اللغة هو التنوير لا التسلط ".[1]

ومن المفارقات العجيبة أن نجد خصمه اللدود في الستينيات " توماس كوهن" العالم الفيزيائي التكوين ومؤرخ العلم، صاحب كتاب بنية الثورات العلمية" لم يحظ باهتمام علماء الفيزياء والبيولوجيا، والشهرة التي حازها، حققها ضمن دوائر علماء الاجتماع والفلسفة ومشروع مدينة العلماء المفتوحة والمجتمع الديمقراطي المفتوح لقى استحسانا وترحيبا منقطع النظير من علماء الطبيعة ، فيزيائيين ورياضيين وبيولوجيين أطباء ومهندسين، أكثر من علماء الاجتماع والفلاسفة والأدباء.

إن بوبر Popper نفسه كان يعتبر فلسفته ليست معصومة بل يجب نقدها وكان يحث طلبته على نقدها، وهكذا أمام عينه ومسامعه وبقلب مفتوح وبغبطة وبعقل متفتح استقبل التأويل والنقد من أقرب تلاميذته الذي انحرف بالعقلانية النقدية إلى اللامعقولية وأعني به تلميذه " بول فيرانبد" وألف كتابه "ضد "المنهج داعيا إلى ما يشبه الفوضية المنهجية وكذلك تلميذه اللآخر الذي يجله أيضا " إمري لاكاتوس" الذي وإن دافع عن العقلانية فإنه شاطر رأي بوبر.

تعتبر الأستاذة "يمني طريف الخولي" بالمشرق العربي أستاذة فلسفة العلوم ومناهج البحث بكلية الآداب جامعة القاهرة بحق بوفيراس العرب فيما يتعلق بالدراسات البوبرية الرائدة، فلقد كانت في رسالتها للماجستير المطبوعة سنة 1989 رائدة مدشنة لدراسات البوبرية حول كارل بوبر من خلال "كتابها فلسفة كارل بوبر"، منهج العلم، منطق العلم". [2]

الذي استفادت فيه من مؤلف "بريان ماجي" وقدمت فيه لأول مرة دراسة موضوعية دقيقة خاصة لمفهوم التكذيب ومبدأ قابلية التكذيب ودرجات التكذيب.

---

[1] مجلة العربي الكويت، عدد 462، مايو 1997، ص 197.

[2] يمني طريف الخولي ، فلسفة كارل بوبر، منهج العلم منطق العلم، الهيأة المصرية للكتاب 1989، ص 201

وأيضا مؤلف "فلسفة العلم في القرن العشرين" .... فيكفيهما شرفا أن فتحت ومهدت الطريق لدراسات جاءت بعدها كتلك الدراسة القيمية أيضا للدكتور محمد محمد قاسم، التي نجد فيها تركيزا أكثر وتحليلا أعمق للمشكلات التي تطرحها الابستيمولوجيا المعاصرة.

فلسفة كارل بوبر Popper منهج العلم... منطق العلم " لـ: يمني طريف الخولي، تعد الدراسة العربية الأشمل والأدق من الناحيتين المنهجية والأكاديمية إذ عرضت وناقشت الكثير من القضايا الايبستيمولوجية مثل مشكلة الاستقراء، السببية، الاطراد ونقدبوبر لهذه الخطوات ورفضها وتعرضت لمفهوم المعرفة الموضوعية، ونظرية العلوم الثلاث * وخطوة المحاولة والخطأ ومنهج العلم ومسار البحث العلمي وقد تحدثت الخولي مطولا حول أطروحة الوضعية المنطقية ومعيارها القادر على تميز العلم ونقد بوبر لهذه الأطروحة، كما تحدثت حول موقف هذا الأخير من الميتافيزيقا، وشرحت الأسس التي تقوم عليها معيار قابلية التكذيب، وكيفية تطبيقه في العلوم.

وقد تميز بحث الخولي بالشرح والتحليل والتعقيب لكل فصل من فصوله إلا أن انتصار هذا البحث لآراء بوبر وتأييد معياره دفع الباحثة إلى تهميش المعايير العلمية الأخرى والتقليل من أهميتها ودورها في تميز المعرفة العلمية عبر العصور، لدرجة أن القارئ يجد الخولي في بحثها هذا بوبرية أكثر من بوبر نفسه، ويمكن ذلك من خلال قولها الآتي "معيار القابلية للتكذيب بلا جدال أقوى وأصوب وأمتن منطقيا وفلسفيا وعلميا بما لا يقارن بهذا التحقق ولا ينبغي أن نأخذ في الاعتبار ما يتمتع به التحقق من شهرة فلسفية لم تحزها إلا أفكار قلائل في القرن العشرين..."[1].

ولم تكتف الخولي بإبراز نقاط معيار قابلية التكذيب المضيئة على حساب المعايير الأخرى فقط لكنها أبدت إعجابها الشديد بكارل بوبر بوصفه فيلسوف العلم المعاصر فهو " من أهم فلاسفة النصف الثاني من القرن العشرين، لأنه أقدر من استوعب وتمثل ومثل أحدث تطورات العلم المعاصر"[2].

ونجد أيضا من الذين يدعون أنهم أصحاب مشاريع فكرية في الفكر العربي المعاصر نأخذ موقف الأستاذ " علي حرب" صاحب كتاب " الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي" ففيه الفصل بعنوان " نقد كارل بوبر" تحت عنوان فرعي عقلانية ضيقة وليبرالية حصرية فكل ما في هذا الفصل لا يوحي بالنقد تماما وكان من خلال أحكامه الجزافية راح يحطم كل أطروحات منطق الكشف العلمي ويسمح لنفسه لأن يدعو القارئ العربي أن

[1] يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، منهج العلم... منطق العلم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989 ص 231.

[2] يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، منهج العلم... منطق العلم، المرجع السابق، ص 5.

يصرف اهتمامه بفكر بوبر لأنه لم يعد يصلح لنا نموذجا لكي نتمثل به العالم وأشياءه فيقول: " وبالإجمال فإن فكر بوبر لم يعد يصلح لنا نموذجا لكي نتمثل به العالم وأشياءه وربما لأننا لم نعد نفكر بطريقة نموذجية معيارية، ولأن العالم لم يعد موضوعا للتمثل بقدر ما هو علاقات تتشكل وممارسات تبتكر"[1].

ويعرف نظرية بوبر بقوله: أما بوبر فقد تعامل مع رأيه عنيت قوله بمبدأ التكذيب بوصفه صوابا لا يحتمل الخطأ، أي تعامل معه على نحو دوغماتي تعسفي كما تعامل الحقيقة الدينية نفسها، و لهذا يهاجم بعنف شديد خصومه من أصحاب المنطق الوضعي خصوصا زميله وعدوه فيدجنشتاين الذي كاد يشتبك معه في إحدى المجادلات الحامية وهذا ما حرم بوبر من الإفادة من كشوفات الوضعيين وجعل طريقته لا تصلح لأهل الحوار . [2]

وقد شهد الوطن العربي ظهور العديد من الكتب والمقالات تناولت أفكار أهم فيلسوف العلم في القرن العشرين ألا وهو كارل بوبر Popper, Karl 1902-1994، وذلك بعدما ذاع صيته في الأوساط الأكاديمية العربية، فعلى سبيل المثال كما سبق وذكرنا قامت الدكتورة المصرية يمني طريف الخولي بدراسة أكاديمية لفلسفة كارل بوبر حيث صدر لها عام 1988م كتاب بعنوان "فلسفة كارل بوبر" الذي وصفته قائلة: "... فإن الكتاب في صورته الراهنة ظل يحوي مجمل بوبر، بسائر عناصرها بل وتفاصيلها، لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا وعالجها بإطناب أو أشار إليها باقتضاب".

وفي هذا المؤلف صرحت بوضوح تام عن موقفها من فلسفته، حيث قالت: "... فقد أصبح من الواضح الآن أن فلسفة بوبر اتجاه عظيم أصيل مجدد متسق مترابط، يمثل إضافة حقيقية للفلسفة. وقبل أن يضيف ويبني يأخذ على عاتقه هدم الأوثان التي لا بل لأحد بمعارضتها، وعلى رأس هاتيك الأوثان الاستقراء وحصر الفلسفة على التحليل اللغوي... " . كما نجدها أيضا قد صرحت عن موقفها من الاستقراء، وهو موقف مماثل لما ذهب إليه كارل بوبر، تقول في هذا الصدد: " من يدرس أعمال بوبر بإتقان ونزاهة، لا بد حتما أن ينتهي إلى التحرج من التفوه بلفظ الاستقراء".

وفي موضع آخر من المؤلف تقول: " إن ما يجب أن نرفضه الآن هو اعتبار قوانين العلم أو قوانين البناء المعرفي في آية مرحلة من مراحله محض تعميمات للخبرة، وهذا الرفض أصبح الآن محصلة منطقية ضرورية...". يمكن أن يؤخذ طرحها على أنه دعوة إلى اللاستقراء، كما يظهر ذلك في جعل رفض الاستقراء ضرورة منطقية.

---

[1] علي حرب ، الماهية و العلاقة ، نحو منطق تحولي، المركز الثقافي العربي، بيروت ،1988، ص 116.

[2] علي حرب ، الماهية و العلاقة ، نحو منطق تحولي، المرجع السابق، ص 167، 168.

أما عن موقفها من نظرية بوبر في تمييز بين العلم واللاعلم على أساس إمكان التكذيب فهو الموقف المؤيد حيث قالت لكن "بوبر قد وفق في وضع معيار لا يستبعد الميتافيزيقا فحسب، بل أيضا كل ما ليس علما إخباريا لأنه بحق معيار للمعرفة العلمية إن الأغلبية لا تدري شيئا عن معيار القابلية للتكذيب القادر والراسخ والمكين... معيار القابلية للتكذيب بلا جدال أقوى وأصوب وأمتن منطقيا وفلسفيا وعلميا، بما لا يقارن بهذا التحقق". [1]

إن أقصى ما يمكن قوله، هو أن الدكتورة يمنى طريف الخولي تعد من الجيل المتأثر بفلسفة كارل بوبر بل ومن أشد أنصار فلسفته في الوطن العربي ويظهر ذلك في خطاباتها السالفة.

قدم الأستاذ "محمد محمد قاسم" الدراسات البوبرية بأطروحة بعنوان " نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي" المطبوعة سنة 1986 ورغم جهد صاحبها إلا أنها جاءت مبتورة فالأستاذ تطرق عرضه لموقفه من الاحتمال والحتمية واللاحتمية الابستيمولوجية التطورية ولم يعد إلى الكتب المتخصصة البوبرية التي توسعت وبينت النظرية البوبرية حول الابستولوجيا التطورية و التفسير الموضوعي للاحتمالات. [2]

في مقابل نظرة يمنى طريف الخولي الشوفينية – إن صح التعبير– نجد الدكتور محمد محمد قاسم قد تناول هو الآخر فلسفة كارل بوبر Popper في كتاب له بعنوان كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، حيث اعتبرها ناجحة لأنها تنادي بالتجديد في مسار العلم والمعرفة ولا تتوقف على التقليد وهذا ما جعلها علامة بارزة في تاريخ تطور الفكر الإنساني، لكن الدكتور محمد قاسم سلك اتجاها مغايرا لما ذهبت إليه الدكتورة يمنى طريف الخولي، حين رفض موقف بوبر المناهض للاستقراء حيث يقول: " إذا كنا نتفق مع بوبر في أن نهجه بصفة عامة هو وصف لما تم بالفعل في تاريخ العلم، إلا أن ذلك لا يدعونا إلى الاستغناء عن الاستقراء كمنهج على الأقل في بعض تطبيقاته.... لا نوافق بوبر إذن على أن الاستقراء مجرد أسطورة، وإنما هو وسيلة طيبة ثبت فعاليتها حتى الآن في الحياة اليومية وفي بعض التجارب المعملية على الأقل". [3]

وهذا الموقف الرافض الذي تبناه محمد محمد قاسم تجاه فكر بوبر Popper حول رفضه للاستقراء يتقاسمه مع كل من الدكتورة حنان علي عواضة في كتابها الموسوم النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر بين التجربة والميتافيزيقا، والدكتور محمد محمد السيد في مؤلفه التمييز بين العلم واللاعلم تقول حنان علي عواضة:

---

[1] يمنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر، منهج العلم منطق العلم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.

[2] محمد محمد قاسم، كارل بوبر، نظرية العلم في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعة الاسكندرية 1986، ص195.

[3] محمد محمد قاسم، في الفكر العربي المعاصر، رؤية علمية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2001، ص 78.

" إن بوبر – في رأينا – قد بالغ في رفضه لمبدأ الاستقراء حيث هناك قضايا لا يمكن معرفتها إلا من خلال الاستقراء الذي قد يساعدنا على إيجاد القوانين العلمية، مثل النار تحرق، أو قطع رقبة كائن... إلخ، ومن الخطأ رفض مبدأ الاستقراء بصورة مطلقة، هذا من جانب ومن جانب أخر قد يكون هذا المبدأ، في بعض الحالات ضعيف أي لا يوجد ربط بين "العلة والمعلول" كالمثل الذي جاء به رسل في الإشارة إلى الفرخ الذي يذهب إليه الإنسان كل يوم لإطعامه... ويأتي يوم يذهب إليه ليذبحه، أو كمثل الحركة داخل الذرة".

أما عن أهمية ما قدمه كارل بوبر Popper فإنها تقول: " قد ساهم إسهاما واضحا في تطوير العلم، وأعطى النظريات العلمية دفعة جديدة إلى الأمام، وذلك من خلال تأثيره المباشر على تطور النظريات العلمية في القرن العشرين. وهذا يؤكد لنا أن بوبر يعد من الفلاسفة الذين حاولوا تنقية الأفكار والنظريات الفلسفية من كل ما هو غير علمي"[1].

ونأتي الآن إلى المغرب العربي حيث يعتبر الأستاذ " فتحي التريكي" واحدا من أبرز مفكري العالم العربي المعاصرين المتفتحين على مقاربات متنوعة مختلفة فلسفية معاصرة من ضمنها مقاربة العقلانية النقدية التي أدخلها ووظفها بذكاء في دعوته إلى التفتح الابستمولوجي والسياسي وهي فلسفة متفتحة أيضا على فلسفات مفتوحة أخرى، فهو ينطلق بحدق وذكاء من جيل "دولوز" و " "فوكو" و دريدا" إلى " بوبر" و" هابرماس " ويعد كتابه " الفلسفة الشريدة" 1987 وقراءات في فلسفة التنوع و" فلسفة الحداثة " بالاشتراك مع زوجته السيدة "رشيدة التريكي" وهو يواظب على فهم وتمثل أفضل للفكر الغربي المعاصر، واعتقد أنه يمثل نموذجا فكريا متميزا للوطن العربي الذي يحتل صدارة اهتمامه. وهو يمثل حاليا كرسي اليونيسكو بتونس.

ولعل من أبرز القيم الفكرية التي استعارها من بوبر Popper ضمن قيم أخرى في فلسفات أخرى جمع بينها في مقاربة ذكية متجانسة هي فكرة التفتح والأستاذ تريكي تفتح على الفلسفات المفتوحة المناهضة للجمود والانغلاق ملخصا فلسفته المفتوحة التي تربطها بفلسفة بوبر ونتائج قربى وثيقة :" إنها الحرية حرية التفكير حرية الكلمة حرية الحياة والموت، ولأنها كذلك فهي دائما قتيلة والقاتل ليس شخصا معينا، وليس جهارا محددا، بل هو في كل مرة مجموعة من المعطيات المختلفة تارة تكون علمية وتارة أخرى سياسية ودينية ولكنها ترتدي دائما ثوب معقولية الفكر ومنطقية الواقع، فاسم العقل العلمي الرياضي يتم إعدام الفلسفة حيث أنها حديث صالونات ومتاهات ميتافيزيقية لا طائل من ورائها ... وباسم السلطة الدينية والسياسية

[1] حنان علي عواضة، النزعة العلمية في فلسفة بوبر، بين التجربة والميتافيزيقا، ط4، بيروت، دار الهادي، 2002، ص 147.

يحاكم الفيلسوف حيث أنه مفسد الشباب ولكن الهدف من تقتيل الفلسفة هو في حقيقة أمره محاولة لإعدام الحرية ... فالفلسفة المفتوحة تحرر العقل وتقوده نحو فضاءات غير محدودة من الفكر والخيال". [1]

وكثير من الاقتباسات الذكية في أعماله هي أعمال بوبر وفلسفته فبالإضافة لدعوة التفتح والعقل الكوني ورفض الواحدية الدوغماتية واعتماد التعدد والتنوع ومعقولية العالم باعتماد النقاش النقدي المفتوح لأن منطقية العقل المتنوع كما يقول " ستحل شيئا فشيئا في محل منطقة العقل الموحد وتكون فلسفة التنوع هي فلسفة المستقبل العلمي، إذ أن العلوم الآن قد اكتشفت أن للتنوع الطبيعي والاجتماعي أهمية قصوى لفهمنا لطبيعتنا وأن العقل" الموحد" قاصر على دراسة الواقع بتعقيداته وكثرته وتغيره المستمر لأنه يصبو إلى المعرفة الكلية والشاملة "[2].

ونجد أيضا بحوث هامة حاولت تقديم وتحليل مرجعيات الفلسفة المفتوحة التي يدعوا إليها الأستاذ التريكي ومختلف تطبيقاها في الحقول المعرفية البحوث التي يأتي على رأسها البحث الهام لتلميذه الدكتور"الزواوي بغورة" المرجعية الفكرية للفلسفة المفتوحة عند "فتحي التريكي" مركزا على الخصوص على حضور "ميشل فوكو" في دعوة التفتح عند "فتحي التريكي" وأسسها الابستيمولوجية والإيديولوجية وتطبيقاتها على تاريخ الفلسفة بوجه عام والفلسفة العربية الإسلامية بوجه خاص ومكانتها ضمن دعوات أخرى لمفكرين عرب معاصرين وحدود وأفاق هذه الدعوة مستقبلا. [3]

كما نجد كذلك بحثا هاما للأستاذ "بن مزيان بن شرقي" وهو دراسة هامة أيضا تتعرض لانتقال الدعوة إلى فلسفة التنوع المفتوحة إلى مرحلة التطبيق على التاريخ لتصبح فلسفة للتاريخ تتجاوز كلياته وشمولية الخطاب التاريخاني القديم في مسعى تصحيحي يتناول مشكلة المعرفة والسلطة خارج المناهج الميكانيكية السابقة. [4]

وإعجابها بفلسفة بوبر العلمية لا يعد هفوة منهجية أو نقصا ابستيمولوجيا لا يمكن تجاوزه ولكنها في الوقت الذي تكرس فيه بحثها لتسويغ هذا الإعجاب وتأييد ركائز معياره تذكر في الخاتمة أن :" أهم ما نسجله عليه بوبر هو وجوده وثباته إذ لا يمكن أن نجد تطورا له أو مراحل لتفكيره فما يقوله الآن هو ما قاله منذ ثلاثين أو أربعين عاما ،آراؤه الفلسفية، واتجاهاته الفكرية في جوهرها ثابتة لا تتغير إن قليلا وإن كثيرا، وكل ما

---

[1] فتحي التريكي، الفلسفة الشريدة دراسات في الفلسفة المعاصرة، مركز الانتماء القومي ، 1987، ص 56.

[2] فتحي التريكي، قراءة في فلسفة التنوع الدار العربية للكتاب، 1988، ص 12.

[3] الزواوي بغورة المرجعية الفكرية للفلسفة المفتوحة عند فتحي التريكي في مجلة أوراق فلسفية عدد 2، 3 يناير يونيو 2001 ، مصر ص ص 143، 163

[4] بن مزيان بن شرقي ، من فلسفة التنوع إلى فلسفة التاريخ أوراق فلسفية، عدد 32، ص 167، 184.

يفعله في إخراج عمل جديد هو أن يضيف إثباتا جديدا أو برهانا جديدا لرأيه السابق ... أو يضيف تأريخا لفلسفة أو فيلسوف، تأريخا جديدا يثبت به وجهة نظره التي لا بد أن يكون قد قالها منذ عشرات السنين ويقولها الآن و سيظل يقولها". [1]

"من الابستيمولوجيا إلى المجتمع، التاريخانية والمجتمع المفتوح عند بوبر " لـ فؤاد محمد ناصيف خير بك يسعى هذا البحث إلى توضيح مصطلح " التاريخانية " كما عرضه بوبر في كتابه " عقم المذهب التاريخي" وتقديم دراسة شمالة حول مفهوم " المجتمع المفتوح" من خلال كتاب " المجتمع المفتوح و أعداؤه" تناول خير بك في الفصول الأولى من هذا البحث موضوعات عامة ومتمثلة بفلسفة بوبر منها:

- المعرفة العلمية الموضوعية وكيفية نموها.
- المنهج العلمي ومشكلة الاستقراء ونقد بوبر لهم.
- وحول معيار قابلية التكذيب .
-كما تحدث حول التاريخانية وأفكارها شارحا ومرتبا انتقادات بوبر بصدد الاتجاهين الذين يمثلان التاريخانية.

المؤيد للمذهب الطبيعي والآخر المعارض له بعد ذلك تكلم " المجتمع المفتوح و أعداؤه" فذكر نقد بوبر لكل من أفلاطون وهيغل وماركس ورغم إشكالية هذا النقد والمساحة المتاحة للمناقشة والأخذ والرد إلا أن الباحث لم يعلق أو يناقش نقاط كثيرة لأنه مؤيد بالمطلق للفلسفة البوبرية. [2]

"النزعة العلمية في فلسفة بوبر بين التجربة والميتافيزيقا " لحنان علي عواضة يهدف البحث إلى عرض وجهة نظر بوبر بصدد الاتفاق بين التجربة والميتافيزيقا في العلوم لذلك تناولت أفكار بوبر بشكل عام وشامل ويتضح ذلك من خلال حديثها في الفصل الأول حول المنهج الاستقرائي ونقد بوبر له وللوضعية المنطقية التي أبعدت الميتافيزيقا ورفضتها من السياق المعرفي في حين برهن بوبر على أهميتها في تأسيس نظريات علمية، ثم تعرضت لمعيار قابلية التكذيب وخطوطه العريضة.

وتحت عنوان "المذهب التاريخي بين العلم والميتافيزيقا" ذكرت ما يرفضه بوبر من نظريات ذات طابع، تاريخاني والاختلاف بين آرائه ووجهات نظر " إدوارد كار" ومن خلال قراءتي لهذا الفصل تبين لي:

---

[1] بن مزيان بن شرقي ، من فلسفة التنوع إلى فلسفة التاريخ أوراق فلسفية، المرجع السابق، ص 521.

[2] خير بك ، فؤاد محمد ناصيف من الابيستمولوجيا إلى المجتمع، التاريخانية و المجتمع المفتوح عند بوبر، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 2002، ص 385 .

أن بحثها وأذكر هنا حنان عواضة بحثها رغم حداثته إلا أنه اقتصر على تبين جانب واحد فيما يخص وجهة نظر بوبر Popper في التاريخ وهو الجانب الزائف لكن يوجد جوانب اتضحت بجلاء في كتابه " أسطورة الإطار" إذ تحدث حول التماثل القائم بين المنهج الفعلي للتاريخ والمنهج الفعلي للعلم الطبيعي وشرح الكيفية التي يستطيع المؤرخ دراسة المواقف التاريخانية فضلا عن ضرورة تحديد خطة للتاريخ ومنحه معنى ما.

بعد أن ذكرت رأي بوبر فيما يخص التاريخ استعانت بأفكار إدوارد كار بوصفه معارضا لوجهة نظر بوبر إلا أنها تتخذ موقفا مؤيدا أو معارض أو حق توفيقيا. [1]

كما ذكرت الباحثة وجهة نظر بوبر حول الجانب الميتافيزيقي لنظريتي التطور عند لامارك وداروين وعدم قابليتها للاختبار والتكذيب ثم عرضت منهج بوبر التطوري ونظرية في العوالم الثلاثة وفي نهاية البحث قامت الباحثة بتلخيص شامل لما عرضته في صول بحثها دون أن تبدي رأيها بشأن قضايا مباشرة للجدل وأهمها مناقشة الخطوة التي خولت لبوبر الجمع بين الميتافيزيقا والتجربة وفي الوقت نفسه استبعاد كل من النظرية الماركسية والتحليل النفسي ونظريتي لامارك وداروين. [2]

كارل بوبر مائة عام من التنوير ونظرة العقل: لـ عادل مصطفى يعد هذا العمل بمثابة تكريم لبوبر، واعتراف بأهمية ما قدمه لفلسفة العلوم، إذ قام بترجمة صفحات من كتابيه:" الحدوث الافتراضية والتفنيدات" و" النفس ودماغها " وهما من الكتب الغير مترجمة للعربية للآن تحدث في الفصل الأول حول مذهب التكذيب وأهم ركائزه المنهجية كما عالج أيضا في الفصول الأخرى عن معيار بوبر التكذيبي ونظرية التحليل النفسي وأهم الأسباب التي جعلت هذه الأخيرة زائفة، وتحدث حول النفس ودماغها وعلاقتها بالعوالم الثالث، كما تحدث في الفصل الرابع عن المجتمع المفتوح وأعداؤه أفلاطون، هيغل، ماركس وشرح نقد بوبر لهندسات الاجتماعية الشمولية وأطروحته حول الهندسة الاجتماعية الجزئية. [3]

ويعد بحثه من الأبحاث العربية المهمة بسبب التناول الموضوعي والمعالجة الابستيمولوجية السليمة لأفكار بوبر، فقد أثار الكثير من القضايا التي تحتاج إلى دراسة وتدقيق مثل الفروض المساعدة والعبارات الأساسية ونقد بوبر للماركسية.

---

[1] عواضة حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة بوبر، المرجع السابق، ص 147.

[2] عواضة حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة بوبر، المرجع نفسه، ص 147

[3] مصطفى عادل، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونظرة العقل، ط1، بيروت، دار النهضة العربية ، 2002، ص75 .

كارل بوبر فيلسوف العقلانية العلمية" ل كامل محمد محمد عويضة" رغم العنوان الكبير لهذا الكتاب إلا أنه اقتصر على ذكر أفكار بوبر بشكل عام ومنها: المعرفة الموضوعية ونظرية العوالم الثلاثة ومشكلة الاستقراء وتاريخها، ونقد بوبر لهذا المنهج ثم تحدث حول منهج التطوري ذي الصبغة الداروينية ويمكن عرض أهم ما جاء به الكتاب من أفكار من الصفحة 5 إلى 109 يتحدث حول بوبر فلسفته ومعياره، ومنهجه العلمي من الصفحة 110 إلى 192 شرح لبعض المعارف الابستمولوجية مثل خصائص الطريقة العلمية، نشأة العلم، الحتمية، حساب الاحتمالات، مبدأ النسبية ...[1]

القسم الثالث من كتاب: في الفكر الفلسفي المعاصر رؤية علمية "تحدث على مدار سبعة فصول حول بوبر فذكر: سيرته منهجه معياره ، نظرية المعرفة عند بوبر منهجه التطوري، عالم المعرفة الموضوعية الذي هو العالم الثالث حسب مفهوم بوبر، فيما تناول في الفصل الأخير تقويما لفلسفة بوبر ومعياره، إذ انتهى إلى نتائج غاية في الأهمية الابستمولوجية منها:

لم يستطع معيار بوبر التكذيبي التخلص من الاستقراء و إن تطور المعرفة من وجهة نظر بوبر مشابه للنزعة التطورية الداروينية، أما إقرار بوبر بتوافر المعرفة الموضوعية في العالم الثالث فيعد خطوة تحصينية قام بها ليخفف من النزعة الشكية التي توزعت من مفاصل فلسفته. [2]

الاستقراء والحدس في البحث العلمي" من تأليف بيتر" مدور وترجمة "د محمد شيتا" تكمن أهمية هذا الكتاب في معالجته الابستيمولوجية لمنهجين علميين هما المنهج الاستقرائي والآخر الفرضي الاستدلالي، فمن خلال استعراضه لمشاهدات وتجارب حدثت في تاريخ العلم يدلل مدور على جوانب ضعف المنهج الاستقرائي وثغرات لم يستطع أنصاره تجاوزها في المقابل يشرح خطوات المنهج الفرضي الاستدلالي ومزاياه العلمية وفاعلية تطبيقه في العلوم الطبيعية ويعد خير من مثل ودافع عن هذا المنهج كارل بوبر وتلفت انتباه القارئ لهذا الكتاب نقاط عدة منها:

اللغة، الكتابة، والمنظمات من هياكل مادية وأخرى معنوية، ويرى بذلك بوبر أن التقدم العلمي ليس نتاجا لجهود معزولة ولكن هو التنافس الحر للفكر، أي تنافس الفروض نحو الاختبارات الحاسمة والذي تمثيلا شخصيا في الوسط الاجتماعي، ومنه فلذلك يجب أن تنظم هذه المؤسسات وتحمى بالقانون لنضمن سير

[1] عويضة كامل محمد محمد، كارل بوبر فيلسوف العقلانية ، ط1، بيروت دار الكتب العلمية 1995، ص 148

[2] محمد محمد قاسم، في الفكر الفلسفي المعاصر، رؤية علمية ، ط1، بيروت، دار النهضة العربية ، 2001 ص214.

التقدم وعمل تلك العوامل السابقة الذكر مثل أن التقدم يتأثر كثيرا بالمؤسسات السياسية لاسيما وأنها تحفظ حرية الفكر كما يتأثر بالديمقراطية كمؤسسة سياسية. [1]

بل إن محاولة كونت وميل رد العلوم الاجتماعية إلى علم النفس تحكم على نفسها بالفشل مبدئيا لأن العامل الإنساني هو الأكثر تمردا على أي قانون والأكثر لزوجة وإبداعية في الحياة الاجتماعية عالم مليء بالمفاجآت يغير سلوكه في أي لحظة تحت أي ظرف لا يمكن توقعه ولا التنبؤ به وبالتالي فأية قوانين يمكن أن نرد إليها علم الاجتماع ككل؟.

يرى بوبر Popper أن هؤلاء وغيرهم من التاريخانيين الذين يؤمنون بقوانين في الطبيعة البشرية أو قوانين تاريخية لا مفر منها إنما يعطلون تقدم الإنسان الفعلي بتعطيل المؤسسات الاجتماعية التي تؤمن بالتقدم العلمي وحرية تنافس الفكر التي يقوم عليها العلم والموضوعية فإذا أردنا أن ينمو العقل ونحفظ العقلانية الإنسانية فلا يجب التدخل في تنوع الآراء والفكر إلا بالمعايير العلمية والنقد والحجة و يبدو أن بوبر بهذا الطرح مخلصا لمبرهنته التي طرحها في مقدمة كتابه عقم المذهب التاريخاني حول إمكانية وجود أي نوع من القوانين التطورية– التاريخية التي تمكن من التنبؤ بمسار التاريخ حيث برهن على ذلك بأن مسار التاريخ مرتبط مباشرة بتقدم معارفنا وبما أنه يمكن التنبؤ بما يمكن أن نعرف غدا فلا يمكن أن تتنبأ بمسار التاريخ في المستقبل، وبالتالي فهو هنا يرى أن أي محاولة للتحكم في التقدم أو التطور على أساس نزعة تطورية فهو ضرب من العملية الانتحارية كونه يتدخل في عملية التقدم العلمي التي تسير وفق انتخاب لا يحكمه قانون. [2]

ما تم ملاحظته أنه لم يهتم المثقفون العرب كثيرا في الستينات من القرن الماضي بفكر بوبر الاجتماعي والسياسي، رغم أنه كان يعتبر من أهم فلاسفة السياسية والاجتماع في الغرب، وذلك مرده إلى وقوعهم تحت تأثير الفكر القومي والاشتراكي الذي كان سائدا في تلك الفترة، وكان يدعو إلى أنظمة شمولية تمجد الأفكار الطوباوية حول عظمة الأمة– العربية – الواحدة، وحول وصول الشيوعية– بنسختها العربية– إلى تحقيق العدالة والمساواة. إن بوبر لا ينفي وجود مآسي والمظالم اجتماعية واقتصادية في المؤسسات القائمة لكنه، يدعو إلى التعبير عبر سياسة الإصلاح الجزئي التدريجي وليس عن طريق الثورات والانقلابات التي تؤدي إلى الفساد وسفك الدماء البريئة، لذلك دافع عن الديمقراطية واعتبرها أداة ناجحة لتحقيق التغيرات السياسية والاجتماعية تدريجيا، ويستشهد بوبر في هذا السياق بعبارة الزعيم الإنكليزي ونستون تشرشل التي يقول فيها: "إن الديمقراطية هي أسوأ أشكال الحكم، باستثناء الأشكال الأخرى التي هي أسوأ منها"، وأفكاره هاته تحكي

[1] Ibid, pp.154,155.
[2] Ibid, p.159.

نتيجة اختبار إنسان مفكر، عرف الشيوعية في شبابه أيام ستالين، واختبر الديكتاتورية مع هتلر، وعاش الديمقراطية مع مارغريت ثاتشر وأسس فلسفته السياسية والاجتماعية على أسس منطقية ابستيمولوجية. [1] ذات منطلقات واقعية.

ولا نقول هنا أنها أفكار كاملة ولكن على الأقل يمكن أن نصفها بالواقعية وأنها تبدو النموذج الأصلح، لاسيما وأن النقد محورها فهي أفكار متواضعة ولا تدعي الكمال، وتبدو هنا الحاجة أكثر إلحاحا وطلبا مع ما يسمى الربيع العربي، فإن تقسيم بوبر إلى مجتمعات "متفتحة" وأخرى "منغلقة" بمعنى ما يدل على أن ذلك النص لا يزال ذا أهمية وصلة واضحة جدا، بل إنه يجب على الأقل الإطلاع على هاته الأفكار، فقد اتضح تماما المعنى الذي كان يسعى إليه بوبر حين جعل من خصائص المجتمع المتفتح أن يكون مستوعبا للتغيير السلمي وحقن الدماء، وأقول الاستيعاب الأخلاقي من خلال التنشئة الاجتماعية، لأن الإشكالية تربوية في الأساس، إنها إشكالية تكوين العقل الاجتماعي ليكون جاهزا لمثل هذه الظروف.

ويرى بوبر Popper من خلال تطويره لنظرية العوالم الثلاثة لاسيما عالم المنتجات المعرفية- العلمية، الفكرية الفنية- الموضوعية، وفكرة استقلاليتها أنها قابلة للتغير والتغيير، وفي تفاعل دائم بينها وبين الذوات الإنسانية المنتجة لها، وتظهر في ذلك نقطتين أساسيتين من خلال فكرتيه حول وظائف اللغة وخاصة تلك التي أضافها للثلاثة التي صاغها أستاذه بوهلر[2] ، والتي تمثلت في الوظيفة الحجاجية، وبهذا الطرح وفي هذا السياق يمكن القول أن أفكار بوبر تكتسب أهمية كبيرة في ربطها بين اللغة والعقل، على أساس أن موضوعية طرح ما هو عملية الحس المشترك، أو الإدراك الجماعي للموضوع بتعرضه لعملية النقد المتبادل أو البين الذاتي، ويمثل هذا جانبا كبيرا من نظرية الفعل التواصلي لهابرماس، حيث يمكن ملاحظة تفطن بوبر للعلاقة الموجودة بين اللغة الفكر والعلم والواقع والذات الإنسانية، إلا أن بوبر كان طرحه في ذلك ابستيمولوجيا منطقيا ذو أهداف وقواعد تطبيقية، حيث أن في عملية تفاعل العالم الثالث والذوات الإنسانية عملية تغير وتغيير، وهي بالنقد البين الذاتي تطور وتطوير، وبالتالي فهي عملية مستمرة تقتضي الإبداع المتواصل، على أن البشر في حالة الاجتماع أو النقاش النقدي قادرون على إنتاج ثقافة تتجاوز ثقافتهم الراهنة وعلى أساس التفاعل بين العوالم هم قادرون على تشكيل وإعادة تشكيل العقل النقدي والقيمي، لأن عملية بناء العقل الجمعي الذي على

---

[1] موريس أبو ناضر، كارل بوبر داعية انفتاح وعداء للفكر الشمولي، (http://www.alhayat.com) 2017/08/23، 18:55.

[2] Karl Popper, The Objective Knowledge. p.235.

أساسه تسير الحياة الاجتماعية بقوانينها حدودها واتجاهاتها، هو بالنسبة لبوبر عملية متواصلة للنقد البين الذاتي.

إذن فالعقلنة التي تكلمنا عنها عند بوبر من خلال أفعال الكلام هي عقلنة تهدف لإعادة بناء عقل أو إعادة بناء القيم أو إحياء القيم مثل الإنسانية، وقيمة النفس البشرية، والحرية، من خلال أفكار مثل المجتمع المتفتح وموقف العقلانية النقدية، وتقبل الرأي الآخر، ونزعة اللاعصمة كلها عناصر لغوية ذات مفاهيم عملية ممارساتية، وتجسد أهمها في تساؤله عن كيفية التغيير السياسي دون إراقة دماء وبأخف الأضرار، وقد كان ذلك هو السؤال المحوري في كتابه المجتمع المتفتح وأعداؤه.

أما الدكتور محمد محمد السيد فقد صرح أننا " نستطيع أن نضع كارل بوبر، دون أدنى مبالغة في مقام الفلاسفة العظام الذين أثروا الفكر الفلسفي والعلمي معا" لكنه اتخذ موقفا سلبيا تجاه فكرة كارل بوبر القائلة برفض الاستقراء حيث يقول : " ينطلق هجوم بوبر على الاستقراء من فهم خاطئ لطبيعة المنهج الاستقرائي، فقد اعتقد أننا نستطيع الاستغناء عن تصورات منهجية معينة كالصدق والكذب والاحتمال وغيرها..." وفي موضع آخر من الكتاب يقول: "وعلى الرغم من اتفاقنا مع بوبر في القول بأهمية القابلية للتكذيب، إلا أننا لا نستطيع أن نغفل دور الاستقراء في العلم، ولا نستطيع أن نوافق على قول بوبر بأننا لسنا في حاجة إلى الاستقراء على الإطلاق. إن مجرد فكرة التعلم من الخبرة تقوم على أساس استقرائي، بل إن مفهوم العقلانية وهو أحد المفاهيم المفضلة لدى بوبر، يقوم أيضا على أساس استقرائي".

أما عن موقفه من معيار إمكان التكذيب فإنه صرح قائلا: " على الرغم من ثبات بوبر في موقفه الرافض للاستقراء والاحتمال إلا أن معيار القابلية للتكذيب ذاته لا يمكن أن ينجح في تفسير نمو المعرفة العلمية، أو في التمييز بين العلم واللاعلم دون الاستعانة ببعض مبادئ الاستقراء"[1]. كما قام محمد السيد بنقد فكرة "عبارة "الأساس" Propositions de Base واعتبرها بديلا لقضايا البروتوكول Propositions Protocolaires عند الوضعيين المناطقة، على اعتبار أن هناك علاقة بين عبارات الأساس والخبرات الحسية.

1- معيار إمكان التكذيب البوبري والتأويل العربي:

أرى أن أقدم بعض الملاحظات حول ما سبق، فأقول أنه رغم حضور كارل بوبر في كتاباتنا العربية، ورغم أن بعض أفكاره تعرضت لانتقادات من طرف مفكرين العرب إلا أنه يؤخذ على مفكرينا أن قراءتهم كانت سطحية وسلبية – إن صح التعبير – لأنها أولا لم تطرح أي بديل وثانيا وجدت بعض الدراسات

[1] محمد محمد قاسم، كارل بوبر نظرية العلم في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1986، ص 97.

أساءت وابتعدت عن فهم بعض الأفكار البوبرية، سواء تلك التي تتعلق بمفهوم النظرية العلمية عند كارل بوبر، أو التمييز بين العبارة الكلية والعبارة الشخصية الوجودية، المنهج الاستنباطي كما تصوره بوبر، عدم التمييز بين. إمكان التكذيب كمعيار للعلم والتكذيب كممارسة إجرائية.

1-1- مفهوم النظرية العلمية:

الملاحظة الأولى التي يمكن إبداؤها هي أن بعض الدارسين لفلسفة كارل بوبر لم ينجحوا في ضبط بعض المفاهيم البوبرية، كالنظرية العلمية، المنهج الاستنباطي الخلط بين مصطلح التكذيب وإمكان التكذيب. فمثلا يقول الدكتور ماهر عبد القادر حمد علي يقول في مقدمة كتاب منطق الكشف العلمي الذي ترجمه عام 1986: "...إما العبارات الشخصية فهي دائما تشير إلى ما يمكن ملاحظته مباشرة في قطاعات مخصوصة من الزمان والمكان، ولا تنتمي العبارات الكلية إلى مثل هذا التحديد وإنما تشير إلى كل قطاعات الزمان والمكان..."، و بعد هذا صرح قائلا: " إن بوبر ينظر للنظريات العلمية على أنها نظريات وصفية فهي تشير إلى ما قد نلاحظه في أي قطاع من الزمان والمكان".

الملاحظ لهذين النصين يجد أن صاحبها لم ينجح في ضبط مفهوم النظرية العلمية عند كارل بوبر حيث وقع في يتناقض مع نفسه، فهو من جهة، يعرف العبارة الكلية بأنها تشير إلى كل مجال زماني ومكاني، باعتبارها تعميميات كلية غير معروفة زمانا ومكانا، ومن جهة أخرى، يعتقد أن النظريات العلمية عند كارل بوبر هي نظريات وصفية لما نلاحظه في أي مجال من الزمان والمكان، لكن لو كانت النظريات العلمية كما اعتقد وصفية لوجب أن تكون تقريرية وجودية، لأنها والحال هذه ستصف وتثبت وجود حالات واقعية ملاحظة، في حين النظريات العلمية ينظر إليها كارل بوبر على أنها عبارات كلية إنها فروض صورية لا وجودية فهي لا تقرر أي شيء بل تمنع وجوده يقول بوبر في هذا الصدد: " النظريات العلمية هي عبارات كلية"، وفي موضع آخر من كتابه منطق الكشف العلمي يصرح العبارة الكلية هي عبارة صارمة لا تشير إلى مجال زماني مكاني معين، و في سياق الحديث، جدنا أيضا الأستاذ لخضر مذبوح يقول في مقاله الموسوم "كارل بوبر ومشكلة المعرفة الاستقرائية": " النظرية العلمية عند بوبر نسق أكسيومي مكون من قضايا تحليلية كلية تسمح بمساعدة شروط أولية مناسبة، بإعطاء تفسير علي أو سببي، لوقائع معبر عنها بقضايا شخصية énonces Singuliers أو الذي منه نقوم بالتنبؤ". المأخذ على صاحب النص هو أن ما أورده ليس بتعريف حقيقي للنظرية العلمية عند كارل بوبر، خصوصا أنه تجاهل التمييز بين العبارة التركيبية والعبارة التحليلية هل يعقل كما اعتقد صاحب النص أن تكون النظرية العلمية عند بوبر قضية تحليلية، وكارل بوبر ذاته يصرح بأن النظريات العلمية هي

عبارات كلية والعبارة الكلية هي عبارة تركيبية لا تحليلية[1] فمن المفروض، مجرد القول عبارة تحليلية يفهم أنها عبارات تكرارية أو تحصيل حاصل Tautologies إنها لا تقرر أي شيء عن الواقع الخارجي، فعلى سبيل المثال لا الحصر العبارة القائلة: "كل أعزب غير متزوج"، نستطيع بالتحليل التأكد من أن كلمة "غير متزوج" ما هي إلا تكرار لكلمة "أعزب"، فالمحمول غير متزوج لا يضيف إلى الموضوع أعزب شيئا جديدا المحمول هو الموضوع نفسه. كما أن القضية القائلة: "2+2=4" ليست إلا تحليلا وتكرارا، فالعدد "4" يتضمن العدد "2" مرتين.

والقضية التكرارية في المنطق المعاصر هي العبارة التي تكون صادقة في جميع الحالات أي يستحيل بطلانها إنها ترادف القانون المنطقي، ومعيار الصدق والكذب في هذه العبارات يقوم على أساس منطقي أي يشترط فيها لتكون صادقة عدم الوقوع في تناقض، وهذا النوع من العبارات التحليلية نجده في العلوم الصورية. أما العبارات التركيبية أو كما تسمى بلغة المنطق القضايا العارضة يحتمل صدقها ويحتمل بطلانها، فإنها عبارات العلوم التجريبية مثال ذلك "كل المعادن تتمدد بالحرارة " هذه العبارة تنقل خبرا عن العالم الواقعي، فهي إذن إخبارية ولا يُعرف صدقها أو كذبها بالرجوع إلى ذاتها كما هو الحال في القضايا التحليلية – وإنما إلى شيء خارج عنها، وذلك يتم بين ما تقوله العبارة وواقع العالم الخارجي، وهذا النوع من العبارات التركيبية نجدها في العلوم التجريبية ولا يعقل أن يرتكب كارل بوبر الخلط بين العبارات التحليلية والتركيبية.

1-2- المنهج الاستنباطي:

أما فيما يخص مسألة ضبط مفهوم المنهج الاستنباطي عند كارل بوبر، فإننا وجدنا أيضا بعض الأخطاء تتعلق في عدم ضبط المفهوم، فعلى سبيل المثال ورد في كتاب الدكتور الشريف زيتوني: مشروعية الميتافيزيقا من الناحية المنطقية ما يلي: " إن هذا التعميم كل الغربان سود في نظر بوبر لا يمكن التحقق من صدقه لمجرد رؤيتنا لمجموعة متناهية من الغربان في حين يمكن تكذيبه بملاحظة حالة واحدة لغراب " هذا النص يحمل في طياته خطأ مفاده أن العبارة الكلية القائلة: كل الغربان سود يمكن تكذيبها بالعبارة القائلة: [يوجد غراب أسود]، في حين أن التعميم القائل : [كل الغربان سود] يمكن تكذيبه بملاحظة حالة واحدة سالبة لغراب أسود، أو نقول، بملاحظة وجود حالة واحدة لغراب لا أسود، وهذا وفق قاعدة رفع التالي التي تنص على أن تكذيب الكليات يكون بتكذيب العبارات الشخصية الوجودية التي تتناقض معها رفع" التالي يؤدي إلى رفع المقدم إضافة إلى هذا يمكننا الإشارة إلى أن الأستاذ الدكتور أخطأ فهم القاعدة المنطقية الاستنباطية التي يقوم عليها

[1] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، تر: عبد الحميد صبرة، دار الساقي، بيروت، ط1، 1992، ص5.

معيار إمكان التكذيب البوبري، حين قال: هذا المفهوم الاستقراء لا يمكن أن يستقيم مع المنطق البوبري الذي ينطلق من قاعدة منطقية صورية استنباطية تقول: " إذا كان صدق الكليات يؤدي إلى صدق الجزئيات، فإن صدق الجزئيات لا يسمح لنا أن نحكم على الكليات بهذا الصدق وإنما نكتفي بالقول عنها إنها غير معروفة، ولهذا فإن نتائج الاستنباط تكون يقينية دائما". [1]

في حين المنطق البوبري ينطلق من قاعدة منطقية استنباطية خالصة هي قاعدة رفع التالي Modus Tollens، يقول بوبر من الممكن، بالتالي، أن نبرهن بصدق العبارات الشخصية على كذب العبارات الكلية بواسطة استدلالات استنباطية خالصة هي حالة الرفع بالترفع في المنطق الكلاسيكي ويقول أيضا: " قبول صدق بعض العبارات التجريبية يسمح لنا أحيانا بتبرير إثبات أن النظرية التفسيرية الكلية كاذبة" [2]

وبهذا ومن خلال هذين النصين، فإننا نقول إن القاعدة المنطقية التي اعتمد عليها كارل بوبر تقوم على المنطق الاستنباطي حالة الرفع بالرفع، فمنطقيا يمكن تبرير استدلال كذب الكليات من كذب الجزئيات، وبالتالي، فإن صدق الجزئيات التي تعد بمثابة قضايا شخصية وجودية يؤدي إلى كذب الكليات فالتناقض هو ما يحكم العلاقة بين القضيتين الكلية والجزئية، وهذا ينتج عنه أن صدق الجزئيات يسمح لنا أن نحكم على الكليات بالكذب ولا نقول عنها أنها غير معروفة، وبالتالي، فالاستنتاج متعذر إذن القاعدة المنطقية القائمة على حالة الرفع بالرفع والمتمثلة في :

إذا كان المقدم فإن التالي

لكن نفي التالي

إذن نفي المقدم

تعد الطريقة في إثبات كذب العبارات الكلية والتي تمثل بالنسبة إلى كارل بوبر الاستدلال الأوحد الذي ينتقل الفكر بموجبه من صدق الجزئيات إلى إثبات كذب الكليات.

إضافة إلى هذا فإن الاستدلال الاستقرائي هو الاستدلال الذي يقوم على أن صدق الجزئيات لا يسمح لنا أن نحكم على الكليات بهذا الصدق، وإنما نكتفي بالقول عنها إنها غير معروفة أو احتمالية إنه كما يصطلح عليه الاستقراء الاحتمالي ثم إن قول الدكتور زيتوني المتعلق بـ "نتائج الاستنباط تكون يقينية دائما"

[1] الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقيا.

[2] كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر: ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص 55.

وفق المنطق البوبري، فهذا مخالف لمنطق بوبر، على اعتبار أن الاستنباط الذي تحدث عنه –بوبر – كما أسلفنا سابقا – هو استنباط فرضي أين تكون نتائجه نسبية احتمالية وليس استنباطا تحليليا أين تكون نتائجه يقينية، ويقول بوبر عن هذا الاستدلال الاستنباطي باعتباره منهج فرضي أنه " لا يحقق اليقين المطلق لأي من العبارات العلمية التي يختبرها؛ وإنما تحتفظ هذه العبارات دائما بطابع الفروض المؤقتة، فالمعرفة اليقينية عند بوبر لا وجود لها، لذا يجب علينا أن نتحقق باستمرار من الواقع لأن كل ما يوجد هو معرفة تخمينية، وفي موضع آخر من الكتاب يقول : " لا يمكننا أبدا الوصول إلى اليقين".

الحاصل إذن هو أن الدكتور الشريف زيتوني ظن خطأ – حسب ما يبدو – وابتعد عن فهم القاعدة المنطقية الاستنباطية التي استند عليها معيار إمكان التكذيب البوبري.

حنان علي عواضة هي الأخرى ابتعدت عن فهم المنهج الاستنباطي كما تصوره كارل بوبر حيث وجدناها تقول في كتابها النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر ما يلي: "وفيما يتعلق بالمنهج الاستنباطي عند بوبر فهو المنهج الذي يستخدمه لكشف القوانين الكلية حيث لا يمكن معرفة العالم إلا عن طريق الاستنباط البحث"[1]. هذه وجهة نظر لا تتفق مع رأي كارل بوبر لأن المنهج عند بوبر لا يستخدم لكشف القوانين الكلية بل لتبريرها، وفي هذا الشأن يقول بوبر " المنهج في العلم ليس هو الفن أو الكيفية التي نكتشف بها شيئا ما ، بل هو الطريقة التي نبرره بها" فالقوانين الكلية مجرد فروض تخمينية يضعها العالم مسبقا ولا يكتشفها، وذلك لأن منهج العلم هو منهج التخمينات الجريئة والمحاولات الفذة لإثبات بطلان هذه التخمينات وفي موضع آخر من كتابه بحثا عن عالم أفضل يقول: "إن القوانين لا تقرأ من الطبيعة، وإنما هي من فعل نيوتن إنها من منتجات عقله من ابتكاره: "إن عقل الإنسان يبتكر قوانين الطبيعة ".

إضافة إلى هذا وجدنا السيد نفادي يقول أثناء ترجمته لمقال إمري لاكاتوش الموسوم: تاريخ العلم وإعادة بناءاتة العقلانية History of science and its rational reconstructions "... إن نموذج بوبر الاستنباطي في النقد العلمي يشمل على قضايا زمكانية كلية يمكن تكذيبها أمبريقيا، وعلى شروط أولية ونتائجها، وسلاح النقد هو إثبات التالي modus tollens : فلسنا في حاجة إلى منطق استقرائي ولا إلى بساطة حدسية يزيدان من تعقيد الصورة"[2]، لقد ترجم صاحب النص مصطلح modus tollens بلفظ

[1] حنان علي عواضة، النزعة العلمية في فلسفة بوبر، المرجع السابق، 2002، ص 98.

[2] أيان هاكينغ، 1996.

"إثبات التالي"، في حين هذا الأخير يقصد به modus ponnens أما modus tollens فهو " رفع التالي".

1-3- عدم التمييز بين معيار إمكان التكذيب كمعيار للعلم و التكذيب كمنهج.

نواصل الحديث عن بعض الأخطاء التي وقع فيها الدكتور زيتوني هذه المرة عندما استخدم مصطلح معيار التكذيب بدلا من استخدامه لمصطلح معيار إمكان التكذيب ظنا منه أن الأول مرادف للثاني حيث يقول: "... وبذلك تمكن كارل بوبر من الكشف عن تناقض منطقي بين معيار إمكان التحقق ومعيار التكذيب... إذن معيار التكذيب criteries de falsification كما وضعه كارل بوبر لا يهدف إلى استبعاد أي قضية مهما كان نوعها ..."[1]، في حين ميز بوبر بوضوح تام بين مصطلح التكذيب Falsification ومصطلح إمكان التكذيب Falsifiabilite، الأول التكذيب هو إجراء يقوم أساسا على الاختبار الفعلي للفروض حيث يتحدد بإتباع القواعد التي تحدد الشروط التي تسمح بتكذيب النسق.[2]

أما الثاني إمكان التكذيب فإنه يشير إلى المعيار الذي يحدد الخاصية التجريبية لنسق من العبارات وعليه عندما نتحدث عن المعيار نستخدم مصطلح إمكان التكذيب، أما عندما نتحدث عن المنهج، أو العملية الاختبارية فإننا نستخدم مصطلح التكذيب.

يقول محمد السيد عند اقتراحه لمعيار جديد: "ينقسم المعيار الجديد إلى أربعة مستويات بدل من المستويات الثلاث التي تحدث عنها بوبر، المستوى الأول هو مستوى العبارات الأساسية أو تقارير الملاحظات، وتتحدد قيمة الصدق في هذا المستوى وفقا لتقارير الملاحظات المرتبطة بالخبرة الحسية. ويختص المستوى الثاني بالعبارات العلمية والتي ينبغي أن تقبل التكذيب بمفهوم بوبر، وإن كنت أضيف هنا نقطة هامة غير موجودة عنده، وهي قابلية هذا النوع من العبارات للتأييد أيضا. فهذه العبارات تكون قابلة للتكذيب والتأييد معا confirmable."[3]

ويضيف قائلا: ".... ولتوضيح الأمر دعنا نفترض أن ت أحد تقارير الملاحظات والذي يمكن أن نعتبره مكذبا محتملا للنظرية ن، أنا أقول، خلافا لرأي بوبر أن كل مرة نلاحظ فيها ت المكذبة ل ن، أو نلاحظ لا-ت إن صح التعبير، فإن ذلك يؤيد أو يدعم النظرية ن ، ومن هنا نكون نجحنا في استخدام

[1] الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا، مرجع سابق، 2006، ص 53.

[2] كارل بوبر، بؤس الإيديولوجيا، تر: حميدة صبرة، مصدر سابق، ص 77.

[3] محمد محمد السيد، 1996.

التحقق والتكذيب في الوقت ذاته". في المقابل يقول كارل بوبر " عبارة الأساس التي تكذب النظرية هي نفسها التي يؤيد الفرض القابل للتكذيب في الوقت ذاته" ، هذا النص تأكيد من بوبر أن العبارات العلمية تكون قابلة للتكذيب والتأييد معا بمعنى التعزيز، وبالتالي، يكون محمد السيد لم يضف شيئا جديدا أو نقطة جديدة – في رأينا – ما دام بوبر نفسه صرح بأن العبارات العلمية تكون قابلة للتكذيب والتعزيز معا. وهذا الأخير هو نوع من التأييد كارل بوبر افترض أن ت قضية أساس ملاحظة التي يمكن أن نعتبرها مكذبا محتملا للنظرية إذا لم تتناقض ت مع ن فإن ذلك يعزز النظرية التي هي بمثابة لفرض، وبالتالي فإن محمد السيد لم يميز بين عبارة الأساس التي " تكذب النظرية " وبين عبارة الأساس التي " تتسق مع النظرية " فتؤيدها أو تعززها، خصوصا وأن بوبر قسم عبارة الأساس كما أسلفنا إلى فئتين، وهذا ما لم ينتبه إليه محمد السيد في نظرنا.

لقد اعتقد محمد أحمد محمد السيد أن كارل بوبر يشارك الوضعيين المناطقة في موقفهم المعادي للميتافيزيقا حيث يقول: "... ومن هنا نستطيع أن نفهم اشتراك بوبر مع الوضعيين في موقفهم المعادي للميتافيزيقا حتى وإن أعلن أهمية قضاياها، فهو يشترك مع الوضعيين في رفض اعتبارها لونا من ألوان المعرفة الصحيحة". [1]

ما يلاحظ في هذا النص هو أنه يحتوي ضمنيا على صيغة شرطية مفادها: إذا كان بوبر يشترك مع الوضعيين الوضعيين المناطقة في رفض اعتبار الميتافيزيقا لونا من ألوان المعرفة الصحيحة، فإنه يشترك في موقفهم المعادي للميتافيزيقا فكأن القول بأن الميتافيزيقا لا تنتمي إلى المعرفة الصحيحة يستلزم عداء الميتافيزيقا، هذا ما تضمنه نص محمد السيد، لكن صاحب النص رأينا– ابتعد عن فهم حقيقة المعرفة الصحيحة عند بوبر، خصوصا أنه لم يوضح مفهومها حيث ترك المجال مفتوحا للمناقشة والنقد. فالمعرفة الصحيحة عند بوبر هي المعرفة العلمية والمعرفة العلمية هي المعرفة القابلة للتكذيب والميتافيزيقا على الرغم من أنها لا تنتمي إلى قضايا العلم التجريبي إلا أنها حسب ليست عديمة المعنى أو لغوا كما اعتقد الوضعيين "... أنا لا أظن أن الميتافيزيقا لغو ... "، وفي موضع آخر من مؤلفه منطق الكشف العلمي صرح قائلا: "... في مقابل هذه الدعوة المضادة للميتافيزيقا تكمن مهمتي الأساسية كما أراها لا في رفض الميتافيزيقا، بل تتجه إلى صياغة السمة الأساسية الملائمة للعلم التجريبي بطريقة تجعلنا قادرين على أن نقدم نسقا من العبارات أوثق ارتباطا بدراسة العلم التجريبي ".

[1] محمد محمد السيد، 1996.

يتضح من خلال هذه النصوص أن بوبر لم يشن عداء على الميتافيزيقا ولم يرفضها ولم يعتبرها لغوا لا طائل منه، وهذا – حسب رأينا – مسوغ يفند الحكم الذي أصدره محمد السيد والقاضي أن بوبر يشترك الوضعيين في موقفهم المعادي للميتافيزيقا"، إضافة إلى هذا عندما يصنف بوبر الميتافيزيقا خارج دائرة المعرفة الصحيحة التي هي المعرفة العلمية فهذا لا يعني أنه يقف موقفا معاديا للميتافيزيقا كما هو الحال عند الوضعيين لأن المعرفة الصحيحة عند هؤلاء هي المعرفة التي لها معنى وكل معرفة تخرج عن إطار ذي معنى فهي لغو أو لا معنى لها وهذا هو الذي يعتبر موقفا معاديا للميتافيزيقا .

بهذه الرؤية يعطي بوبر للتاريخ معنى آخر ينفي أن تكون ربة الطبيعة أو ربة التاريخانية هي التي تتحكم في مسارنا، يقول: ".... فبدلا من التصرف كأنبياء يجب علينا أن نصبح خالقي أقدارنا، يجب أن نتعلم أداء واجباتنا بأفضل ما يمكن، كما يجب أن نتعلم إدراك أخطائنا ومتى تخلينا عن فكرة أن التاريخ قوة هو الحكم هو القاضي ولم يعد السؤال ما إذا كان التاريخ يبرر أفعالنا يشغل بالنا، قد ننجح عندئذ يوما ما في ترويض القوى التاريخية وقد نتمكن في النهاية بهذه الطريقة من تبرير تاريخ العالم، فالتاريخ في أشد الحاجة إلى مثل هذا التبرير ".[1]

ينظر مدور" للتكذيب البوبري بوصفه تصحيحا وتعديلا للنظريات العلمية وليس طردا نهائيا من دائرة العلم، إذ يقول : فالنظريات في واقع الأمر لا ترفض أو تقلب، وإنما هي تصحيح أو تعدل ومنهجية التصحيح أو التعديل هي ما يجيب توقع وجوده في أي تحليل نظري مقنع لمسألة التفكير العلمي..... [2]

ويقول في مكان آخر : " إن الفرضيات والنظريات العلمية لا ترفض أو تدحض في الغالب، وإنما هي تعدل في الحقيقة". [3]

ويقول أيضا: "وفي النهاية فإن فعل التكذيب أو التغليط نفسه ليس بمنأى عن الخطأ".[4] تلك هي الدراسات العربية التي تناولت فلسفة بوبر العلمية والتي اطلعت عليها، فاستفدت من بعضها وحاولت تجاوز أخطاء بعضها الآخر و يمكن القول إن الاطلاع على هذه الدراسات قد ساعدني في تنظيم أفكاري وترتيبها بحسب المشكلة وفروعها قد نتج عن معالجة معيار قابلية التكذيب وإشكالية تطبيقه في العلوم الطبيعية

---

[1] كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، مصدر سابق، ص ص 209-210.

[2] مدور بيتر، الاستقراء و الحدس في البحث العلمي ترجمة محمد شيتا ، د.ن، ص .32

[3] مدور بيتر، الاستقراء و الحدس في البحث العلمي، المرجع السابق، ص 43.

[4] مدور بيتر، الاستقراء و الحدس في البحث العلمي، المرجع نفسه، ص 55.

والاجتماعية والإنسانية مشاكل متعددة وعديدة ومنها: لكل فيلسوف علم تأويله ومعياره الخاص بصدد دراسة لتاريخ الكشوف العلمية .

هل يمكن تعميم معيار واحد و تطبيقه في كافة المعارف الإنسانية؟

صدق المعيار العلمي، هل هو مطلق أم نسبي؟.

2- موقف مصطفى اللطيفي:

قدم جملة انتقادات ل بوبر" و" هذا من خلال ترجمة بعض النصوص من كتاب "بؤس التاريخانية" بدأ من خلال سياق طرحه أنه ذات توجه ماركسي فقد اعتبر أن هدف "بوبر" هو تحطيم الماركسية و اعتبر أعماله ردا ليبراليا على الاشتراكية ورأى في موقف " بوبر " إزاء الشيوعية إجحاف كبير نحوها، متسائلا حول الموقف اللانقدي من قبل " بوبر اتجاه الديمقراطية البرجوازية باعتبار أن الاستعمار والحروب العالمية والفاشية نشأت من أحشاء الرأسمالية أي لماذا فضل بوبر هذا النظام ولماذا ساوى بين النازية والشيوعية سنة 1935 هذه البنة التي كان فيها الإرهاب النازي حسب تعبيره يحارب الشيوعيين إضافة إلى ذلك تغاضيه عن انجلترا كأكبر قوة استعمارية في حين يساوى بين النازيين و المناهضين للاستعمار؟ ومنه حسب رأي الكاتب إن موقف "بوبر" إزاء الماركسية والشيوعية موقفا إيديولوجيا عدائيا، واعتبر أن مقصود "بوبر" بالتاريخانية هو الماركسية. [1]

كما يقر أن " بوبر" أفكاره في معنى التاريخ في كتابه المجتمع المفتوح" حسب نظريته في التاريخ ونحن نعلم أن بوبر" رفض" وجود علم تاريخي نظري.

وفي الأخير يخلص الكاتب إلى أن "بوبر" لم يؤسس المجتمع المفتوح على أسس أو حجج عقلية وصحيحة لأن ما كان يهمه هو نقد الشمولية بالدرجة الأولى[2].

أثناء قيامه بتعريب بعض النصوص من كتاب "بؤس التاريخانية"، وجه الدكتور "مصطفى اللطيفي" جملة من الانتقادات نحو "بوبر"، بدا من خلال سياق طرحه أنه ذات توجه ماركسي، فقد اعتبر أن هدف" بوبر" هو تحطيم الماركسية واعتبر أعماله ردا ليبيراليا على الاشتراكية، ورأي في موقف بوبر إزاء الشيوعية إجحاف كبير نحوها، متسائلا حول الموقف اللانقدي من قبل بوبر اتجاه الديمقراطية البرجوازية باعتبار أن الاستعمار والحروب العالمية والفاشية نشأت من أحشاء الرأسمالية، أي لماذا فضل بوبر هذا النظام ولماذا ساوى بين النازية

[1] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معربة، الناشر: المجتمع التونسي للآداب والفنون بيت الحكمة، 2008، ص 144، 145.

[2] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع السابق، ص 152.

والشيوعية سنة 1935 هذه السنة التي كان فيها الإرهاب النازي – حسب تعبيره – يحارب الشيوعيين إضافة إلى ذلك تغاضيه عن إنجلترا كأكبر قوة استعمارية في حين يساوي بين النازيين و المناهضين للاستعمار؟!

ومنه حسب رأي الكاتب إن موقف بوبر إزاء الماركسية والشيوعية موقفا إيديولوجيا عدائيا، واعتبر أن مقصود بوبر بالتاريخانية هو الماركسية[1].

لكن مع وجهة نظر الكاتب حول أسلوب و أهداف بوبر إزاء التاريخانية إلا أنه لا ينفي الترابط المنطقي والمنهجي الموجود في أعمال بوبر الذي يندرج كله ضمن مجال نظرية المعرفة، يقول: إذ يوجد ترابط ضروري داخلي بين أعمال بوبر في مجال نظرية المعرفة و بين أعماله في مجال نظرية المجتمع لذلك لا يمكن الدفاع عن الرأي القائل: إن أعمال بوبر في مجال العلوم الاجتماعية غير علمية، و انه يمكن فصلها عن أعماله التي تندرج في مجال نظرية المعرفة"[2].

وفيما يخص موقف بوبر من الماركسية كونها نظرية بلا معنى، يجد أنه رأي مبالغ فيه، فيما يخص قوانين التاريخ والتوقع مستشهدا في ذلك إلى نصوص "إنجلز" الخاصة بجدلية الطبيعة وموقفه ضد الحقبة الميكانيكية ويعري طابعا اللاهوتي، إضافة إلى ذلك، ينتقد الكاتب قول بوبر في الحرية الفردية الذي يعبر عن حقوق الكلاسيكية الفردية زائد مشكلة اللا تحدد، حيث أن الأخذ بهذه الأخيرة يوقعنا في دائرة الفوضى الاجتماعية، إن وجود المخططات تفرضه الضرورة، فالحرية تعني قدرتنا على التأثير في الشروط الطبيعية والاجتماعية لحياتنا وفق مخططات محددة وعلى أساس معرفة بقوانين الطبيعة والمجتمع، كما أن الأخذ بقول الليبيراليين أن حرية الفرد تنتهي عند حرية الآخرين قول خاطئ حسب الماركس 1843 هذه السنة التي بين فيها قيمة تفاعل الفرد داخل المجتمع وإن الحرية التي تكلم عنها الليبيراليون الكلاسيكيون، لا تنفع سوى مع إنسان روبنسون المنعزل في جزيرته[3].

إضافة إلى هذه الآراء يوجه الكاتب قراءة نقدية للحجج الخمسة المقدمة في كتاب "بؤس التاريخانية"، والتي من خلالها يصل بوبر إلى عقم التاريخانية.

---

[1] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، مرجع سابق، ص، ص 144-145.

[2] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع نفسه، ص 146.

[3] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع نفسه، ص، ص 148-149.

فأولا يتعارض الكاتب مع بوبر حول عدم إمكانية وجود قوانين تفسر النقد التاريخي كون المعرفة في تقدم مستمر، ويرى أن هذه المقدمة التي وضعها بوبر كحجة تستلزم وتتطلب على الأقل قانون عام للتقدم التاريخي أي قانون نفسر به كيفية نمو المعرفة تاريخيا [1].

وثانيا إنه بفضل معارفنا المكتسبة نستطيع أن نبني توقعات، وتاريخ العلم أثبت صحة العديد منها مثل توقعات "مندليف" و"أينشتاين"، وحتى في العلوم الاجتماعية، والقول مع بوبر باستحالة وجود التوقعات يبدو كما لو أن الفوضى تسوء التاريخ [2].

وثالثا: يرى الكاتب أن بوبر يخلط بين القوانين المنطقية و القوانين الفيزيائية عندما قال أن قوانين الطبيعة مستقلة عن الزمان والمكان، لكن نحن نعترض على هذا لأن بوبر يقصد في هذه الحجة توضيح الفرق بين الحادثة الطبيعية والحادثة التاريخية فالأولى يمكن أن تصبح قانون لا يحده زمان أو مكان ضمن شروطه العلمية أما الحادثة التاريخية فهي خاصة ولا تتكرر[3].

ويتساءل الكاتب كذلك حول سبب رفض "بوبر" لإمكانية التوقع الكلي أو العام في حين أنه قبل بالتوقع المجهري الاجتماعي، وفي رأيه أن" بوبر" قد أحدث هوة بين الفرد وبين بيئته، واعترافه بوجود عالم خارج الوعي ليست سوى مادية تتأرجح بين المثالية الذاتية، والمثالية الموضوعية[4].

وتمثل أفكار بوبر حول معنى التاريخ في كتابه "المجتمع المفتوح" حسب نظريته في التاريخ، ونحن نعلم أن بوبر رفض وجود علم تاريخي نظري.

وفي الأخير يخلص الكاتب إلى أن بوبر لم يؤسس المجتمع المفتوح على أسس أو حجج عقلية وصحيحة لأن ما كان يهمه هو نقد الشمولية بالدرجة الأولى [5].

---

[1] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع نفسه، ص. ص 150-151.

[2] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع السابق، ص151.

[3] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع نفسه، ص 152.

[4] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع نفسه، ص 153.

[5] الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، المرجع نفسه، ص ص 153-154-155-156.

خاتمـــــة

خاتمة

نصل في الأخير إلى خاتمة نتائج هذا البحث المتواضع الذي تناول جزءا ضئيلا من فلسفة كارل بوبر لكنه صاغ الخطوط الأساسية لها، وانطلاقا من المقدمات السابقة سنحاول أن نقدم حوصلة هذا الطرح الفلسفي في مجموعة من النقاط الرئيسية التي تقيم هذه الخطوة الابستمولوجية.

1) يبدو حديث بوبر حول منهج علم التاريخ وكيفية تحليل المواقف التاريخية محرد اجتهاد فيلسوف علم حاول تعميم منهجه العام في كل علم يقبل الانطلاق من مشكلة نظرية واقتراح حلول مؤقتة ومن ثم بروز مشكلة أخرى، وكل ذلك عن طريق منهج الاستنباط وخطوة المحاولة والخطأ والأسلوب النقدي بعد عرض مساهمة بوبر هذه في مجال العلوم الإنسانية وبشكل خاص التاريخ بوصفه أنموذجا لهذه العلوم ويمكن القول أنه لقد برز الجانب العقلاني عند بوبر في محاولته بناء علم التاريخ منبثقا من موضوعية العلوم الاجتماعية والإنسانية التي أسس لها وأتضح هذا الجانب من خلال وجهة نظره فيما يخص خطة التاريخ وكيف يمكن للمؤرخ منحه معنى إذ حاول بوبر الابتعاد عن الأفكار والمفاهيم الجاهزة والمغلقة ودعا المؤرخ لأن يحدد خطة لمرحلة تاريخية ما من خلال دراسة مسيرة المعرفة و طريقة نموها وتطورها.

2) وقد رفض بوبر فكرة وجود خطة كامنة في حوادث التاريخ فالإنسان هو صانع مسيرته المعرفية والمؤرخ هو الذي ينتقي من الماضي ما ينفعه وينفع جيله وما يمثل حلا لمشاكل عصره وكذلك الأمر بالنسبة لمعنى التاريخ حيث يستطيع الباحث منح مرحلة تاريخية معنى أخلاقيا يكون بمثابة النور الذي يضيء الطريق القديم للأجيال اللاحقة.

3) إن ما يستقطب الانتباه هو تفرد وتميز فلسفة بوبر عن غيرها فقد رأينا أن هذا الفيلسوف قد اهتم بالمسار التاريخي للعلوم بشقيها مطبقا نتائج البيولوجيا على مسار الفكر الإنساني عامة وهو الأمر الذي اختص به دون سواه مسايرا بذلك الثورة التي حققتها البيولوجيا مؤخرا مسقطا نتائجها للخوض في إحدى أكبر إشكاليات العلم أزمة المناهج الناتجة طبعا عن تعدد العلوم وتفرع الاختصاصات وأدى به هذا إلى الخوض في اتجاهات عديدة واقعا في ازدواجية فكرية بين العلم ومنهجه من جهة وبين قيمة هذا العلم بالنسبة للإنسان صانع هذا التاريخ وفاعله هنا يبرز دور وقيمة الخطاب سيمات معينة مثل غلبة طابع النفي كالاستقراء اللاتأييد اللاتحقق ..... إضافة إلى طابع التمثيل من خلال المماثلة بين أفكارنا الراسخة وأفكاره والذي يدل على سعة اطلاعته و إدراكه الواسعة بتاريخ العلوم.

4) إذا إن حديثنا عن أسلوبه أمر تفرضه البنية التي تأسست عليها فلسفته ككل لأننا لا نستطيع أن نفهم النقد الابستمولوجي الذي وجهه بوبر للتاريخانية مثل أن نفهم كيف انتقد المناهج في العلوم الطبيعية ما يعني فعلا التكامل والتناسق المنطقي والمنهجي في فلسفته وهذا كله يدل كما يرى

الدكتور لخضر مذبوح على فكرة التفتح التي تقوم عليها فلسفة بوبر وللإجابة ها هنا على السؤال المطروح ألا وهو فيما يكمن النقد الابستمولوجي البوبري للتاريخانية؟ وما هي قيمة هذا النقد؟

5) قد كانت الفلسفات التاريخانية في نظر بوبر ونخص بالذكر هنا كل من أفلاطون هيغل ماركس هي المسؤولة عن الإجحاف الواسع الانتشار في حق الإصلاح الديمقراطي الذي اقترحه بوبر ونستنتج هنا أنه كطرح فلسفي مذهبي قد هيمنت بشكل كبير على المجتمعات التي أنشأت فيها والأكثر من ذلك خارج موطنها لتصبح أفكار عالمية قادت بعض المجتمعات في فترات متعاقبة وجاء نقد بوبر بالذات لها كونه فيلسوفا رافضا للدوغمائية فحملت فلسفته دعوة ضد كل منغلق فقد أعطى درسا للإنسانية بالغا الأهمية في القرن العشرين وعلى هذا الأساس أراد التطبيق العملي لأفكاره النظرية حول المنهج في العلوم الاجتماعية من خلال نقد التاريخانية باقتراح فكرة المجتمع المفتوح وكذا فتح سبل وأفاق لعالم أفضل بعيدا عن اليوتوبية وبعيدا أيضا عن بؤس البشرية جراء الحروب والاستبداد والعنف... وبالتالي المجتمعات المفتوحة لا تكون في العادة مستقرة على وتيرة واحدة أو نظام واحد لأنها على عكس الدكتاتوريات معرضة للمناقشات النقدية ولمراجعة الحلول المقترحة بل إن بوبر يرى أن الثورة يمكن أن تكون مبررة فقط بشرط أن يكون الهدف الوحيد من ورائها إعادة بناء الديمقراطية و تحرر الروح النقدية.

6) ولهذا بحث بوبر عن حل كون الحياة في نظره بأسرها حلول لمشاكل من هذه الفكرة الباعثة على التفاؤل راح بوبر يؤطر للمجتمع المفتوح الذي يقوم على الحرية والديمقراطية الحقة دفاعا عن التسامح والسلام دفاعا عن الإنسان بكل حقوقه وداعيا إلى تفعيل الفكر وإنشاء شبكة اجتماعية يتفاعل فيها الأشخاص بدون عنصرية أو ضوابط إيديولوجية والذي حفزته الحرب العالمية الأولى على نشره خصوصا نقده بعد سماعه لخبر غزو هتلر للنمسا وعقم المذهب فكانت الحرية هي المشكل المحوري لا سيما مع نقده للماركسية وأفكارها مثل التخطيط الشمولي والاقتصاد الموجه وصار هذا الكتاب أي المجتمع المفتوح التاريخي بالنسبة ل بوبر بمثابة الدفاع عن الحرية ضد الأنظمة الشمولية والأفكار الاستبدادية وكتحذير من خطر خرافات التاريخانية والنبؤات الزائفة كمنهج عقيم في العلوم الاجتماعية.

7) إذا فإن بوبر فيلسوف فني بالعلم كونه وريدا للإنسانية فرسم له طريقه من خلال المنهج الفعال وحدد له هدفه الذي غايته خدمة الإنسانية وعلى هذا جاءت فلسفته تصويرا صادقا لأحداث القرن العشرين ميلادي .

8) ولقد ظل متمسكا وصامدا على نفس الرأي في كل كتاباته سواءا موقفه حول معيار القابلية للتكذيب أو أولوية للتاريخ فبوبر الشاب هو نفسه بوبر الكهل على غرار هيجل وأفلاطون. وقد نجد

مع بوبر أنه دعى لطريقة الكتابة التاريخانية الجديدة لحل برغماتي لإشكالية أن التاريخ لم يصل إلى درجة العلمية .

9) وفي الأخير القول أن ما يمكن قوله حول بوبر أنه فيلسوف علم بامتياز يحمل خطاب ابستمولوجي في طياته روح تنزع إلى المثالية التي تعيش من أجل عالم أفضل يعم فيه السلام وقد حقق نقده للتاريخانية والمناهج المعتمدة في العلوم ثورة أسماه البعض بكانط القرن العشرين وهو تكمن قيمة خطابه الابستمولوجي.

10) ويبدو حديث بوبر حول منهج علم التاريخ و كيفية تحليل المواقف التاريخانية مجرد اجتهاد فيلسوف علم حاول تعميم منهجه العام في كل علم يقبل الانطلاق من مشكلة نظرية واقتراح حلول مؤقتة ومن ثم بروز مشكلة أخرى وكل ذلك عن طريق منهج الاستنباط وخطوة المحاولة والخطأ والأسلوب النقدي.

11) بعد عرض مساهمة بوبر هذه في مجال العلوم الإنسانية وبشكل خاص التاريخ بوصفه أنموذجا لهذه العلوم ويمكن القول أنه لقد برز الجانب العقلاني عند بوبر في محاولته بناء علم التاريخ منبثقا من موضوعية العلوم الاجتماعية والإنسانية التي أسس لها وأتضح هذا الجانب من خلال وجهة نظره فيما يخص خطة التاريخ وكيف يمكن للمؤرخ منحه معنى إذ حاول بوبر الابتعاد عن الأفكار والمفاهيم الجاهزة والمغلقة ودعا المؤرخ لأن يحدد خطة لمرحلة تاريخية ما من خلال دراسة مسيرة المعرفة وطريقة نموها وتطورها وقد رفض بوبر فكرة وجود خطة كامنة في حوادث التاريخ، فالإنسان هو صانع مسيرته المعرفية والمؤرخ هو الذي ينتقي من الماضي ما ينفعه وينفع جيله وما يمثل حلا لمشاكل عصره وكذلك الأمر بالنسبة لمعنى التاريخ حيث يستطيع الباحث منح مرحلة تاريخية معنى أخلاقيا يكون بمثابة النور الذي يضيء الطريق القويم للأجيال اللاحقة.

12) من رحم هذه التصورات تشكلت رؤية بوبر حول طبيعة منهج البحث في حقل التاريخ التي حاولت التوفيق بين التفسير والتأويل كمذهبين نظرا إلى المعرفة التاريخية من خلفيتين متباينتين، لقد طرح بوبر " تحليل الموقف" كمدخل للتقريب بين المذهبين لكن ما يلاحظ على هذا الطرح على الرغم من محاولة بوبر تدثيره ببناء منطقي ذي حجج متينة، أن نقله إلى حقل الممارسة العلمية والبحث الميداني يجعله غير ذي جدوى منهجية.

فهرس المصطلحات

الابستيمولوجية

المصطلحات:

1 القابلية للتكذيب
2 التاريخي
3 التاريخانية
4 المجتمع المفتوح
5 معيار العلم
6 مبدأ التكذيب
7 منطق الكشف العلمي
8 الفروض
9 الاستنباط
10 منهج العلم
11 تحليل المواقف
12 مشكلة
13 حلول مؤقتة
14 المحاولة والخطأ
15 العقلانية النقدية
16 اللاتأييد
17 اللاتحقق
18 عقم المذهب
19 رجحان الصدق
20 القابلية للاختبار
21 التكذيب
22 اختبارات قاسية
23 الفرض التكذيبي
24 القضايا الأساسية
25 التعزيز
26 التميز
27 النظرية العلمية
28 المحتوى التجريبي
29 المحتوى المعرفي
30 المنهج الصفري الصفر
31 منهج التركيب المنطقي
32 المنطق الموقفي
33 الفردانية المنهجية
34 الهندسة الاجتماعية الجزئية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

1) كارل بوبر، أسطورة الإطار في دفاع عن العلم والعقلانية تر، يمنى طريف الخولي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة ،2001.

2) كارل بوبر، أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية، تحرير مارك أ. نوترنو؛ ترجمة يمنى طريف الخولي، عالم المعرفة؛ العدد 292 الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2003.

3) كارل بوبر، التنبؤ والنبوءة في العلوم الاجتماعية، تر: بن سليمان جمال الدين، مجلة آفاق العلوم، 12، الجلفة، 2018.

4) كارل بوبر، الحرية والمسؤولية، تر: زواوي، الحوار الفتوى، مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، العدد -4-، نوفمبر 2002.

5) كارل بوبر، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، تر: بهاء درويش منشأ المعارف الإسكندرية، د.ط، 1994.

6) كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة السيد نفادي بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1998.

7) كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ج1، تر: السيد نفادي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2014.

8) كارل بوبر، بؤس الايدولوجيا، نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، تر، عبد الحميد صبرة، ط1، بيروت، دار الساقي ،1992.

9) كارل بوبر، درس في القرن العشرين، تر: زواوي بغورة، لخضر مذبوح ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر، دار العربية للعلوم ناشرون بيروت، 2008.

10) كارل بوبر، منطق الكشف العلمي، تر: ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986.

11) كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل: محاضرات ومقالات ثلاثين عاما، ترجمة أحمد مستجير، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، 1999.

12) كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، ترجمة عبد الحميد صبرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1959.

المراجع:

1) ابن منظور.
2) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1975.
3) أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2002.
4) أي جي مور: كيف يرى الوضعيون الفلسفة، ترجمة: وتقديم نجيب الحصادي، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة البيضاء، 1994.
5) إيان ماكلين: التأويل والقراءة، تر: خالد حامد، مجلة الأفق، العدد 20، 2002.
6) أيان هاكينغ، 1996.
7) براين ماجي، رجال الفكر، مقدمة للفلسفة الغربية المعاصرة، ترجمة نجيب الحصادي، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا.
8) برتراند راسل: حكمة الغرب، الجزء الثاني، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1983.
9) بن معمر جميلة، معنى التاريخ عند كارل بوبر، مجلة الحوار الثقافي، عدد ربيع 2013، مستغانم، الجزائر.
10) بوصالحيح حمدان، العقلانية العلمية المعاصرة وانتقاداتها بول فييرآبند نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، علوم، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014.
11) توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر حيدر حاج إسماعيل، ط 1، المنظمة العربية، بيروت 2007.
12) جان غراندان، المنعرج الهرمنوطيقي للفينومينولوجيا، تر عمر مهيبل، دار العربية للعلوم الناشرون الجزائر، ط1، 2007.
13) جمال حمود، فلسفة اللغة عند لودفيج فتغنشتاين، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009.
14) حسين علي: فلسفة هانز رايشنباخ، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1994.
15) حنان علي عواضة، النزعة العلمية في فلسفة بوبر، بين التجربة والميتافيزيقا، ط4، بيروت، دار الهادي، 2002.
16) خديجة زتيلي، جذور كروتشه والنزعة التاريخية الطلقة، منشورات ضفاف ، بيروت، 2010.

17) خديجة زتيلي،بندتو كروتشه، والنزعة التاريخانية المطلقة، القاهرة، المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية،2007

18) خديجة زنتيلي، بندتو كروتشه، المرجع السابق، ص 60 نقلا عن: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المفاهيم والأصول، ج2، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 1997.

19) خواجة عبد العزيز، النقاشات المنهجية التأسيسية الكبرى في فلسفة العلوم الاجتماعية الواحات للدراسات والبحوث العدد 4 مارس 2009، الجزائر المطبعة العربية

20) د. ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص2010 .

21) د،رشيدة عبة، مجموعة من الباحثين، ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية في الفكر العربي والفكر الغربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، إشراف وتقديم، د الشريف زيتوني، ط1، بيروت،2012.

22) دونالد جيليز: فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة حسين علي، الطبعة الأولى، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2009.

23) رشيد قوقام، فلسفة التاريخ عند هيغل، ط1، دار الخلدونية، الجزائر، 2014.

24) روني بوقريس، العقلانية النقدية عند كارل بوبر، سعيد بوخليط، إفريقيا الشرق، المغرب،2005.

25) الزاواوي بغورة: الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2005.

26) زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، الطبعة الأتية، دار الشروق، مصر، 1982.

27) الزواوي بغورة: المرجعية الفكرية للفلسفة المفتوحة عند فتحي التريكي في مجلة أوراق فلسفية عدد 2، 3 يناير يونيو 2001 ، مصر.

28) زيدان محمود فهمي: الاستقراء والمنهج العلمي، المرجع السابق، 45.

29) سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986.

30) ستيف فولر، كون ضد بوبر، تر، نجيب لحصادي، ط1، المركز القومي، القاهرة، 2012.

31) السيد تفادي: معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التحقيق المنطقية.

32) الشريف زيتوني، مشروعية الميتافيزيقا ، 2006.

33) عادل مصطفى، كارل بوبر، مائة عام من التنوير ونظرة العقل، ط3، بيروت، دار النهضة العربية، ج2، 2002.

34) عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، 1991.

35) عبد الفتاح الديدي: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1985.

36) عزمي إسلام: لدفيج فتجنشتين، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة.

37) عزمي إسلام، مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، السنة 4، العدد 16، 1983.

38) عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، منشأة المعارف، مصر، 2002.

39) علي حرب، الماهية والعلاقة، نحو منطق تحولي المركز الثقافي العربي، بيروت،1988.

40) علي عبد المعطي محمد، رؤية معاصرة في علم المناهج، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1984.

41) عواضة حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة بوبر، بين التجربة والميتافيزيقا ، ط4، بيروت، دار الهادي، 2002.

42) عويضة كامل محمد محمد، كارل بوبر فيلسوف العقلانية، ط1، بيروت دار الكتب العلمية 1995.

43) غنار سكيربك: نلز غيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2012.

44) فاطمة يونس محمد يوسف، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2015.

45) فتحي التريكي، الفلسفة الشريدة دراسات في الفلسفة المعاصرة، مركز الانتماء القومي ، 1987.

46) فتحي التريكي، قراءة في فلسفة التنوع الدار العربية للكتاب، 1988.

47) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1993.

48) فؤاد محمود ناصيف خير بيك، من الابستيمولوجيا إلى المجتمع: التاريخانية والمجتمع المفتوح عند بوبر، ط1، دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 2002.

49) كارل كوسيك، جدليات الواقع ، دراسات حول مشكلات الإنسان والعالم تر: كارل فوندا وجيمس شميت دار النشر ،سبرنغر، بوسطن في فلسفة العلم، المجلد 1976.

50) لخضر مذبوح، فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، الدار العربية للعلوم، ناشرون منشورات الاختلاف، 2009.

51) لودفيج فجنشتين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1968.

52) م بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قوني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر 1992.

53) ماهر اختيار، إشكالية معيار قابلية التكذيب عند كارل بوبر في النظرية والتطبيق، د.ط منشورات الهيئة السورية للكتاب دمشق، وزارة الثقافة 2010.

54) ماهر عبد القادر محمد علي: فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.

55) محمد محمد قاسم، في الفكر الفلسفي المعاصر، رؤية علمية، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2001.

56) محمد محمد قاسم، كارل بوبر، نظرية العلم في ضوء المنهج العلمي، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية 1986.

57) محمد مهران، محمد مدين: مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.

58) محمود فهمي زيدان: مناهج البحث الفلسفي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م.

59) مدور بيتر الاستقراء و الحدس في البحث العلمي ترجمة محمد شيتا ، د.ن.

60) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

61) مصطفى عادل، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونظرة العقل، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 2002.

62) الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي،د/كميل الحاج، مكتبة لبنان،ط 2000.

63) ناصر هاشم محمد، المدخل إلى فلسفة العلوم، مرجع سبق ذكره، دار الجوهرة، ط1 ،2015 .

64) نبيل عودة مراجعة فكرية في ضوء النقد للماركسية 408، 2012.

65) نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2001.

66) نعيمة ولد يوسف: مشكلة الاستقراء في إبستيمولوجيا كارل بوبر، تقديم أحمد موساوي، الطبعة الأولى، إبن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

67) الهادي التيمومي، نظريات المعرفة التاريخية، وفلسفات التاريخ في العالم الغربي في النصف الثاني من القرن العشرين، مختارات معربة، الناشر: المجتمع التونسي للآداب والفنون بيت الحكمة، 2008.

68) هانز رايشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968.

69) يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية في: عالم المعرفة، عدد 264، د ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة ،2012.

70) يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر منهج العلم.. منطق العلم ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1989.

المعاجم والموسوعات

1) إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، د.ط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1983.

2) اندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ج1.

3) جميل صليبا، المعجم الفلسفى، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ج 1، الداروينية.

4) جورج طرابيشي، معجم اللغة، ط3 دار الطليعة، بيروت، 2006.

5) ديديه جوليا: قاموس الفلسفة، تر فرانسوا أيوب وآخرون، مكتبة أنطوان، بيروت، ط1، 1992.

6) زكريا منشاوي الجالي، منهج البحث النقدي عند كارل بوبر، الجمعية الفلسفية المصرية، آمال ندوة، القاهرة ،2003.

7) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ج1، ط 1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.

المجلات:

1) بن مزيان بن شرقي، من فلسفة التنوع إلى فلسفة التاريخ أوراق فلسفية عدد 2،3.

2) ماهر عبد القادر محمد علي، بعنوان برامج الأبحاث العلمية بعنوان مغاير لعنوان الفصل الأصلي، دار النهضة العربية ط1، مصر 1997.

3) مجلة العربي الكويت، عدد 462 مايو 1997.

المواقع الإلكترونية:

1) موريس أبو ناضر، كارل بوبر داعية انفتاح وعداء للفكر الشمولي، http://www.alhayat.com 2017/08/23، 18:55.

المراجع باللغة الفرنسية:

1) .Popper Karl, The Poverty of Historicism, pp.ix,x.345. Conjectures et réfutations, p. 385.
2) : Les deux problèmes fondamentaux de la théorie de la connaissance, traduit de l'allemand par Christian Bonnet, éditions Hermann, Paris, 1998.
3) ,Burleigh Taylor Wilkins, Has History Any Meaning? A Critique of Popper's Philosophy of History, Cornell University, England: 1978.
4) Bruce Caldwell "Popper and Hayek Who Influenced Whom?", Karl Popper: A Centenary Assessment Volume I Life and Times, and Values in a World of Facts.
5) Burleigh Taylor Wilkins, op.cit.
6) C. Jarvie, "Popper on the Difference between the Natural and the Social Sciences",
7) Colin Simkin, Popper's views on natural and social science, E.J. Brill, The Netherlands :1993.
8) Malachi Hacohen, The Formative Years.
9) dictionnaire encyclopédique, la rousse, édition française in, licencié d'auteur et usage des manques pour le canda, 1980.
10) Gregory Currie and Alan Musgrave, Popper and the human sciences.
11) Herbert Keuth, The philosophy of Karl Popper.
12) I.C. Jarvie, "Popper on the Difference between the Natural and the Social Sciences", in pursuit of truth: Essays on the Philosophy of Karl Popper on the Occasion of His Birthday 80", Humanities Press Inc, USA: 1982.
13) Ibid
14) Jerzy Szacki, On the so called Historicism in the social sciences, Polish Essays in the Methodology of the Social Sciences.
15) karl popper, conjectures and refutations, routledge and kegan paul, fourth 1 editon, 1976.

16) Karl Popper, In Search of a Better World, Translated by Laura J. Bennet, London: Routledge, 1992.
17) Karl Popper, la connaissance objective : une approche évolutionniste.
18) Karl Popper, la quête inachevée.
19) Karl Popper, The Objective Knowledge.
20) Karl Popper, The Open Society and Its Enemies.
21) Karl Popper, The Poverty of Historicism,لتفصيل أكثر يمكن مراجعة: Colin Simkin, Popper's views on natural and social science, E.J. Brill, The Netherlands,1993.
22) Karl Popper, The Poverty of Historicism.
23) Karl Popper, toute vie est résolution de problèmes.
24) Karl R. Popper, Realism and the Aim of Science, edited by W. W. Bartley III London: Hutchinson, 1983.
25) Karl R. Popper, The Poverty of Historicism, London: Routledge, 1999.
26) Nikolai S. Rozov, "An Apologia for Theoretical History: In Memory of Sir Karl Raimund Popper", History and Theory, Volume 36, Issue 3, October 1997. Popper Karl, The Poverty of Historicism.
27) Phil Parvin, Karl Popper.
28) Popper Karl . R : la logique de la découverte scientifique. Popper, Karl .R : Réalism and the aim of science, Edited by WW. bartley , III, Routledge. London and new york, 1992.
29) Popper, Karl .R.: les deux problèmes fondamentaux de la théorie de la connaissance.
30) Popper, Karl. R : la logique de la découverte scientifique.
31) Popper, La Connaissance objective: Une approche évolutionniste.
32) Sylvain K. Cibangu, "Karl Popper and the Social Sciences".
33) William A. Gorton: Karl Popper and the social sciences, Albany: State University of New York Press, 2006.
34) Jerzy Szacki, "On the so-called historicism in the social sciences".Quality and Quantity, volume5

الملخص

الملخص:

يعد الابستيمولوجي كارل بوبر 1902/1994 ممثلا للعقلانية النقدية المعاصرة التي أحدثت ضجة فكرية واسعة النطاق في مجال المعرفة والعلم حيث أعاد صياغة العلم والعالم صياغة جديدة إبستيميا وفقا لمبدأ التكذيب الذي طبقه في مجالات شتى مثل: التاريخ، علم النفس السياسة، العلوم الاجتماعية.... داعيا إلى دحض كل الأفكار الزائفة ذات الطابع الحتمي الأفلاطونية الماركسية، الهيغلية ولقد قدم مقاربة ابستيمولوجية للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتي يعتبر علم التاريخ فرعا من فروعها حيث يأخذ التاريخ موقعه من البحث الابستيمولوجي قريبا من الاستنباط واللاحتمية وفقا لمعيار التكذيب، فالبرغم من أنه لم يكن مؤرخا إلا أنه قدم طريقة علمية المؤرخين أثناء تفسيرهم للحوادث التاريخية بعيدا عن الخلفيات والإيديولوجيات وهذا بهدف أن يجعل التاريخ علما قريبا من العلم الطبيعي شريطة أن يستوجب المؤرخ لروح النقد في علمية التاريخ.

الكلمات المفتاحية:

التاريخ – منهج كارل بوبر – العقلانية النقدية – مبدأ التكذيب – الطابع الحتمي – الاستنباط – ابستيمولوجيا.

Abstract:

The epistemologist Arl Popper 1902/1994 is considered a representative of contemporary critical rationalism that caused a widespread intellectual uproar in the field of knowledge and science. ... calling for the refutation of all false ideas of a deterministic nature Platonic, Marxist, Hegelian and presented an epistemological approach to the human and social sciences, of which history is a branch of which history takes its place in epistemological research close to deduction and inevitability according to the criterion of denial. He was not a historian, but he presented a scientific method to historians during their interpretation of historical events away from backgrounds and ideologies, and this aims to make history a science close to natural science, provided that the historian requires a spirit of criticism in the scientific history.

key words:

Kari Popper - critical rationalism - the principie of denial - determinism - deduction - history - method - epistemology.